سمير شيخاني

معالم الزمن

الجزء الأول

دار الجيل
بيروت

معالم الزمن

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

الجزء الأول

ألف حدث وحدث

من السنة ٥٠٠٠ ق.م
الى السنة ١٨١٥

تقديم

« معالم الزمن » يعرض اكثر من ألف حدث هام في تاريخ العالم ـ منذ نشوء الحضارة في وادي النيل الى عصر الفضاء في ايامنا الحاضرة. انه يقدّم مَعْلَمات مختارة وموجزة من قصة البشرية: التطورات السياسية، والمنجزات العلمية، والمستحدثات التقنية التي تحتل مقامها، إلى جانب الأعمال البارزة في الادب، والفن، والهندسة، والموسيقى، والفلسفة.

ولكن لسوء الطالع، فإن التاريخ، كذلك، هو قصة البربرية، وظلم الانسان لأخيه الانسان، وقصة الحرب، والدمار، والكوارث الطبيعية، وينبغي تسجيل هذه الاحداث ايضًا.

ان بعض الاحداث التي نستعرضها يمكن ألّا تبدو للوهلة الاولى مهمة جدًا، غير ان الموسيقى الشعبية والتسلية، مثلاً، هي ضرورية ايضًا لفهم المجتمع فهمًا صحيحًا ـ مَثَلُها في ذلك مَثَلُ منجزاته العسكرية أو السياسية.

والكتاب هذا، يغطي السبعة آلاف سنة الأخيرة من تاريخ العالم. ويبدو ذلك زمنًا طويلًا، إلا أنه قصير جدًا بالقياس إلى الأربعة ملايين سنة، أو ما شابه ذلك، التي وطئت فيها قدما الانسان الأرض. سوى ان الانسان، مع ذلك، هو القادم الجديد حقًا الى الأرض، على الرغم من أنه كان له تأثير أكبر كثيرًا في محيطه وبيئته مما كان لسائر المخلوقات الاخرى.

وقبل البدء باستعراض هذه الأحداث، لا بدّ من هذه المقدمة دون التبسّط في التفاصيل.

يقدّر العلماء ان الكوكب الذي نعيش عليه ظهر منذ حوالى اربعة ملايين ونصف المليون من السنين. وطالما زُعم في الماضي ان العالم بدأ كرة نارية حارة. ولكن ذلك لم يعد يُعتبر صحيحًا. وهناك رأي حديث يقول بأن الارض، وقمرها، تكوّنا من التراكم والتراصّ البارد بين الغاز وجُزيئات الغبار في الفضاء. ومع تدمّج الارض تولدت كمية من الحرارة كافية للتسبب بتحليل بعض المواد. وهذه المواد المعروفة باسم المواد المشعة، أطلقت بدورها المزيد من الحرارة. ويبدو اليوم ان الارض تبرد من جديد، سوى ان الحرارة في وسط هذا الكوكب الارضي ما تزال تقدَّر باكثر من ٢٧٠٠ درجة مئوية. وبالإمكان تكوين فكرة عن شدة هذه الحرارة عندما نعلم ان الماء يغلي لدى درجة الحرارة مائة (= سنتيغراد).

من السهل جدًا التسليم جدلاً بتنوّع المخلوقات الحية، بما فيها نحن البشر، مما تحمله الارض. ومع ذلك ينبغي ان نتذّكر انه حتى الآن تبقى الارض الكوكب الوحيد في المنظومة الشمسية التي تحتمل مثل هذه الشبكة الحية المعقدة من الحيوانات والنباتات، وان الحياة البدائية الاولى استغرق تطورها زمنًا طويلاً جدًا.

اما اول اعضاء الاسرة البشرية المعروف باسم رامابيسيكوس، فقد عاش منذ حوالى اربعة عشر مليون سنة خلت، ولكن لم يظهر الحيوان الرئيسي الاشدّ شبهًا بالانسان، ويدعى اوسترالوبيسيكوس الا منذ ما يراوح بين خمسة ملايين سنة ومليونين من السنين.

وأما الانسان المعروف باسم هومو ايركتوس، الذي عاش في الصين وفي جزيرة جاوى منذ حوالى مليون سنة الى نصف مليون سنة خلت، فقد اتقن استخدام النار: برز الانسان كمخلوق متفرّد. وتدريجيًا راحت ادوات الانسان

وأسلحته تتعقد بعد أن بات عقله اسمى. وقد عاش الانسان النياندرتالي، وهو الجدّ المباشر للانسان الحديث في اوروبا منذ حوالى ٧٠ ألف سنة الى ٤٠ ألف سنة مضت. وفي اوروبا نفسها، ومنذ حوالى ٣٥ ألف سنة ظهر الانسان الاول الحديث المعروف باسم كرو ـ مانيون، وقد وُجدت بقاياه في كهف كرو ـ مانيون في فرنسا.

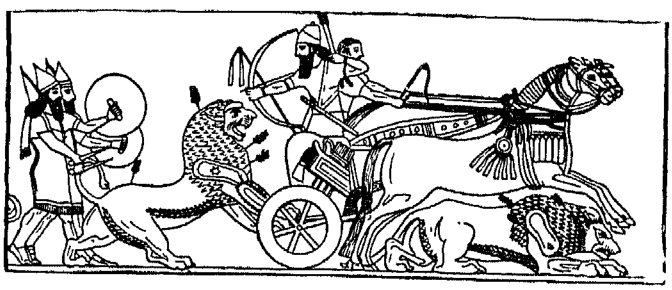
من حوالى مليون سنة إلى عشرة آلاف سنة خلت، كانت أجزاء كثيرة من الارض مغطاة دوريًا بالثلوج، فلما انتهت هذه العصور الجليدية، وأصبح النصف الشمالي من الكرة الارضية اكثر دفءاً شرع الانسان يترسخ ويتوطن ويعيش كمزارع. وقد كوّنت الجمعيات الزراعية التي نمت في الاودية الخصبة في الشرق الاوسط اساس الحضارة الحديثة. وسنبدأ استعراضنا الأحداث التي شكلت تاريخ الانسان بثقافة سومر ودلتا نهر النيل في حوالى السنة خمسة آلاف قبل الميلاد.

بيروت، في ١٩٨٨/٤/٥ — سمير شيخاني

سنة ٥٠٠٠ ق.م.
سومر، مهد الحضارة

ابصرت الحضارة النور لأكثر من سبعة الآف سنة خلت بين نهرَي دجلة والفرات. وهنا وسط وادٍ عريض وخصب، كانت مستوطنة سومر. وقد أُطلق فيما بعد على المنطقة التي بُنيت عليهم اسم ما بيـن النهـريـن ـ العـراق اليـوم. ومع مرور الزمن أُطلق الاسم على مجمل طول الوادي الذي كان مقدّرًا له أن يشهد توطُّن حضارات اخرى ممعنة في القدم.

بنى السومريون أكواخًا تجمعت معًا لتؤلـف قـرى، ودجّنـوا الحيـوانـات لمنحهم الحليب للشرب واللحم والجلود لصنع الملابس، وزرعوا القمح، والشعير وسائر الغلال. وكانوا ما يزالون يصطادون، إلاّ أنهم في تلك الآونة، وللمرة الأولى، تخلّوا عن الصيد الذي كانوا يعتمدون عليه في معيشتهم. وهكذا استطاعوا أن يقيموا في مكان واحد دون أن يضطروا الى الحياة البدوية والترحّل.



الازدهار الفني في بلاد ما بين النهرين: مشهد من مشاهد الصيد مرسوم بكثير من الواقعية.

واخترع السومريون اول لغة مكتوبة، وهي عبارة عن نوع من اللغة التصويرية المختصرة تُعرف باسم اللغة المسمارية - وهي على شكل إسفيني، وتُكتب بأقلام من القصب على ألواح من طين ليّن كانت تُشوى فيما بعد. والى السومريين ايضًا يُعزى اختراع العجلة، او الدولاب، الأمر الذي يثبت ان هذا الشعب كان، ولا ريب، شعبًا مجداً، وكادحًا، ومبتكرًا خلاّقًا.

٥٠٠٠ ق.م.

استيطان وادي النيل

مصر هي «هبة النيل» - على حدّ قول المؤرخ الاغريقي القديم هيرودوتس، لأن هذه البلاد لم تكن لتوجد لولا هذا النهر الخالد. وفي ذلك الزمان، كما هي الحال اليوم، كانت السهول على جانبَي النهر تغمرها مياهه كل سنة، فاذا بالتربة السوداء الخصبة التي كانت تتخلّف مثالية للمحاصيل الزراعية التي سرعان ما كانت تنضج بسرعة تحت اشعة الشمس المحرقة.

كان اول من استوطن وادي النيل شعب بدائي، تعلّم، مع مرور الأيام، كيف يبني الأكواخ، ويزرع الغلال، ويربّي الماشية. وقد امتدت مستوطناته على طول ضفاف النيل حوالى ١٢٠٠ كيلومتر، ومع ذلك قلّما كانت تنشأ على مسافة تزيد على خمسين كيلومترًا من حافة المياه. وكانت سائر اجزاء البلاد، كما هي الحال اليوم، صحراء من رمال وحجارة.

منذ أقدم الازمنة، قُسمت البلاد قسمين هما: مصر السفلى - وهي منطقة الدلتا، ومصر العليا - وهي تقوم بين الدلتا والشلاّلات.

وحوالى سنة ٣٢٠٠ ق.م.، توحّد هذان القسمان، وحكمهما الفراعنة، وكوّنا حضارة ذهبية دامت آلاف السنين، وامتدت حتى وفاة كليوباترة في السنة ٣٠ ق.م.، عندما اصبحت مصر مقاطعة رومانية.

كان المصريون أُمّة من الفنانين، صنعوا جرار الطين والفخّار، وزينوها بالأشكال الجميلة البرّاقة الألوان، وأنشأوا المنحوتات الرائعة من الحجر، ولكن فوق ذلك كله، عرفوا فن العمارة. وبفضل الآثار الباقية من معابدهم وأضرحتهم التي ما تزال جدرانها مزيّنة الى يومنا هذا بالمشاهد الرائعة من حياتهم اليومية، استطعنا ان نتعرّف إلى طريقة معيشتهم، وكيف كانوا يتعبّدون، ويموتون.

ومن فيضان مياه النيل السنوي، ظهرت اول روزنامة من ٣٦٥ يومًا، تتألف من اثني عشر شهرًا، في كل شهر ثلاثون يومًا، يضاف إليها جميعًا خمسة اعياد.

٥٠٠٠ ق.م.
مستوطنة الملايو الاوسترالية ـ الميلانيزية

بينما كانت الحضارة تولد، كما نعلم، في وادي النيل وفي الشرق الاوسط، كان سائر العالم مأهولاً من قبائل بدائية. وحوالى السنة ٥٠٠٠ ق.م.، انتقلت شعوب اوستراليا وبولينيزيا، وغينيا الجديدة ـ وهي شعوب تنتمي الى الجنس الاوسترالي ـ البولينيزي ـ غربًا إلى الملايو حيث ما يزال يعيش إلى اليوم بعض الجماعات من أصلهم هذا. وتُعرف ميلانيزيا باسم « الجزر السود ».

٣٥٠٠ ق.م.
اكتشاف البرونز

عُثر على اسلحة وأدوات مصنوعة من البرونز في الاضرحة المصرية المقامة حوالى السنة ٣٥٠٠ ق.م.، غير أنه معلوم ان هذا المعدن استخدمه الانسان

البدائي قبل ألف سنة من ذلك التاريخ، على اقل تعديل. وقد كان اكتشاف البرونز خطوة كبرى في التقدم البشري.

والبرونز هو خليط من معدنين أو أكثر صُهرا معًا، ثم ترك ليبرد. وهو يتألف من النحاس، والصفيح او القصدير. ومع أن النسب يمكن ان تختلف قليلاً، فإن النسب العادية هي تسعة اجزاء من النحاس الى جزء واحد من الصفيح.

طوال قرون، استخدم الانسان القديم النحاس، مستخرجًا المعدن الخالص النقي بصهر كتل من النحاس الخام فوق الحجارة الساخنة التي كانت تُستخدم للطهو. وفي كثير من الاماكن، كان النحاس الخام والقصدير الحجري يوجدان أو يظهران في العروق نفسها. ويُعتقد انه بالاهمال واللامبالاة، بدلاً من المهارة، اكتشف صاهرو المعادن القدامى - بمحض المصادفة - المعدن الاصلب والافضل الذي كوّنه البرونز.

وكانت المصنوعات البرونزية الأُولى تُصَبُّ في قوالب مفتوحة، وكان شكل الشيء المرغوب في صنعه يُنحت بجدّ ومهارة في سطح حجر مسطح، ويُسكب فيه المعدن المحمّى، ثم يُغطّى بطبقة من الطين منعًا لتبريده تبريدًا باكرًا.

٣٠٠٠ ق.م. - ٢٠٠٠ ق.م.
نشوء الحضارة المينوية

خلال فترة ما قبل التاريخ، بدأ شعب قديم من الشعوب البحرية يستوطن المناطق الواقعة على طول سواحل بحر إيجه منتشرًا جنوبًا إلى مقدونيا. وكانت مستوطنتهم الرئيسية في جزيرة إقريطش - او كريت. في البدء، عاش هؤلاء السكان في الكهوف، ثم ما لبثوا أن اكتشفوا كيفية إقامة المساكن التي كانت

في البداية أكواخًا، ثم باتت مباني مستطيلة ذات سقوف مسطحة، ولها ابواب تطل دائمًا على الشرق، بحيث يستيقظ القاطنون فيها لدى ظهور أشعة الشمس الأولى.

كان هؤلاء الاقريطيشيون القدامى الذين اشتهروا بأنهم من الحِرفيين المهرة، ذلك بأن الآثار التي خلّفوها. من خزف ومنحوتات وأدوات معدنية تُثبت أنهم تفوّقوا كثيراً على سائر الأُمم في ذلك الزمان. ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنهم، طوال قرون، نعموا بالسلام والطمأنينة، وأمنوا الغزو والاجتياح بفضل اسطولهم القوي، فضمن فنانوهم وصُنّاعهم الحرية لتنمية كل فنون الحياة وأسباب الراحة والمتعة.

كان ملك الأقريطيشيين يدعى مينوس، كما كان ملوك مصر يعرفون باسم فرعون، وعلى مرّ الأيام، بات شعب هذه الجزيرة يُعرف باسم المينويين. ويعود تاريخ سيادتهم وتفوّقهم البحريين إلى السنة ٢٠٠٠ ق.م.، عندما بدأوا يغشون الطريق التجاري من جزيرة إقريطش إلى الشرق الاوسط. وسنتحدّث في السنة ١٧٠٠ ق.م. عن بناء قصر كنوسوس، موطن أقدم حضارة في اوروبا.

٢٨٧٠ ق٠م٠
مستوطنة طروادة

طوال قرون، اعتُبرت «إلياذة» هوميروس، الشاعر الملحمي الإغريقي، التي كُتبت كما يُعتقد حوالى السنة ٨٥٠ ق.م.، ملحمة خيالية صرفًا، ولا شيء غير ذلك. حتى مدينة طروادة وحصارها الطويل الذي دام عشر سنين وقام به الاغريق، كان يُعتقد أنهما حدثان اسطوريان.

رجل واحد، مع ذلك، صدّق القصة ضمنيًا، هو العالم الالماني هاينريش

شليمان (١٨٢٢ ـ ١٨٩٠). وقد امضى الشطر الأخير من حياته وانفق الكثير من ثروته الطائلة في سبيل التنقيب عن طروادة هوميروس. فبدأ عمله في هيسارليك، في الطرف الجنوبي لمضيق الدردنيل حيث بدت له رابية او هضبة صغيرة قديمة واعدة جدًا. ومن فوره اكتشف بعض الخزفيات، والاسلحة، وأدوات اخرى، وبعدها مضى في اكتشاف المعابد والقصور.

من ٢٧٠٠ ق.م. ـ ٢٦٠٠ ق.م.
بناء الاهرامات

يبدو أن أهرامات الجيزة في مصر، التي تقف كالحرّاس الجبابرة في الصحراء، قد قاومت الزمن نفسه. أضخمها هو الهرم الكبير الذي شُيّد ليضم مومياء الفرعون خوفو. وهو الوحيد المتبقي من عجائب الدنيا السبع الاصلية.

بني هذا الهرم من حجر الكلس أو حجر الجير، ومن الغرانيت أو الصوّان، واستُخدم في ذلك أكثر من مليوني كتلة حجرية، بعضها يزن خمسة عشر طنًا.

يبلغ كل جانب من قاعدة الهرم ٢٣٠ مترًا طولًا و١٣٨ مترًا ارتفاعًا. ويقال إن مئة ألف من العبيد الأرقّاء، عملوا زهاء عشرين سنة لتشييد هذا النُصب العملاق لملك واحد، إلاّ أنهم كانوا يعملون وحسب، مدة ثلاثة اشهر دفعة واحدة، وهي الفترة السنوية التي تفيض فيها مياه النيل طوال ثلاثة اشهر.

وكان الصوّان يُجلب من أسوان، فتحمله مياه النهر الخالد على طوال ٩٠٠ كيلومتر إلى رصيف لتفريغ السفن وقد أُقيم خصيصاً في البحيرة، ومن ثم كانت الحجارة تُجرّ عبر ممرات او طرق مرتفعة ضخمة لكي تركَّب مكانها.

أما الهرمان الآخران، وهما هرم خفرع وهرم مسيرينوس، وهما ملكان من ملوك الأسرة الرابعة ـ فهما ليسا بضخامة هرم خوفو، ولكنهما بُنيا بطريقة مماثلة...

٢٥٠٠ ق٠م٠
بناء موهنجو ـ دارو

مثلما نشأت حضارة الامة السومرية ونمت بين نهرَي دجلة والفرات، ومثلما وُلدت حضارة مصر في وادي النيل، كذلك نمت الحضارة القديمة الثالثة بالقرب من نهر. تلك كانت الدولة الكبيرة التي ظهرْت في حوض نهر الاندوس. وكانت عاصمتها التي بُنيت حوالى السنة ٢٥٠٠ ق.م.، المدينة الهندية المدهشة موهنجو ـ دارو التي شُيدت كليًا تقريبًا من القرميد المصنوع من الوحل والطين المجفف بالشمس، يشده بعضه إلى بعض ويثبّته المِلاط.

بالنسبة إلى الزمان الذي وجدت فيه كانت تتقدم كثيرًا وبأشواط اي مدينة اخرى. وقد شيدت حسب خطة يبدو واضحًا تمامًا انها رسمت لدى وضع اسسها، ذلك بأن الطرقات التي رُصفت ببلاط مستطيل الشكل، تماثل طرقات اي مدينة حديثة في عالم اليوم. وقد غطّت المدينة موهنجو ـ دارو منطقة تبلغ مساحتها نحوًا من عشرة كيلومترات مربعة، وتضم زهاء ٥٠ الفًا من السكان، وهو عدد ضخم في حساب تلك الأيام.

الواقع أن من يتفحص مدينة موهنجو ـ دارو بدقة وعمق، يتكشف له حقًا كم هي حديثة، فقد وجدت تحت طرقاتها وفي الكثير من بيوتها شبكة لمياه التصريف أو المجارير، الامر الذي يدل على المستوى لنظام الصحة الخاصة والعامة العالي.

وكان السكان يحيون حياة مليئة ونشيطة، استدلالًا من عدد الاشكال، والدمى الخزفية المسلية التي اكتُشفت فيها، والتي تثبت ان حياتهم تلك كانت سعيدة حقًا.

٢٣٥٠ ق.م.
الحضارة الآندية الاولى

إن أول الشعوب التي استوطنت أميركا الجنوبية، كان الصيادون البريون والبحريون المترحّلون الذين انتقلوا ببطء جنوبًا من اميركا الشمالية. وقد انتشروا في مناطق مختلفة، غير ان اسمى حضارة في اميركا الجنوبية إنما وجدت في بوليفيا والبيرو في جبال الآنديس العالية، حيث استوطن القادمون الجدد في قرى صغيرة، وزرعوا الذرة، والقرع، والمنيهوت ـ وهو نبات يُستخرج من جذوره نشاء مغذٍّ ـ، ودجّنوا حيوان اللامة، وهو حيوان يختصّ بأميركا الجنوبية شكله كالجمل ولكنه اصغر منه وليس له حدبة.

٢٣٥٠ ق.م.
المراصد الفلكية الاولى

كانت الشعوب القديمة ـ البابليون والمصريون والصينيون تعتقد أن الاجرام السماوية تؤثر في حيوات البشر. وكان البابليون، بصورة خاصة، يعتقدون أن موقع النجوم يمثّل رسائل من الآلهة، وكان كهنتهم يقضون الشطر الاكبر من حياتهم في دراسة القبّة الزرقاء بكل دقةٍ وعناية، وقد قسموا السموات إلى مناطق، ومختلف مجموعات النجوم إلى كوكبات، وأطلقوا عليها أسماء آلهة أو أشياء. وأُعيدت فيما بعد تسمية هذه من قبل الاغريق القدامى، لتصبح لدينا شارات البروج الاثني عشر.

ومع مرور الأيام باتوا مطّلعين على كل شيء يُرى في السماء ليلًا متكهنين بما سيحدث في المستقبل. ومن هذا العلم ولد علم التنجيم. وكان هؤلاء المتكهنون او المنجمون من الكهنة بعد رصدهم النجوم بعناية، يقولون

بممارسة الطقوس الدينية لطرد التأثيرات الشريرة والخبيثة. ولكي يتاح لهم القيام بهذا العمل أُقيمت المراصد فوق سطوح معابدهم.

من ٢٤٠٠ ق.م. الى ٢١٨٣ ق.م.
سرجون يؤسس أكد

عندما برزت قصور سومر ومعابدها في وادي دجلة والفرات المسطح، الشديد الخصب، كان من المحتم أن ينظر الكثيرون من جيرانها بعين الغيرة والحسد إلى ثروات تلك البلاد. ومع مرور السنين ونتيجة ذلك، باتت الغزوات الحدودية أمرًا عاديًا ومألوفًا.

إلى الغرب من سومر، كانت تعيش قبائل ساميّة مترحّلة عدة، وحوالى منتصف الالف الثالث قبل الميلاد، اتحدت هذه القبائل الرهيبة تحت لواء زعيم كبير هو سرجون. فكان اول منجزاته سحق السومريين، ثم مضى إلى فتح كل الاراضي «من مطلع الشمس إلى مغربها»، فأنشأ بذلك اول امبراطورية في التاريخ. وقد عُرف شعبه باسم الأكديين، وهو اسم اتخذوه من مقاطعة أكد، أو اغاد التي تقع في الجزء الشمالي من سهل شينار، وقد ضمت مع مرور الزمن مدن بابل، وكيش، وسيبار، وسواها.

كان سرجون عاملاً لملك كيش، واتخذ اسم شروكين الذي حرّف الى سرجون. وقد وسع فتوحاته الى عيلام وسوريا والأناضول. واختلطت حوله أحداث التاريخ والأساطير بعد الألف الثاني قبل الميلاد.

٢٤٠٠ ق.م.
الهجرات الآرية

يُعتقد أنه في العصر النيوليثي، كان لشمال أوروبا لغة أصيلة واحدة تفرّع

منها معظم اللغات الاوروبية الحديثة، وانه بين اوروبا الوسطى وغرب آسيا كانت تعيش قبائل تستخدم واحدة منها فقط. ودعيت على سبيل الملاءمة الشعوب الآرية، وعُرفت لغتهم باللسان الآري. وقد جاءت هذه القبائل في الاصل من منطقة نهر الدانوب وجنوب روسيا، وانتشرت ببطء جنوبًا شطر المناخات الاكثر دفءاً.

في الاصل، كانت غالبية بلدان اوروبا مأهولة بجنس من البشر جاءها من حوض البحر الابيض المتوسط باسم الإيبريين. وكان افراده داكني البشرة تميل قامتهم إلى القصر، ولكنهم سرعان ما دُفعوا إلى الوراء بفعل الموجات المتقدمة من الآريين الطوال القامة المشرقي اللون، الذين انتقلوا عبر أوروبا الوسطى والجنوبية، ومن هناك إلى الهند تاركين بعدهم المستوطنات الكثيرة.

من ٣٢٠٥ق.م. إلى ١١٢٢ق.م.
ظهور الحضارة الصينية

وصلت الحضارة إلى الصين عندما بُني عدد كبير من قرى العصر الحجري على طول ضفاف نهر هوانغ هو، وقليلة هي المعلومات التي وصلتنا عن هذا الشعب البدائي.

وتُعرف اول اسرة مالكة كبيرة في الصين باسم سلالة هساي، وقد أنشأها الامبراطور الاسطوري ايو في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد. وكما هي الحال مع الفراعنة في مصر القديمة، كان هذا الامبراطور وسائر الملوك الذين خلفوه يُعتبرون مقدسين، وأطلق عليهم لقب «ابناء السماء».

وحلّت بعد اسرة هساي في الحكم اسرة شانغ التي كان يتزعمها في عصرهم البرونزي الملك تانغ الذي يُعتبر عادة اول اباطرة الصين الذي عبّأ جيشًا للاطاحة بالطاغية، آخر ملوك اسرة هساي. وقد استهلت اسرة تانغ عصر

المملكة الوسطى التي دامت من حوالى السنة ١٥٠٠ ق.م.، إلى ما بعد زهاء خمسائة سنة. وخلال هذه الفترة نظّمت البلاد الحكومة، وازدهرت الفنون والتجارة، ونعمت البلاد بالسلام.

خلال حكم سلالة شانغ، صُنعت الأدوات البرونزية التي اعتُبرت من أجمل واروع ما شاهده العالم. وظهرت في الصين في ذلك الحين الكتابة التي تقوم على اساس الصور. أما الحرير الذي كان يصنع من اول ما تمت تربيته من دود القزّ، فقد منح الصين احتكار النمو والصناعة اللذين ظلت هذه البلاد تنعم بهما طوال آلاف السنين. واكتُشف اللّك أو ورنيش اللّك كذلك في هذه الفترة.

وكان الصينيون يستخدمونه لحفظ الادوات الخشبية والجلدية التي يصنعونها، ولزخرفتها وتزيينها، في حين كان نقشهم الحجر الكريم المعروف باليشب، وهو عُرف منذ السنة ٢٠٠٠ ق.م.، مدعاة لحسد العالم بأسره.

وقد أحرق آخر اباطرة سلالة شانغ الذي اتخم بقصفه وعربدته نفسه في قصره حوالى السنة ١١٢٢ ق.م.، وأصبح حكام الصين الجدد ابناء سلالة تشو.

٢٢٠٠ ق.م.
المستوطنة الاندونسية في شبه جزيرة الملايو

استعمرت الجزر الكثيرة التي تؤلف أندونيسيا، في الأصل، شعوب بدائية جاءت من البر الرئيسي في جنوب شرق آسيا. وعلى مرّ الايام، قرّر بعضهم الانتقال، فراحوا يجذفون بقواربهم المزدوجة البدن، حتى بلغوا الملايو ليصبحوا اجداد اورانغ ملايو، وهو الجنس السائد الذي يقطن شبه جزيرة الملايو اليوم.

٢١٠٠ ق٠م٠
بناء أور



شارع في أوُر: تُرى الدواب تسلّم البضائع الى المخازن، ونساء يسترحن في فناء احد المنازل، في حين راحت إحدى الخدم تداعب أوتار القيثارة.

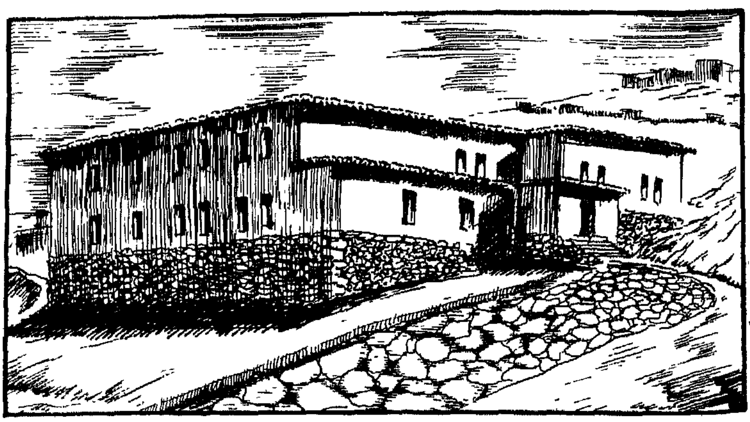
في النقطة التي يقترب فيها نهر دجلة أكثر ما يمكن من نهر الفرات، بنيت مدينة دعيت أُور، أصبحت عاصمة السومريين. ومع أن سكان أور الأصليين كانوا مزارعين، فقد نهض جيل جديد من البناة والفنانين والكهنة والكتبة، حمل الحضارة الحقيقية الى المدينة. وكان السومريون يستخدمون النظام المسماري في الكتابة، فضلّا عن كونهم ماهرين في علم الرياضيات. وكانوا يعدُّون أو يحسبون بالعشرات أو بالعقود. وقد أُدىّ ذلك إلى إيجاد دائرة ذات ٣٦٠ درجة هي الساعة ذات ستين دقيقة، والدقيقة مؤلفة من ستين ثانية.

وقد اكتشفت في أُور زكورة رائعة، وهي كناية عن هيكل هرمي الشكل مؤلف من عدة ادوار أو طبقات. اما جوانب هذا المبنى فهي درجات تشبه سلسلة من الكتل الواحدة منها فوق الاخرى تصل بينها سلالم. وكان قياس هيكل الإله «القمر» المعروف باسم سووين، في الاصل، يبلغ لدى قاعدته مائتي متر.

من ۲۰۰۰ ق.م. الى ۱۲۰۰ ق.م.
استخدام الحديد للمرة الاولى

ما يسمى اليوم العصر الحديدي، بدأ زمن الحثيين، وكانوا أمة آرية قـويـة جبارة، احتلت شبه جزيرة الاناضول. وبعد ان توحدّوا تحت لواء ملكهم لاپارناس، شرع الحثيـون في مدّ حدودهم في كل الاتجاهات: إلى بحر ايجه في الغرب، وشرقًا وجنوبًا إلى سهول سوريا جنوب سلسلة جبال طوروس.

واثبتوا انهم لا يُقهرون لأنهم قبل اي أُمة آخرى، اكتشفوا فن تنقية الحديد الخام. كانوا أولاً يُحمّون الحديد الخام حتى يصبح كتلة اشبه بالعجينة، ثم يروحون يطرّقونها وهي تبرد حسب الاشكال التي يرغبون فيها، سواء أكان المطلوب صنعه سلاحًا أو سواه من الادوات الاخرى. وكانت طريقتهم تلك بدائية، والحديد الذي يصنعونه ابعد ما يكون عن النقاوة، إلاّ انه كان حتمًا افضل من البرونز وأصلب، لأن البرونز كان أكثر لينًا ويميل إلى الانثناء.



مبنى عام لدى الحثيين.

ونمت قوة الحثيين، سوى انها كانت عرضة للقلق بسبب الاضطرابات

الداخلية حتى جعل الملك تيليبنوس (١٥٢٥ـ١٥٠٠ ق.م.) خلافة العرش وراثية، وأسس ما كان في الواقع الامبراطورية الحثية الحقيقية. وقد هزم الحثيون السنة ١٢٨٦ ق.م. جيشًا مصريًا قويًا بقيادة البطل المصري الملك رمسيس الثاني الذي امتد ملكه من السنة ١٢٩٢ إلى السنة ١٢٢٥ ق.م.، ومع انه كُتب لإمبراطوريتهم ان تزول بعد حوالى خمسين سنة، فإن ثقافتهم بقيت في المقاطعات السورية مدة خمسمائة سنة اخرى.

٢٠٠٠ ق.م.
ظهور بابل

طوال قرون، ظل الوادي الخصيب بين نهرَي دجلة والفرات تحت سيطرة السومريين. ولكنهم اخيرًا باتوا ضعفاء مع مرور الايام، وهزمهم الساميّون الغزاة الذين انشأوا أُسس دول ـ مدن، وهي دول ذات سيادة مؤلفة كل منها من مدينة مستقلة والمناطق الخاضعة لسلطانها المباشر. وكانت تلك الدول ـ المدن باستمرار في حرب بعضها مع البعض الآخر، حتى اعتلى العرش ملك في احدى هذه المدن غير الهامة، وتدعى بابل.

كان هذا الملك الجديد حمورابي مصمّمًا على اعادة السلام الذي نعمت به تلك البلاد في الاصل في ظل السومريين. فجهّز جيشًا كاملًا او جيشًا دائمًا ـ كان اول جيش من نوعه في العالم ـ وعمد إلى مهاجمة سائر المدن المنافسة الآخرى، وتدميرها الواحدة بعد الاخرى. ومع مرور الزمن، وفي الوقت المناسب، جعل نفسه سيد مجمل ما بين النهرين وآشور، وهي منطقة استمدت اسمها من مدينته نفسها، وكانت تُعرف اذ ذاك باسم بابل.

وإثر عودة السلام واستتباب الامن، شرع حمورابي في تشييد الهياكل الجديدة، وتقوية جدران مدينته، وبناء اقنية الري الواسعة. ومع ذلك، فإن

شهرة حمورابي الخالدة تقوم على كونه مشترعًا ؛ وطوال قرون استخدمت امم اخرى القانون الذي سنّه. وقد وجدت كذلك نسخ من رسائله المكتوبة على ألواح من الطين المحمّص في بقايا مكتبات كبيرة كان قد شيّدها.

٢٠٠٠ ق.م.
العصر البرونزي يصل إلى اوروبا

حوالى السنة ٢٠٠٠ ق.م. استُهدفت بريطانيا وجارتها الاوروبية القريبة منهما لغزو كان له أن يبدّل نمط حياتها كله. فقد أتى من قبائل غريبة يسميها علماء الأجناس «شعب الكأس الكبيرة» ـ البيكر بالانكليزية، وهم الحدادون القدامى الذين اتقنوا صناعة الاسلحة والادوات المختلفة من النحاس ـ وكؤوس الشراب المعدنية التي استُمدَّ اسمهم منها. ومع تنقلاتهم من مكان إلى آخر، حملوا معهم سرّ هذه الحرفة الجديدة. وما ان أقبلت السنة ١٨٠٠ ق.م.، حتى كانوا قد انتشروا عبر أوروبا واستطاعوا بأسلحتهم المتفوقة ان يتغلّبوا بسهولة على الشعوب البدائية التي صادفتهم في العصر الحجري. ثم راحوا يتزاوجون مع من انتصروا عليهم، وظهر في أوروبا نوع جديد من الحضارة.

واحتلوا معظم جنوب بريطانيا، والى ذلك العهد يعود تاريخ تشييد النصب الفريدة التي أقاموها من مثل ستونهج، وسيلبري، وحصن العذراء. ولعلّ أروعها على الإطلاق ستونهج الذي وصف بأنه «اول تشييد في شمال اوروبا». ويقوم اليوم نصبًا فريدًا في نوعه يخلّد البناة المجدين الذين عاشوا منذ حوالى اربعة الآف سنة. ولعلّ ابرز ميزاته الرائعة والمذهلة تتعلق بعملية نقل الحجارة الهائلة إلى الموضع النهائي الذي استراحت فيه ـ مثلها في ذلك مثل العملية التي انطوى عليها بناء الاهرامات في مصر. ولما لم تكن العجلة (او الدولاب) قد دخلت انكلترا آنذاك، فإنه لا بدّ ان تكون قد استخدمت في ذلك البكرات

او الاسطوانات والمطارق الثقيلة، مع الكثير من الطاقة البشرية.

٢٠٠٠ ق. م.
الجومونيون يستوطنون اليابان

ان من أول الشعوب المتحضرة حقًا التي استوطنت اليابان، كان الشعب المعروف بالجومونيين، وهم أصلًا جماعة من الصيادين البريين غزوا البلاد، واستوطنوا المنطقة الواقعة خلف الساحل. ثم فيما بعد، استوطن الجومونيون الآتون من الصين وكوريا المناطق المنخفضة حيث تطوروا وأصبحوا من المزارعين. وكانوا فوق ذلك ماهرين في صناعة الآنية الخزفية، وقد اكتُشفت نماذج رائعة كثيرة من أعمالهم.

من ١٧٥٠ ق. م. الى ١٥٦٠ ق. م.
الهكسوس يغزون مصر

بعد نحو من ألف وخمسمائة سنة، واجهت مصر تهديدًا خطيرًا على وجودها. فقد تضاءلت سلطة الفراعنة، وباتت البلاد بأسرها في حالة فوضى. فقد حاول النوبيون والطيبيون والليبيون جميعًا غزوها، ولكنهم صُدّوا بصعوبة، ثم في نهاية ما يُعرف باسم السلالة الرابعة عشرة، اجتاح الشعب المصري غزو جديد.

كان القادمون الجدد يدعون الهكسوس أو «الملوك الرعاة»، وهم قوم رحّل شديدو البأس، اندفعوا صاخبين من الصحراء، حاملين النار والنهب والسلب الى أرض لا حول لها ولا طول.

وحمل الهكسوس معهم «سلاحًا سريًا» وقف المصريون ازاءه عاجزين... إنه العربة التي يجرّها الخيل، كما حملوا كذلك سلاحًا جديدًا هو القوس المصنوع من قرن الحيوان والجلد، وكان له مدى رماية أبعد كثيراً من أي

سلاح مماثل عُرف من قبل. وخلال الفترة التي حكم فيها هؤلاء الملوك الرعاة مصر، استوطن بنو اسرائيل تلك البلاد، وبلغ يوسف وسائر الساميين مراكز عليا خلال هذه الفترة من الاحتلال الغريب. وقد طرد الفرعون أحمس هؤلاء الهكسوس، وبدأ حكمه عهد المملكة الجديدة في السنة ١٥٠٠ ق.م.

من ١٧٠٠ق.م. الى ١٤٠٠ ق.م.
بناء كنوسوس

كان هاينريش شليمان الذي اكتشف طروادة يرجو التنقيب عن قصر الملك مينوس الذي بني على جزيرة اقريطش (= كريت) حسب أقوال الكتّاب الاغريق القدامى. إلا انه رحل عن هذه الدنيا قبل أن يتمكن من القيام بهذا العمل. وكان العالم الاركيولوجي الذي يعود اليه الفضل في الكشف عن هذا المبنى الاسطوري انكليزيًا يدعى السر آرثر ايفانز (١٨٥١ - ١٩٤١).

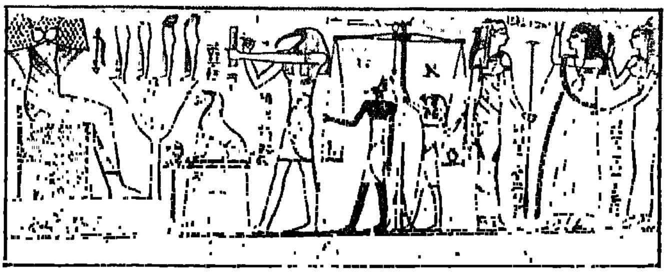
شرع السر آرثر ايفانز في أعمال الحفر السنة ١٩٠٠، وواصل حتى وفاته حفرياته تلك دون هوادة ولا توقّف حتى عاجلته المنية. وقد أذهلت اكتشافاته آنذاك العالم لأنه كشف عن كنوسوس «أقدم حضارة في أوروبا». وقد كان قصر الملك مينوس، في الواقع، مجموعة من المباني اقيمت حول فناء مربّع، ولكن دون تخطيط ظاهر. ذلك بأنه كان هناك أحيانًا فرق يعادل بضعة طبقات بين الطبقات الأرضية في المبنى الواحد، بحيث يكون سطحه شرفة للبيت القائم خلفه.

هذا المبنى الذي يبدو أنه شيّد كيفما اتفق، ادّى الى حدوث منطقة كبيرة تعج بالممرات الملتوية التي ربما كانت أصل اسطورة المينوطور - وهو حيوان خرافي نصفه على صورة رجل ونصفه الآخر على صورة ثور. وتقول الاسطورة إنه كان يعيش في متاهة في جزيرة اقريطش. وكان هذا الثور يشكل جزءًا

هامًا من العبادة الإقريطيشية، ويُرمزُ اليه بفأس ذات شفرتين. وبكلمة اخرى، كان أفضل وصف لعالم كنوسوس انه شبكة من الممرات المعقّدة المحيِّرة.

كانت الصبايا الاقريطشيات ـ وكذلك الصبيان في هذه الجزيرة ـ يمارسون نوعًا من الرياضة يدعى «القفز فوق الثور»، يقوم فيه ممارسه بالتمسك بقرنيّ الثور المهاجم والشقلبة فوق ظهره، والقيام بحركات بهلوانية بقلب العقبين فوق رأس الثور. وكثير من الرسوم واللوحات في كنوسوس إنما تُبرز هذه الرياضة الخطرة. وكانت الحياة في كنوسوس متحضرة وملأى بالعربدة والمتعة. أما الفن الاقريطشي فهو حيوي ومصقول ولطيف.

وفي آخر الأمر مسحت الحضارة المينوية كلها موجةٌ من الغزاة البرابرة الذين يدعون الدوريون أحرقوا القصر الاسطوري هذا، كما يبدو بوضوح من طبقات الرماد العميقة وعلامات الحريق الظاهرة على الأعمدة، مع أن تدميره النهائي ربما وافق حدوث هزة أرضية أكملت تدميره كليًا.



كتاب الأموات، مشهد الدينونة، متحف كستنر ـ هانوفر، في المانيا.

١٥٠٠ ق. م.

كتاب الأموات

كان قدماء المصريين يعتقدون أنهم عندما يموتون ينبغي لهم المثول أمام أوزيريس، إله الموتى لكي يحاكَموا قبل أن يُمنحوا بركة السعادة الأبدية إذا كانوا يستحقون ذلك. ولكي يوفروا على أنفسهم تعلّم الصيغة الضرورية، كانت الرُقى والنصوص مسجلة على ورق البردي. وكان «كتاب الأموات» ـ كما دُعي ـ يُدفن مع المومياء. وهذا الكتاب الديني يحمل طلاسم ورموزًا سحرية، ويعود تاريخ بعض النسخِ التي وُجدت منه إلى زمن السلالة الثامنة عشرة...

١٥٠٠ق.م.

الريغ ـ فيدا

أناشيد «الريغ ـ فيدا»، أدب الهند القديمة، محض دينية في أسلوبها، ولكنها تعطي معلومات كثيرة جدًا حول الحياة في تلك البلاد خلال الألف الثاني من السنين قبل الميلاد. وهناك في «الريغ ـ فيدا» ١٠٢٨ مزمورًا مرفوعة الى الآلهة، وبسبب كونه أول الكتب في المدوّنات الهندية المقدسة، فإنه يُعتبر أقدم كتاب مقدس لدين حيّ.

١٥٠٠ق.م.

نشوء حضارة نهر الغانج

خلال الألف الثاني قبل الميلاد، كان الآريون قد توغلوا كثيرًا حتى بلغوا التخوم الهندية. فواجههم السكان البدائيون الأصليون ولكنهم اجتازوا الحدود وبدأ الصراع من أجل امتلاك الهند. وسرعان ما تراجعت الحضارات البدائية غير المتطورة أمام الآريين الأكثر تقدّمًا وبأسًا الذين راحوا يتقدّمون في البلاد حتى وصلوا الى نهرَي الغانج وجومنا. وقد انتهت هذه الهجرة حوالى السنة ١٥٠٠ق.م

وخلال السنوات الخمسمائة التالية، قدّم هؤلاء الغزاة الآريون ملوكًا أشداء حكموا قبائل عظيمة وممالك واسعة. ولم يتمّ لهم ذلك دون حروب متواصلة وخصوصًا مع السكان الأصليين غير المتحضّرين الذين كانوا يقطنون سهل البنجاب الفسيح، كما خاضوا حروبًا مع الدرافيديين الهنود الذين كانوا متحضّرين ومنظّمين جدًا. ولما أيقن الآريون انهم يجابهون مقاومة مختلفة تمامًا، استبدلوا سياستهم القائمة على الاغتصاب بسياسة الاندماج.

من ١٥٠٠ق.م الى ١٢٠٠ق.م.
بناء ميسينا

وصف هوميروس ميسينا بأنها «القلعة القوية الأساس الغنية بالذهب». وإذا استثنينا كنوسوس، فقد كانت أجمل المدن العواصم في عصرها، و«ذهبية» حقًا. بنيت في الأصل كقلعة صغيرة محصّنة جدًا على الساحل الشرقي لپولوپونيزيا، على مسافة ستة كيلومترات تقريبًا من ميناء نويلما.

وقد وسّعت هذه القلعة سلالة جاءت فيما بعد، وسوّرتها بجدار منيع. وكان هذا الجدار يضم «باب الأسد»، وهو ممر مزخرف عتبته العليا منحوتة تمثل آسادًا مرحِّبة وتحيط بعمود مقدّس.

كانت الحياة في هذا العصر المسيني في القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد مزيجًا من البساطة البدائية والفخفخة التي تكاد تكون حديثة. كل شيء ـ المباني والرياش والملابس ـ كان مزخرفًا ومزينًا بفن وحافلًا بالأشكال والصور. أما السقوف والجدران التي تزخر بالتصاوير الجصية وتبرز مشاهد الصيد البري والرقص والولائم، فإنها تعيد الى الذاكرة مرح الحياة ونشاطها في تلك الأيام، كما تبرز أيضًا أن رجال ميسينا كانوا يختلفون تمامًا عن رجال اقريطش لكونهم محاربين أطول قامة، ويطلقون لحاهم، في حين أن الاقريطشيين كانوا قصارًا وحليقي الذقون وأقلّ عدوانية.

كشف العالم الاركيولوجي المجدّ شليمان الأضرحة الملكية في ميسينا، وعثر فيها على أقنعة وآنية وخواتم وكؤوس خمر وعقود، وكلها مشغولة بالذهب بإتقان، ويعتقد أن هذه الكنوز كانت من عمل صنّاع مينويين استوطنوا ميسينا.

وكانت الأضرحة تُعرف باسم تولوس ـ أو الأضرحة «القفير» بسبب شكلها الغريب. غير أن معظمها حطمته وبعثرته الأيام، والغزاة النّهابون، مع أن

أكبرها المعروف باسم « كنز اترسوس » ما يزال يكشف بعضًا من روعته السابقة. انه قبّة مبنية من الحجارة الثقيلة قطرها حوالى خمسة عشر مترًا، ولها عتبة تعلو الباب تزن أكثر من أربعين طنًا.

من ١٣٦٢ق.م. الى ١٣٥٦ق.م.
حكم توت عنخ آمون

كان أحد فراعنة مصر امنحوتب الرابع ديّناً كبيرًا، لم يحاول وحسب إبطال عبادة الآلهة القديمة في بلاده، بل نقل العاصمة من طيبة الى تل العمارنة. وقد أقلق ذلك بالطبع الكهنة، وبدت الحرب الأهلية محتومة عندما توفي بغتة في السنة ١٣٦٢ قبل الميلاد. وقد أعاد صهره الشاب توت عنخ آمون المقر الملكي الى طيبة وجدّد الديانة القديمة.

ومع أنه لم يكن أميرًا مهمًا ـ ولم تتجاوز سنه لدى وفاته الثامنة عشرة ـ فإن الكهنة الشاكرين المقرّين بالجميل أغنوا ضريحه بالكنوز التي لا تقدّر بثمن. وبقي هذا الضريح مخفيًا طوال ثلاثة آلاف سنة. وسنتحدث عن اكتشافه عندما نصل الى السنة ١٩٢٢ للميلاد...

١٢٠٠ق.م.
نشوء القوة البحرية الفينيقية

عاش الفينيقيون طوال قرون في مدن تنتشر على ساحل حوض البحر الأبيض المتوسط مع أنهم خلال معظم ذلك الوقت كانوا تحت حكم فراعنة مصر. وحوالى السنة ١٢٠٠ ق.م.، مع ذلك، رأى الملوك الفينيقيون الفرصة سانحة للتخلص من هذا النير والتنعّم بالاستقلال التام، مع أنهم كانوا مضطرين

الى الحرب للبقاء مستقلين. وكانت أهم المدن الرئيسية على الساحل صور وصيدا اللتان أصبحتا موطن أعظم البحّارة في العصر القديم.

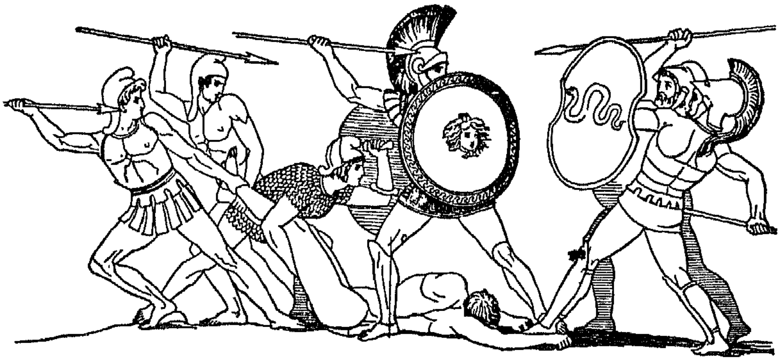
كان الفينيقيون متقدمين جدّاً في زمانهم، يبنون السفن التي تمخر عباب البحر الأبيض المتوسط وعبر مضيق جبل طارق. وكانوا يسترشدون النجم القطبي وموقع الفجر والغروب في شؤون الملاحة. وفي الواقع إن قارة أوروبا تستمد اسمها من الفينيقيين، وبالتحديد من أسطورة أوروبا، ابنة ملك صور، وشقيقة قدموس. وكانوا كذلك تجاراً، وقد اخترعوا الأبجدية، وابتكروا أسلوباً للكتابة فيه توفير للوقت. وقد انتقل هذا إلى اليونان ثم إلى روما، ومن هناك الى سائر أرجاء اوروبا.

السنة ١١٩٣ ق.م.
تدمير طروادة

كانت مدينة طروادة القوية تقع على الزاوية الشمالية الشرقية من بحر ايجه. وكانت شديدة الغنى لأنها كانت تفرض ضريبة على كل التجار المنتقلين بين اوروبا وآسيا ممن كان معظمهم يفضّل استخدام المعبر البحري الضيّق بالقرب من طروادة نفسها. وقد سبق أن أشرنا الى مستوطنة طروادة في السنة ٢٨٧٠ ق.م.

كانت تحيط بالمدينة أسوار سميكة ضخمة يبلغ ارتفاع بعضها ستة أمتار وعرضه خمسة أمتار. وبفضل هذه الأسوار المنيعة، مقرونة بشجاعة المحاربين الطرواديين، قاوم هؤلاء بنجاح القوات المسلحة التي حشدتها اليونان طوال سنين عدّة.

ولكن كيف سقطت إذن طروادة؟ إن شليمان الذي قام بالحفريّات بكل صبر ودقة بين حطام العصور ليعثر على تسع مدن، لم يستطع إلا أن يقدم هذه



هؤلاء المحاربون اليونانيون يحاربون بحماية دروعهم.

الفرضية وهي انه على الصعيد الأدنى لم يكن هناك إلا قرية، ولكن كل مدينة تعاقبت راحت تكبر حتى تم الكشف عن مدينة ضخمة، ذات سور عظيم وفيها منازل فخمة. ولقد تأثرت، على ما يبدو، كثيرًا من هزة أرضية إلا أنه أعيد بناؤها بشكل أكثر زخرفة. تلك كانت المدينة التي دمرها اليونانيون. وعلى الرغم من أنها بنيت مجددًا على قياس أصغر كثيرًا، فقد اختفت حوالي القرن الخامس ق.م.

من ١١٢٢ ق.م. الى ٢٤٩ ق.م.
سلالة تشو

بلغت سلالة شانغ الصينية التي عمّرت خمسمائة سنة نهايتها عندما اكتسح الشعب الرهيب الآتي من الغرب والمعروف باسم تشو، البلاد. وقد تزاوج أفراده، مع سكان الصين السابقين. وشرعوا في تأسيس أسرة عاشت كذلك خمسة قرون. وخلال هذه الفترة قدموا الكثير من المجالات العلمية.

إن النموذج الأصلي للمرصد الفلكي أقامه ونغ وانغ، وهو مؤسس سلالة تشو. وقد أدى الرصد الفلكي الذي قام به رجاله الحكماء الى انشاء التقويم

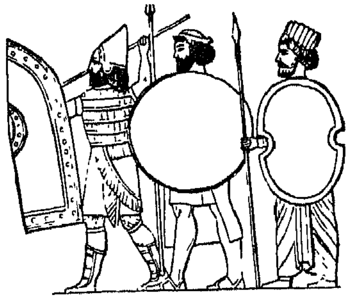
وتحديد تاريخ السنة الجديدة. وقد وضعوا سجلات دقيقة تتعلق بالكسوف والخسوف. وخلال هذه الفترة أيضًا حققوا تقدمًا في ميدان الطب وخصوصًا في دراسة العقاقير الشافية وفي مجال المعالجة بوخز الإبر.

وكان الصينيون في ذلك الزمن فنانين كبارًا، وكانت الخرائط التي رسموها لقباطنة سفنهم الشراعية المعروفة باسم النيك على أحسن ما يكون من الناحيتين الزخرفية والعملية. وكُتبت خلال حكم سلالة تشو الكثير من المقطّعات الأدبية الرائعة. وظهرت الطاوية ـ وهي فلسفة دينية مبنية على تعاليم المفكر لاو تسي، وتُعتبر بالإضافة الى الكونفوشيوسية والبوذية، أحد أديان الصين الثلاثة. وكذلك ظهور قاموس يُعتبر أول قاموس في العالم خلال هذه الفترة التي تميزت بالتقدم العلمي والثقافي الكبير.

١١٠٠ ق. م.
تأسيس الامبراطورية الأشورية

في الوقت الذي حكم فيه ملوك أُور «بلاد ما بين النهرين» كانت إحدى مدنها تدعى أشور، موطن الشعب الساميّ المعروف بالأشوريين. وكانوا يتكلمون لهجة من لهجات اللغة الأكـدية التي تختلف جدًا عن لغة أبناء عمومتهم البابليين في الجنوب. وكانوا تجارًا بصورة رئيسية، يتاجرون بالأنسجة والمعادن فيرسلون قوافل الجمال والحمير الكثيرة عبر بلاد ما بين النهرين ليبلغوا مستعمرتهم التجارية في كانيش الباعدة مئات الكيلومترات عن أشور.

ولما كان الأشوريون يعتمدون في حياتهم على هذه الطرق التجارية، فقد كانوا يرسلون باستمرار كتائب قوية من الجنود المسلحين على ظهور الجياد لحماية القوافل من هجمات البدو في الصحراء. وغالبًا ما كانت هذه



جنود أشوريون مستعدون للهجوم.



مثال جيد للنحت الأشوري

المناوشات تتطور الى معارك على نطاق ضيق وصغير ، كانوا في معظم الأوقات المنتصرين فيها .

وفي فترة من الفترات، حكم هذا الشعب حمورابي، ملك بابل، ثم حكمه الحثيّون الأشداء. ولما تهاوت هذه الامبراطورية حوالى السنة ١٢٠٠ ق.م، عزم الأشوريون على أن يتحرروا أو يستقلّوا. وبفضل أسلحتهم الحديدية المتفوقة ومهارتهم، التي أظهروها خلال قرون من معارك الصحراء ، ما لبثوا أن أثبتوا انهم لا يُقهرون. وبقيادة مليكهم تغلات - بيليسر الاول - اندفعوا هاجمين بعنف على بابل واحتلوها. فسيطروا في السنة ١١٠٠ ق.م. على امبراطورية شاسعة مترامية الأطراف.

٨٥٠ق . م .

أعمال هوميروس

يصوّر التاريخ هوميروس، الشاعر اليوناني الآسيوي الكبير، تقليديًا، رجلاً ضريرًا فقيرًا معدمًا عجوزًا ، يتنقل من قرية الى قرية، منشدًا أشعاره التي كُتبت فيما بعد . أما العملان الادبيان الرئيسيان اللذان يقترنان باسمه فهما « الالياذة » التي تروي قصة حصار طروادة، على أيدي الإغريق، وسقوط هذه المدينة

بواسطة حصان طروادة الخشبي المعروف الذي يُعتبر من أشهر الخدع الحربية في التاريخ. أما «الاوذيسة» فهي تروي المغامرات الكثيرة التي قام بها البطل أوديسيوس (أو أوليسيس) لدى عودته إلى منزله من الحروب الاغريقية.

٨١٣ق. م.
تأسيس قرطاجة

مع انقضاء السنين نمت شهرة الفينيقيين وثرواتهم. فقد كانت مستوطناتهم، وأكبرها صور وطرابلس وجزيرة أرواد وصيدا، تعجّ بالنشاط المتواصل. وكانت سفنهم تنتظر في هذه الموانئ في حين كانت قوافل الصحراء تُقبل من مصر وبابل والجزيرة العربية، وحتى من الصين، ناقلة الأحمال الثمينة من التوابل والبهارات والبخور والعاج والابنوس الجاهزة للتصدير الى كل مكان تقريبًا من العالم المعروف آنذاك، بما في ذلك غرب افريقيا وبريطانيا.

وفي السنة ٨١٣ ق. م. أسس الفينيقيون مدينة قرطاجة في شمال أفريقيا، فبنوها في خليج ليس بعيدًا عن مدينة تونس الحديثة. وتروي الاسطورة أن ديدون الصورية وصلت الى هذه المدينة، وقد سمح لها السكان بأن تقتطع من الأرض قدر ما يمكن أن يغطيه منها جلد ثور. وبذكائها ودهائها أمرت بأن يُقطع جلد الثور الى أشرطة رفيعة بحيث صنعت منها حبلاً ضمَّ منطقة فسيحة وكبيرة بنت عليها مدينة قرطاجة. وقد سمّت قلعتها «بيرسا»، من اللفظة اليونانية التي تعني جلد الثور. ونمت المدينة حولها.

٧٧٦ق. م.
الألعاب الاولمبية الاولى

جُدِّدت الألعاب الاولمبية التي تقام اليوم مرة كل أربع سنوات في السنة



مشهد من الألعاب



الأبطال يستعدون

١٨٩٦، بعد فترة طويلة من التوقّف دامت ألفين وخمسمائة سنة بعد اقامتها للمرة الاولى. وكانت الألعاب الأصلية تقام وسط سلسلة الجبال الشمالية ـ الغربية في آسيا في مدينة أولمبيا المقدّسة في اليونان، مرة كل خمس سنوات، وعندما يكون القمر بدرًا بعد انقلاب الشمس الصيفي. وخلال شهر المهرجان الرياضي للألعاب الاولمبية، كانت تُعقد الهدنة في كل أرجاء اليونان، ولم يكن ليُسمح لأحد من المشتركين في هذه المباريات، ولا لأيٍّ من المشاهدين بحمل السلاح.

وتقع اولمبيا تحت المرتفع كرونوس المخروطي الشكل حيث ما لبث البستان المقدس ـ أو ما يسمى باليونانية «آليتس» أن أصبح محاطًا بالهياكل وأكثرها يضمّ أعمالًا فنية رائعة في جملتها تمثال زيوس ـ أو جوبيتر، ربّ الأرباب الذي صنعه النّحات الشهير فيدياس وقد اعتُبر احدى عجائب الدنيا السبع في العالم القديم. وبالقرب من «آليتس» كان يقوم المدّرج، أو مضمار سباق العدو حيث كان بوسع ٤٥ ألف مشاهد متابعة المباريات الجارية.

٧٥٣ق.م.

تأسيس مدينة روما

حوالى السنة ١٠٠٠ قبل الميلاد تحركت موجة من الغزاة من أصل هندي ـ

اوروبي عبر ممرات جبال الألب واحتلّوا أجزاء من ايطاليا الوسطى والجنوبية. وكانوا، في الدرجة الأولى، من قبائل أربع هي: قبائل السابين والسنيين والاومبريين واللاتين.

استوطن اللاتين ايطاليا الوسطى، وبنوا قرى صغيرة لسكناهم. وفي السنة ٨٠٠ ق.م، وعندما بلغ عدد هذه القرى الأربعين صمّموا على بناء مدينة، فاختاروا موقعًا بالقرب من نهر التيبر هو كناية عن مستنقع كئيب موحش لا أثر في معظم أطرافه للملاريا، وراحوا ينظفونه ويجعلون المنطقة السبخية صالحة للسكن.

وأثناء عملهم كانوا مهددين باستمرار من جيرانهم الاتروريين - وهم سكان أتروريا، البلاد القديمة في غرب ايطاليا - وكانوا إلى الجانب الشمالي لنهر التيبر. ولما أيقنوا أن أعداءهم لا يمكنهم اجتياز النهر إلا من نقطة واحدة، وان منحدر هضبة بالاتينا معتدل ويشرف على هذا الموضع من النهر الذي يسهل خوضه، اختاروا ذلك موقعًا لبناء مدينتهم الجديدة.

هناك اسطورتان تحكيان قصة تأسيس هذه المدينة. إحداهما تعزو الفضل في ذلك إلى المحارب البطل الطروادي اينياس، والأخرى وهي الأكثر شعبية وشهرة، تعيد الفضل في بنائها الى اثنين من ذريّته هما الأخوان التوأمان رومولوس وريموس اللذان ربتهما ذئبة.

أما التاريخ الذي وضع لتحديد تأسيس روما فهو، على ما تروي الأسطورة، نيسان من السنة ٧٥٣ ق.م. وبحسب التقليد أُشعلت النيران في أغصان مقطوعة، وراح كل رجل يقفز خلال النيران لتطهير نفسه من الشر. ثم عمد رومولوس الى شد بقرة وثور أبيضين الى نير وحرث ثلمًا أو أخدودًا على طول خطوط الأسوار العتيدة. وفي تلك الأيام كانت هذه الخطوط تعتبر مقدسة، وكان الدخول من غير المكان المتروك للأبواب يعتبر تدنيسًا وانتهاكًا للقدسية. غير ان ريموس، وقد تأكله الحسد، قفز من فوق الثلم صائحًا: «هل

إن مثل هذه الحصون ستحمي مدينتك؟» وقد صُعق بسبب كفره، وعلّق رومولوس على ذلك بقوله: «ليكن ذلك مصير كل من يقفز فوق أسواري».

وقد حكم روما سبعة ملوك حتى السنة ٥٠٩ ق. م عندما أصبحت جمهورية.

٦٢١ ق. م.
قوانين أثينا

خلال القرن السابع قبل الميلاد كانت اليونان تمر في فترة اضطراب عظيم. فقد نشأ وضع عاملت فيه الارستقراطية البشر الاحرار معاملة العبيد الأرّقاء. وظهر أيضًا نوع من الحكام عُرف باسم «الطاغية»، وازداد ظلم الأحرار واضطهادهم.

وتقرّر، بغية تجنّب الحرب الأهلية، منح أحرار أثينا صوتًا في الحكومة يشبه ذلك الذي تمتعوا به زمن أجدادهم الآخيين. وطُلب الى نبيل يدعى دراكو أن يسنّ مجموعة من القوانين يمكن أن تحمي الفقير من الغني. فبدأ العمل سنة ٦٢١ ق.م، ولكنه لما أنجزه كانت «قوانينه الدراكونية» مع عدم تحيّزها، تتضمن عقوبات شديدة القسوة بحيث كان من الصعب تطبيقها.

وبعد ذلك بخمس وعشرين سنة، عُيّن رجل أكثر انسانية يدعى صولون رئيسًا للقضاء في أثينا على أمل أن يتمكن من حل المشكلة. فعالج ذلك بعدد من الاصلاحات كان لها أن تحسّن وضع الأحرار والفلاحين دون التأثير في ازدهار وضع النبلاء. وفي الواقع بمعاملته العامة هكذا ـ واللفظة اليونانية لذلك هي «ديموس»، يستطيع صولون أن يدّعي أنه أوجد الديمقراطية ـ وهي حكم الشعب.

٦٢٠ ق . م .

ايزوب يكتب الخرافات

يُزعم أن الكاتب اليوناني أيزوب كان عبدًا من فريجيا وسيده أيادمون من آموس، فلما تكشّفت له عبقريته أطلق له حريته. وهو خالد بحكاياته « الخرافات »، ذات المغزى، التي تدور على ألسنة الحيوانات مع أنه لم يدوّنها شخصيًا وهو في قيد الحياة. وكل هذه الحكايات التي نسج على منوالها كل من بيدبا الفيلسوف في الشرق في كتابه « كليلة ودمنة » الذي عرّبه عبدالله ابنُ المقفّع، ولا فونتين في الغرب هي رسوم ساخرة ذات مغازٍ « هادفة ». وأشهر خرافات ايزوب « الذئب في ثياب حمل » و« الضفادع التي تطلب مُلكًا ».

٦٠٤ ق . م .

مولد لاو تسو

كان الفيلسوف الصيني لاو تسو أول أعظم ثلاثة زعماء دينيين في الشرق، أما الاثنان الآخران فهما كونفوشيوس وبوذا. وقد بشّر بأن الحياة ينبغي أن تُصرف في السعي إلى « الطاو » أو الطريقة التي هي فضيلة الفردية، مقدمًا الحياة الأبدية من خلال تفهُّم طرائق الطبيعة السرية. أما رسالته « طاو طه كنغ »، فقد شكّلت فيهما بعد أساس الديانة الطاوية.

وقد نافست الطاوية طوال ألفي سنة الكونفوشيوسية في التأثير في الفلسفة والحياة الصينيين. ولم يخلُ أي مظهر من مظاهر الثقافة الصينية من تأثيرها. وفي الوقت الحاضر، تمثّل الطاوية حركتين مختلفتين، احداهما فلسفية تدعى طاو ـ تشيا، أو المدرسة الطاوية، والاخرى دينية تدعى طاو ـ تشياو، أو الديانة الطاوية. وفي الغرب غالبًا ما كانوا يخلطون بينهما ويطلقون عليهما معًا اسم الطاوية.

٦٠٠ ق . م .

تعاليم زرادشت

كان زرادشت مشترعًا كبيرًا ونبيًا في بلاد فارس القديمة. ولكن قليلة هي المعلومات التي نعرفها عن حياته. كان يرى الحياة صراعًا مستمرًا بين الخير والشر من أجل السيطرة؛ وكانت النار، رمز النظافة، جزءاً عامًا من شكل العبادة الزرادشتية التي كانت نهايتها مع ذلك في منتصف القرن السابع بعد الميلاد بظهور الاسلام.

٦٠٠ ق . م .

الهجرات الكلتية

كان الكلتيون الذين يستمدون اسمهم من التسمية اليونانية لكل من عاش في شمال اوروبا ـ كلتوي، أو الهمجيون وغير المتمدنين ـ شعبًا محبًا للحرب من أصل هندي ـ اوروبي استوطنوا اوروبا الغربية والوسطى خلال العصرين الحجري والبرونزي الجديدين. وقد تطورت حضارتهم تدريجيًا، وتمحورت حول شمال شرق فرنسا، وجنوب غرب المانيا وبوهيميا.

وقد اضطرهم غزو القبائل الجرمانية الشمالية الى الهجرة جنوبًا شطر اليونان وايطاليا، وغربًا الى غربي فرنسا واسبانيا. وحملت الموجات الكلتية المتعاقبة العصر الحجري الى بريطانيا حيث كان سلطانهم مسيطرًا حتى زمن الاحتلال الروماني في السنة ٤٣ بعد الميلاد.

والحضارة الكلتية في الجزر البريطانية التي طالما كانت تدفع غربًا على أيدي الانكلوسكسون والنورمان ما تزال الى يومنا هذا حيّة في كلٍ من مقاطعة ويلز واسكتلندا وايرلندا وجزيرة مان، وكذلك في فرنسا ومنطقة بريتاني في شمالها. وتتألف اللغات الكلتية الحديثة من مجموعتين رئيسيتين هما مجموعة

اللغة الغويديليك ومجموعة اللغة البريثونية.

ومع أن القبائل الكلتية كانت محبة للحرب والمنازعات، فإن أفرادها كانوا مزارعين ناجحين وصناعًا وحِرفيين ماهرين، أنتجوا الكثير من الزخارف النادرة الجمال، والمعقّدة التصاميم. وكان كهنتهم المعروفون باسم «الدرويد» يتعاطون بالفلسفة والشعر ويقومون ايضًا بتقديم القرابين الحيّة. وقُدِّر للهجرات الكلتية أن تبدّل وجه اوروبا وتُدخل اليها حضارة فريدة في نوعها.

٥٨٦ ق. م.
نبوخذنصّر يحرق القدس

كان نبوخذنصّر الكلداني الذي توفي السنة ٥٦٢ ق. م. قد اكتسب الشهرة العريضة كمحارب قبل أن يخلف أباه نابويولصّر على عرش بابل في السنة ٦٠٥ ق.م. وقد حمله عصيان حدث في صور على قيادة جيش لمحاربة قلعة الفينيقيين التي اضطر الى محاصرتها طوال ثلاث عشرة سنة.

ولما احتل هذه المدينة مضى لمجابهة ثورة اخرى. وقد حدثت هذه الثورة في القدس في فلسطين، بقيادة يهواكيم، من مقاطعة يهوذا. وفي السنة ٥٩٧ ق.م، احتل المدينة الثائرة ونصّب على عرشها ملكًا جديدًا هو زيديكيا. ولكن هذا ثار كذلك على سيده فعاد مع ذلك نبوخذنصّر غاضبًا وهاجمها مجددًا. ولكنها في هذه المرة قاومته مدة ثمانية عشر شهرًا. وقد باتت حياة المحاصرين فيها قاسية وصعبة بعد أن قلّت المخزونات من المواد الغذائية، وتفشّى الجوع في أرجاء القدس.

وأخيرًا في السنة ٥٨٦ ق. م، تصدعت الأسوار واندفع الكلدانيون داخلين المدينة. وقتل أبناء الملك زيديكيا، ووقع هو في الأسر فقيّد بالسلاسل وحُمل الى بابل حيث توفي في السجن. وقد هدمت أسوار القدس ونُهب الهيكل والقصر ومنازل النبلاء، ثم احرقت جميعًا وأُسر عدد كبير من العبرانيين ونُقلوا الى بابل.

حوالى ٥٦٠ ق.م.
مولد بوذا

غوتاما بوذا الذي أبصر النور السنة ٥٦٠ وتوفي السنة ٤٨٣ ق. م.، كان اسمه عند ولادته سوهارتا، وهو ابن نبيل عاش في شمال الهند. وقد دلّله كثيراً والده الشديد الثراء. فلما تقدّم في السن رأى ثلاث رؤى يُزعم انها بدّلت مجرى حياته. وكانت تلك الرؤى رجلًا اثقلته السنون وأضعفته، وآخر مقعدًا ومجذومًا، وثالثًا جثة هامدة. فحمل كل ذلك اليه حقائق الحياة، فعزم على البحث عن وسيلة لمساعدة اخوانه بني البشر. وأدار ظهره لمنزله ولزوجته وابنه الصغير، ومضى يبحث ويتقصّى.

في البدء حاول أن يعيش كالبراهمة، وهم أفراد طبقة الكهنوت العليا عند



تمثال بوذا مصنوع من الحجر الرملي.

الهندوس ـ ويعتقدون بأن الانسان يمكنه وحسب، بلوغ حالة الكمال اذا ما اهمل جسده وصام باستمرار، الّا ان بوذا كاد يقضي من نتائج هذا النكران الذاتي. فعمد الى وضع ديانة تعارض البرهمانية السائدة. فكانت خالصةً، واخلاقيةً، وانسانية، في اصلها، على الرغم من أنها امتزجت فيما بعد بالعبادة الوثنية لسائر الآلهة. ولما كانت تتضمّن رفضًا لنظام الطبقات فقد تبنّاها بشغف شديد سكان الهند غير الآريين.

ومن أقواله: «إن للدين الصحيح ركنًا يجب أن لا ننساه، وهو علاقة الانسان بالانسان».

ولعل بوذا كان يعتقد أن علاقة الانسان بالانسان، إذا صحّت، صحّت معها علاقة العابد بالمعبود!

وقد حوّل بوذا النرڤانا = (حالة الراحة الأبدية وانعدام النزوات) ـ وهي أسمى منشودات الدين البراهمـي ـ إلى مجرى اجتماعي وحدَّدها بأُمور ستة هي: إعطاء الصدقات، وتنزيه الأخلاق، وطلب المعرفة، ومجاهدة النفس، والصبر، والحسنى.

حوالى ٥٥٣ ق.م.
أعمال فيثاغوراس

كان فيثاغوراس يونانيًا استقرّ في كروتونا في جنوب ايطاليا، وأسس مدرسة «الفيثاغوريين». وهو يُعتبر أحدَ اعظم فلاسفة الاغريق الاوائل على الرغم من ان معظم اعماله المبكرة كان يقوم على اساس المعرفة المتراكمة في العالم القديم. وقد أدخل مجددًا المعلومات الفلكية الى عصره مما عرفه قدامى المصريين والبابليين.

وكان اعظم اكتشافاته في الموسيقى، ذلك بأنه كان اول من حدَّد ان الجواب له ثماني نغمات موسيقية، او نوتات.

اما نظريته الشهيرة المتعلقة بالمربّع على وتر المثلث (ذي الزاوية القائمة) فقد كان مصدرُها دراسة المهندسين المصريين القدامى الذي بَنَوا مثّلثًا جوانبه

بنسب ٣ : ٤ : ٥ ، لكي يصنعوا زاوية مستقيمة. وبالرياضيات اثبت ان الأرض كروية ، وكانت تُعتبر سابقًا مسطَّحة. وكان فيثاغوراس يعتقد ايضًا بأن ارواح الموتى تعود الى الارض ، وأحيانًا في اجساد حيوانات.



كونفوشيوس

حوالى ٥٥٠ ق.م.
مولد كونفوشيوس

كانت الكونفوشيوسية ثالث حركة دينية كبرى في الشرق، وقد سُمِّيت كذلك على اسم مؤسسها كونغ ـ فو ـ تسيبه ـ اوكونفوشيوس الذي ابصر النور السنة ٥٥٠ وتوفي السنة ٤٧٩ ق.م.. في صباه أسّس مدرسةً للتعليم، وقد راقت المبادئُ التي كان يبّشر بها ويدرّسها للرجال « العلميين ». وكانت في اساسها نظامًا اخلاقيًا. ولكن لما كانت لا تتضمّن عبادة إله، فلا يمكن ان تدعى « ديانة »، في معنى الكلمة الحصري والمتعارف عليه.

كانت تمجّد العالَمَ الحاضرَ، وتميل الى الشك في وجود عالم آخر عتيد، وتطلب من كل الذين يمارسون الكونفوشيوسية ان يُنمّوا كل الفضائل الحميدة القيّمة، من مثل الكد، والمثابرة، والتواضع، والرزانة، والاعتدال في تناول الطعام او الشراب، ومراعاة حقوق الآخرين ومشاعرهم. وقد اجتذب كونفوشيوس عددًا كبيرًا من التلاميذ والحواريين الذين دفنوه بعد وفاته بأبّهة وعظمة. ولدى رحيله عن هذا العالم السنة ٤٩٧ ق.م. أصبحت الكونفوشيوسية بسرعةٍ الدينَ الرسميَّ في الصين.

حوالى ٥٣٨ ق.م.
قورش يستولي على بابل

كان قورش الفارسي المتوفى السنة ٥٢٩ ق.م.، وقد عُرف فيما بعد بلقب «الكبير»، احد اشهر المحاربين في العالم القديم. قُدِّر له ان يَصهَر جماعةً من الرجال السيّئي التجهيز والتدريب في جيش عظيم أسس بواسطته اول امبراطورية كبيرة حقًا. ويزعمون أن قورش قال في هذا الصدد: «ان الله قد منحني كل ممالك الارض».

قاد في بادىء الأمر رجاله ضد استياغس، ملك ليديا السنة ٥٥١ قبل الميلاد، ثم في السنة ٥٤٦ ق.م. هاجم ليديا، مدينة الملك كريزوس الذي يرادف اسمه حتى اليوم الغِنَى الفاحش. وبعد ذلك تحوّل الى مهاجمة بابل، وكان يحكمها إذ ذاك نابونيدوس الذي أهان الكهنوت التابعين للإله «بِلْ مردوك» وجاء بآلهة أخرى.

ظهر قورش أمام الأسوار المنيعة حول المدينة العظيمة في السنة ٥٣٨ ق.م.، فجرت مناوشة قصيرة، ثم بمساعدة الكهنة دخل هو وجنوده المدينة دون قتال.



قورش الكبير، أحد أبرز ملوك الفرس.

ودلّل على انه حاكم انساني يحترم العادات والتقاليد والديانات المحلية، حتى انه سمح لليهود الذين كان قد مضى على منفاهم فيها زمن طويلّ بمغادرة بابل والعودة الى القدس.

حوالى ٥٢٠ ق.م.
باغودا شوي داغون في بورما

يزعمون ان اثنين من اغنياء التجار البورميين سنحت لهم الفرصة بأن يجتازوا قرية بوذا. فقدمّوا اليه هدية، وبالمقابل اعطاهم النبي البوذي ثماني شعرات من رأسه. فقرّرا ان يبنيا هيكلًا لحفظ هذه الشعرات فيه، وكانت النتيجة الباغودا - وهي الهيكل المتعدد الادوار - المعروفة باسم «شوي داغون»، من اجمل الهياكل في العالم قاطبة، واكثر الاماكن المقدسّة احترامًا في الهند الصينية.

حوالى ٥١٧ ق.م.
خريطة العالم لهيكاتيوس

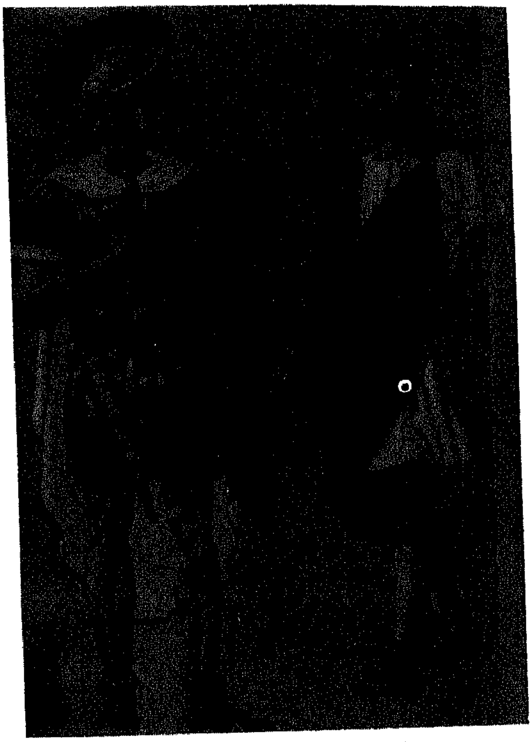
كان هيكاتيوس من اوائل المؤرخين الاغريق - قام برحلات متعددة في بلدان كثيرة، ثم عَزم على وضع كتاب يضمّنه تجاربه واختباراته. وقد اطلق عليه عنوانًا رنّانًا مثيرًا هو «جولة حول العالم». فكان حقًا مشوّقًا لأنه زيّنه بخريطة، أظهرت العالم شبيهًا بقرص مقسوم قسمين متساويين، هما اوروبا وآسيا.

حوالى ٥٠٩ ق.م.
تأسيس الجمهورية الرومانية

في السنة ٥٠٩ ق. م. طرد تاركوين المغرور، آخر الملوك الرومانيين الذي دام حكمه من السنة ٥٤٣ إلى السنة ٥١٠ ق. م.، من المدينة بسبب عمل شائن اقترفه. وقد قاد العصيانَ عليه أربابُ الأُسر في العشائر الرومانية. ولما كانت لفظة «ملك» بحد ذاتها باتت كلمة مكروهة، فقد تأسست جمهورية، وأُنشىءَ مجلسٌ للشيوخ مؤلَفٌ من زعمائها، وعُيِّن اثنان من اعضائه قنصلَيْن.

وكان القنصلان الحكّام الفعليين لروما، ولكي لا يكتسبا المزيد من السلطان والقوة كان يتحتم عليهما اخلاء منصبيهما بعد سنة واحدة من الحكم.

وهكذا كانت الجمهورية تحت حكم القنصلَيْن ومجلس الشيوخ، وكذلك الشعبُ نفسُه. وقُسِمَ مواطنو روما قسمين هما: طبقة الارستقراطيين الذين كانوا يتولَّون المناصب العامة اوتوماتيكيًا، وطبقة العامة التي كان افرادها يؤلفون اغلبية المواطنين الاحرار وينتخبون ممثليهم.

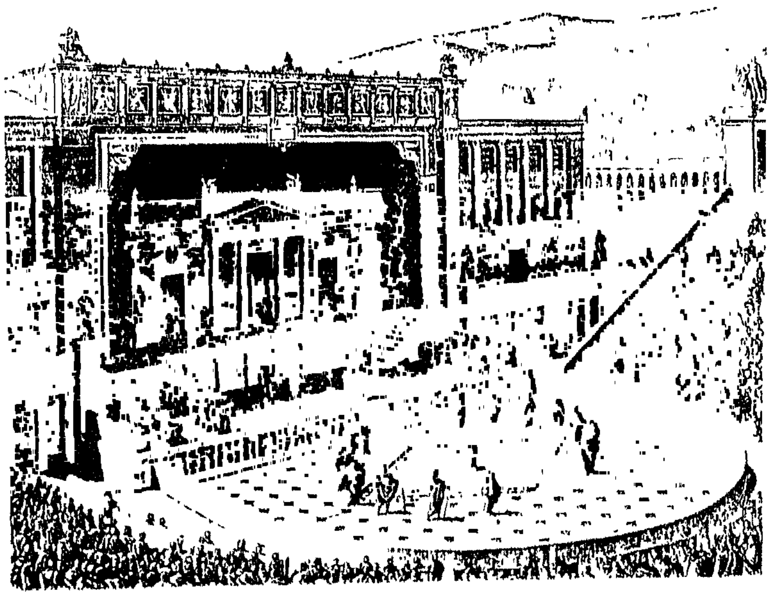


موظفان في الجمهورية الرومانية: البريتور (القاضي) - إلى اليسار - واللكتر - إلى اليمين - ومهمته افساح الطريق أمام الحاكم الروماني في الاحتفالات العامة، وهو يحمل الحزيمة - من شعارات السلطة عند الرومان.

وحوالى السنة ٥٠٦ قبل الميلاد ، شرع سكان روما الجمهورية في العمل ببناء الكابيتول ، وتشييد هيكل لجوبيتر فوق تلة كابيتولين ، احدى تلال روما السبع ، ليكون ذلك مقرًا لمجلس الشيوخ. وقد ادّى ذلك الى الأمجاد العظيمة التي عرفتها روما فيما بعد، وخلّدتها عندما نشطت حركة اقامة المعابد ، والحمّامات ، والمدرّجات ، والملاعب ، والميادين ، والقناطر النَصْرية!

حوالى ٥٠٠ ق.م.
بناء المسرح في دلفي

اولُ « رجال المسرح » في العالم كان يونانيًا يدعى تسبيس ، وقد عاش حوالى السنة ٥٠٠ ق. م. زعموا أنه قام بجولة في مختلف أرجاء اليونان مع فرقة من الممثلين المتجولين ، وحافلة كانت تُستخدم مسرحًا. وكان كذلك أولَ من قدّم ممثلاً بدلاً من الاكتفاء باستخدام الكورس التقليدي. وهكذا يكون اول مسرح حديث قد تأسس في اليونان القديمة.



مسرح ديونيسوس.

في بادىء الأمر ، كانت المسرحيات تُقدَّم كجُزء من المهرجانات الدينية

تكريمًا للإله ديونيسوس ـ او باخوس، وغالبًا ما كانت تدوم بضعة ايام.

وكانت المسارح اليونانية، كالمسرح الشهير في مدينة دلفي، تُبنى على سفوح الهضاب في الهواء الطلق. ومسرح ايبيدوراس الذي شيد السنة ٣٤٠ ق. م. هو أبلغ مثالٍ، وما يزال إلى اليوم يُستخدم لتقديم روائع مسرحية يونانية قديمة مثل أنتيغون لسوفوكليس الذي عاش بين السنة ٤٨٦ و٤٠٦ ق. م.، وأُورستيا لأسخيلوس الذي عاش بين ٥٢٥ و٤٥٦ ق. م.، وباكاي ليوربيديس الذي أبصر النور السنة ٤٨٠ وتوفي في السنة ٤٠٦ ق. م.

حوالى ٤٩٠ ق.م.
معركة ماراتون

خلف قَمبيْز الفارسي قورش الكبير، وقد اضاف مصرَ الى الامبراطورية الفارسية المترامية الأطراف، وتوفي السنة ٥٢٢ ق.م.. وجاء بعده داريوس الاول الميدي، ثالثُ الملوكِ الفرس الذي كان في الواقع ملك العالم. أبصر النور السنة ٥٤٩، وعاش حتى السنة ٤٨٦ ق.م. وقد ثارت المستعمرات اليونانية على طول ساحل بحر إيجه، التي كانت تدفع الضريبة السنوية لأسيادها الفرس، فقرر داريوس أن لا يُخضع المستعمرين اليونانيين وحسب، بل كذلك اليونانيين الاوروبيين.

وفي حوالى السنة ٤٩٠ ق.م.، نزلت قواته في سهل ماراتون شمال آثينا حيثُ منيت بالهزيمة على يد جيش أثيني أكره ما تبقّى من الجيش الفارسي على التراجع الى سفنهم. وما لبث ان قضى داريوس محطم القلب، فخلفه ابنه احشورش المولود السنة ٥١٩ والمتوفى السنة ٤٦٥ ق. م.، فعقد العزم على الانتقام له والثأر لهذه الهزيمة. ولما عُلم ان الامبراطور الفارسي يحشد اعظم جيش عرفه العالم حتى ذلك التاريخ تناست ممالك اليونان خصوماتها واتحدت معًا لمجابهة الخطر الذي يتهدد موطنها.

وجرت معارك عدة، وفي جملتها معركة ممر ثرموپيلي وسَلاميس السنة ٤٧٩ قبل الميلاد، ثم معركة پلاتايا بعدها بسنة واحدة، وقد حددت الهزيمة

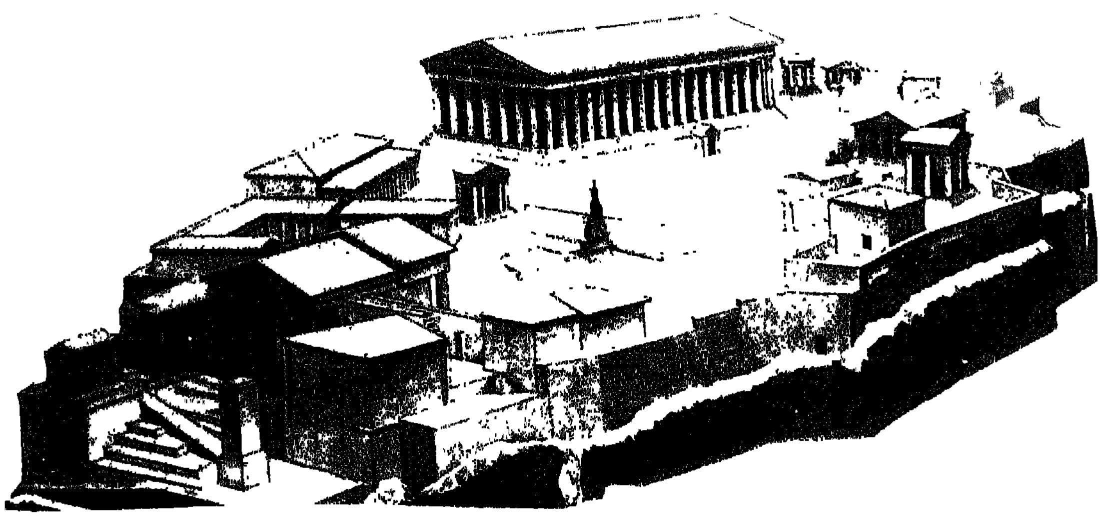
النهائية للفرس في اليونان. وتحددت نهاية الحرب السنة ٤٧٨ ق. م. باتحاد كونفدرالي لكل الدول اليونانية عُرف باسم العصبة الديليانية.

حوالى ٤٩٠ ق.م. - ٤٢٩ ق.م.
عصر بيريكليس

تحدّد العصبة الديليانية بداية عصر اليونان الذهبي الذي سيطر عليه طوال ثلاثين سنة احد ابرز الرجال في التاريخ بيريكليس الذي عاش بين السنة ٤٩٠ و٤٢٩ ق.م.. كان ابن والدين نبيلين وفّرا له في شبابه أفضل المعلّمين في يومه.

وقد أصبح السنة ٤٦١ ق. م. أحد زعماء الحزب الديمقراطي، وتولى الاشراف عليه اثر اغتيال زعيمه ايفيالتيس. وقد توسع في النظام الديموقراطي ملحّاً على اختيار كل موظفي الدولة، باستثناء القادة والقضاة، بالقُرعة. على ان يتقاضى كل من يتولى مثل هذه المناصب المدنية اجرًا مناسبًا لعمله، متيحًا هكذا لأفقر مواطن ان يصبح موظفًا.

غير أن عمله توقّف بسبب الحرب مع اسبرطة، منافسة اليونان الكبيرة التي اندلعت نيرانها السنة ٤٥٦ ق. م.، وقد أصبح بيريكليس نفسه أحد قادة



شُيِّد البارثينون على الاكروبوليس،في أثينا، في عهد ادارة بيريكليس.

الأثينيين، وانتهت الحرب بعد أربع سنوات، فتسنّى له أن يكرّس جهده لإعادة بناء مدينته العاصمة. فقد احرق العدو الكثير منها خلال الحروب الفارسية، فعزم بيريكليس على جعل أثينا أجمل مدينة في العالم. فعهد الى اثنين من أشهر المهندسين المعماريين هما ايكتينوس وكاليكرتيس، والرسام فيدياس الذين شيدوا البارثينون الرائع على قمة الاكروبوليس.

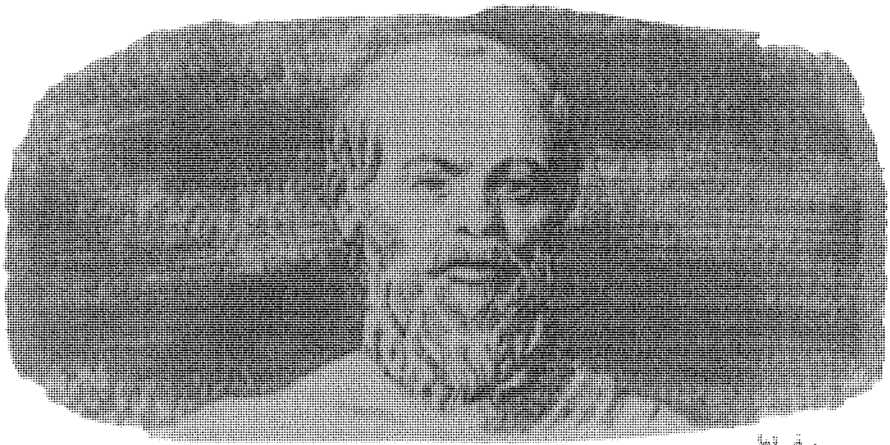
وتجاوز عمل بيريكليس اعادة بناء أثينا عمرانيًا، الى اعادة بناء العقول. فإلى جانب المهندسين والنحّاتين، جمع حوله عددًا من الرجال ما يزال تأثيرهم خالدًا الى يومنا هذا، امثال سوفوكليس ويوريبيديس الروائيين المسرحيين، وآناكزاغوراس الذي تكلّم على النظام الشمسي، وهيرودوتس، اعظم مؤرخي العالم القديم الذي كان يقدم المحاضرات حول رحلاته.

وقاد من جديد بلاده الى الحرب ضد الاسبرطيين السنة ٤٣١ قبل الميلاد، زمن الحروب البيلوبونيزية التي أسقطه فيها المجلس، الذي لم يرضَ عن استراتيجيته، إلّا انه اعيد الى منصبه قبل وفاته بسنتين اثنتين.

حوالى ٣٩٩ ق.م.
موت سقراط

كان سقراط الذي عاش بين السنة ٤٦٩ والسنة ٣٩٩ ق. م. شخصية مثيرة للجدل في المجتمع الأثيني، وقد أصبح أحد أعظم الفلاسفة الذين عرفهم العالم. كان محاطاً باستمرار بالناس من مختلف الاعمار، من الذين كانوا يودون ان يتعلموا منه. وكان اسلوبه الخاص في التعليم يقوم على السؤال والجواب، بحيث يتعلم المرء الحكمة من اطّلاعه على جهله واعترافه به.

وبسخريته السقراطية، غالبًا ما كان يفضح المغرورين والمدّعين ويصبغهم


سقراط

بصبغة السطحية والسخافة. ومع انه بذلك اكتسب عددًا كبيرًا من الأتباع من بين الشبان، الا انه صنع كذلك عددًا من الاعداء والخصوم من الذين ثَقَبَ فُقّاعَة اعتدادهم الموهوم بأنفسهم.

وفي السنة ٣٩٩ ق. م. جرت محاكمته بتهمة الكفر والإلحاد، وإفساد شبيبة المدينة بمحاضراته، وحُكم عليه بالموت، وفارق الحياة وهو يجرعُ سُمَّ نبتة الشُوْكَران. اما تعاليمه فقد حفظها من بعده كل من افلاطون، وزينوفون، وأرسطو.

٣٨٧ ق. م.
افلاطون يؤسس الاكاديمية

كان أفلاطون الذي امتد عمره من السنة ٤٢٧ حتى ٣٤٧ ق. م.، نبيلاً أثينيًا، لم يشأ ان يبلغ المناصب العليا كسائر أفراد اسرته، واختار ان يكون من تلاميذ سقراط. وعند وفاة معلمه تسلّم قيادة جماعة المستعلمين المتعطشين الى المعرفة، وأسس مدرسة في أثينا عُرفت باسم « الاكاديمية ».



أفلاطون يتحدث إلى تلاميذه.

وكانت النية من وراء هذه المدرسة تخريج ساسة ـ فلاسفة، ذلك بأنه كان ينتقد نظام الحكم الاثيني الذي كان يُسمح فيه لأُناس ليس لهم اي تدريب خاص بأن يحتلّوا مناصب سياسية هامة.

وقد عالج هذا الموضوع في احد مؤلفاته الاولى، كتاب «الجمهورية»، وفيه اوجز مثاله الاعلى ـ النخبة الارستقراطية، وكانت رسالته بسيطة، الجميع يستطيعون بطريقة اخرى اكثر حكمة اذا ما اختاروا ان يفكروا ويحققوا كل شيء بأنفسهم، ويعوا تمامًا امكاناتهم الخاصة. وكان منهمكًا في وضع عمل على جانب كبير من الاهمية يدعى «القوانين» عندما فارق الحياة في السنة ٣٤٧ ق. م.

حوالى ٣٣٨ ق.م.
فيليبوس المقدوني يغزو اليونان

مقدونيا مملكة صغيرة تقوم بين تراقيا وتساليا، ويقطنها شعب جبلي قوي خشن كان على قسط كبير من التحرر والاستقلال. ولكن، كأمة، لم تكن مقدونيا

معتبرة كثيرًا من قِبل جاراتها الدول اليونانية الاكثر قوة.

غير أن الملك فيليبوس الثاني المقدوني الذي عاش بين السنة ٣٨٢ والسنة ٣٣٦ ق.م.. صمّم على أن يبدّل تفكير تلك الدول ورأيها في مملكته. وكان دبلوماسيًا واستراتيجيًا لامعًا، نجح في صهر محاربيه المستقلين في جيش منظم، واعتمد نسقًا حربيًا جديدًا من حيث التسلح، فجهّز جنوده برماح طولها اربعة امتار، ودرّبهم على تكتيك جديد ايضًا في الحروب هو نظام الكتيبة. وقد منع جنوده المشاة العدو من التقدم برماحهم الطويلة، تاركًا الخيّالة المقدونيين حرة التصرّف للقيام بالهجوم على اضعف نقاط العدو.

واتحدت معًا دولتا أثينا وطيبة اليونانيتان لمحاربة فيليبوس المقدوني، والتقى الجميع في معركة كيرونيا في السنة ٣٣٨ ق.م.، حيث سجّل فيليبوس نصرًا مبينًا، فتح امام جيشه حدود اليونان.

حوالى ٣٣٦ ق.م.
اعتلاء الاسكندر الكبير العرش

بعد معركة كيرونيا في السنة ٣٣٨ ق.م. كان الملك فيليبوس المقدوني الثاني يتأهب لقيادة جيش يوناني ومقدوني، والزحف إلى بلاد فارس لوضع حد لامبراطوريتها. ولكن قبل تنفيذ خطته، اغتاله احد النبلاء، فتولّى ابنُه الاسكندر القيادة، وهو من مواليد السنة ٣٥٦، وقد عاش حتى السنة ٣٢٣ ق.م.، ومات شابًا.

وكان في الثانية والعشرين لما قاد جيشه في فتوحاته الشرقية، ولم يعد قط الى موطنه. وكان مقدّرًا له، حقًا، ان يصبح سيد العالم خلال السنوات الاحدى عشرة التالية، ويكتسب لقب الكبير ـ او الاسكندر ذي القرنين.

سار الى سوريا وهزم ملك الفرس داريوس الثالث الذي دام حكمه ثلاث سنوات بدءاً بالسنة ٣٣٦ ق. م.، وبعد معركة ايسوس التي دارت رحاها السنة ٣٣٣ قبل الميلاد، تحوّل الى احتلال صور بعد حصار دام سبعة اشهر، قبل ان يغزو مصر ويحتلها. ثم انه قاد جيوشه الى بلاد ما بين النهرين ليُنزل الهزيمة بداريوس الثالث مجدّدًا في معركة آربيلا السنة ٣٣١ ق. م.، ثم اندفع شرقًا على الرغم من تذّمر جيشه المتعب، حتى بلغ شمال الهند. وفي النهاية هبط صوب حوض نهر الاندوس، ثم وافق راضيًا، على قيادة محاربيه الذين احتلوا العالم، عائدين الى ارض الوطن. وبلغ مجددًا بلاد ما بين النهرين، ولكنه أُصيب بالحمّى في بابل في سن الثالثة والثلاثين، فكانت فيها وفاته.

حوالى ٣٣٥ ق.م.
ارسطو يؤسس مدرسة

كان احد ابرز تلاميذ افلاطون في الاكاديمية يدعى ارسطو، وقد ابصر النور السنة ٣٨٤ ق.م. . غادر أثينا لدى وفاة افلاطون السنة ٣٤٧ ق.م. ليتجول في العالم، معلّمًا على طول الطريق التي كان يسلكها. وكان احدَ تلاميذه العتيدين الاسكندر ذو القرنين، وقد علّمه ارسطو مدة ثلاث سنوات.

ولما عاد الى أثينا، اسس المدرسة التي عُرفت باسم «ليكيوم». وقد عُرف اتباعه باسم المَشّائين لان مدرسته كانت ذات حديقة، فيروح يتمشى فيها برفقة تلاميذه، متحاورين معًا في موضوعات فلسفية.

وبعد، يبقى ارسطو احد اعظم الفلاسفة اثرًا في مختلف العصور والامصار. ذلك بأن عمله يؤلف الاساس الحديث للمنطق الاستدلالي، كما ان عمله في

الاخلاقيات والجماليات كان له تأثير لا يمكن التنبؤ به في الحضارة الغربية.
ولأسباب سياسية اضطُر ارسطو الى الهرب من أثينا، وتوفي في خلسيس، في ايبويا السنة ٣٢٢ ق. م.

حوالى ٣٠٠ ق.م.
إقليدس ينشط في الاسكندرية

في السنة ٣٣٢ قبل الميلاد، أسس الاسكندر ذو القرنين المدينة الكبيرة التي سمّيت باسمه، الاسكندرية، عند مصب نهر النيل. وقد شيّد فيها مكتبة عظيمة، فاجتذبت بصفة كونها مركزًا للمعرفة عُرف باسم «المُتحف»، الكثيرين من العلماء من مختلف ارجاء العالم القديم.

وكان في جملتهم إقليدس الذي يُعتبر اشهر علماء الرياضيات في زمنه. ولا يُعرف تاريخا مولده او وفاته، إلّا ان الثابت انه درس على يد افلاطون في أثينا، قبل انتقاله الى الاسكندرية حيث انشأ مدرسة خلال حكم الفرعون بطلميوس الأول الذي امتدّ به العمر من السنة ٣٠٦ ق. م. إلى السنة ٢٨٣ قبل الميلاد.

وكان اهم اعماله «الأصول»، وتضمّه ثلاثة عشر كتابًا اعتمد فيها على عمل من سبقوه من الرياضيين، علمًا بأن معظم مضمونها كان اصيلاً ومبتكرًا كليًا. وقد فتح عالمًا جديدًا في الهندسة والرياضيات. ويُعتبر هذا العمل اقدم الكتب المدرسية العلمية في العالم، وهو ما يزال قيد التدريس دونما اي تعديل تقريباً لأكثر من الفين من السنين.

حوالى ٣٠٠ ق.م. - ٢٨٠ ق.م.
جَبّار رودس



إحدى عجائب الدنيا السبع في العالم القديم كانت تمثالًا جبارًا يقوم على مدخل ميناء رودس. وقد صُنع على شبه هيليوس، او ابولون، إله الشمس، وصممه المثّال شاريس. ولم يكد يمضي أكثر من خمسين سنة حتى دمرته هزة أرضية، فتحطم إربًا إربًا.

حوالى ٢٧٩ ق.م.
إنجاز مَنارة الاسكندرية

ومن عجائب الدنيا السبع الأخرى، المنارة الضخمة التي نُصبت في الاسكندرية. وقد بنيت من الرخام الابيض بناء على تصميم سوستراتوس من سيندوس، بارتفاع ١٨٠ مترًا. وكانت نارها تلمع باستمرار، وكان الضوء يُضاعف من حيث المدى الذي يومض اليه بفضل نظام مرايا بارع. وقد بقيت قائمة حتى القرن الرابع بعد الميلاد.

حوالى ٢٧٩ ق.م.
نظرية آريستَرْخوس الكونية

كان آريسترخوس عالِمًا فلكيًا من جزيرة ساموس اليونانية، عمل بين السنة ٢٨٠ و٢٦٤ ق.م.، وكان أول من أكّد، بايراد الدليل والحجة، على ان الأرض بدلاً من أن تكون وسط الكون، كما كان يُعتقد سابقاً، هي

واحدة من الكواكب السيارة العديدة التي تدور حول الشمس. وقد سبقت بعضُ نظرياته ما اكتشفه العلماء الفلكيون المتأخرون، من مثل كوبرنيكوس الذي عاش في القرن الخامس عشر بعد الميلاد.

حوالى ٢٧٥ ق.م.
هزيمة بيرّوس في بنيفنتوم

اثبت الملك بيرّوس الذي عاش بين السنة ٣١٨ والسنة ٢٧٢ ق. م. منذ نعومة أظفاره انه محارب ممتاز. وقد احتل معظم مقدونيا، ولكنه هُزم في ايديسا وأُكره على العودة الى مملكته في ايبيروس. وفي السنة ٢٨١ قبل الميلاد حارب روما، فقاد جيشًا قوامه خمسة وعشرون الف رجل. ولو انه تلّقى مساندة من سائر المدن اليونانية، فإن تاريخ روما ربما كان تبدّل الى ابعد الحدود.

كان بيرّوس يعتمد على خيالته والأفيال لإنزال الهزيمة بالجيش الروماني في هيراكليا، غير ان المجزرة في كلا الجانبين كانت رهيبة، ولم يكسب اي منهما في الواقع. وقد نتج من هذه المعركة عبارة «الانتصار البيروسي» - اي الانتصار الذي يُنتزعُ بثمن باهظ جدًا. وأخيرًا وفي بنيفنتوم في السنة ٢٧٥ ق. م. انهزم أمام جيش من الرومان والقرطاجيين. وعاد إلى ليبيروس، وواصل القتال حتى وافته المنية. وقد كتب تاريخًا حول فن الحرب أصبح عملاً كلاسيكيًا في العالم القديم.

حوالى ٢٦٤ ق.م.
ازوكا يصبح امبراطور الهند

تقول احدى الروايات إن آزوكا الذي حكم امبراطورية مترامية الاطراف في الهند من السنة ٢٦٤ حتى السنة ٢٢٤ ق.م.، كان مِسخاً

قاسيًا ، اعتلى العرش بعد التخلّص من كل اخوته. وقد أصبح ، فيما بعد ، بوذيّاً ورعًا تقيًا ، ويُعتقد انه كان شخصيًا المسؤول عن هذه الرواية لأنه اراد ان يُظهر تأثير الدين في طبيعته الاصلية المتعطشة للدم.

والحقيقة ان طبيعته تبدّلت الى درجة انه منع كل انواع الصيد ، وأوفد عددًا من الكهنة البوذيين يجوبون ارجاء مملكته ليتحدثوا عن قدسية الحياة ، وحتى حياة الحيوانات ، والطيور ، والحشرات. وأوفد كذلك كهنة مبشّرين الى ابعد اجزاء امبراطوريته الواسعة ، والى بلدان كثيرة وراءها ليُحدّثوا اهليها عن بركات البوذية. وكانت سيلان - سري لانكا اليوم - احد البلدان التي تقبّلت ديانته.

وكان آزوكا احد اعظم من حكموا الهند ، فوسّع التجارة ، وشجّع الفنون ، وأوجد الاستقرار في امبراطوريته.

حوالى ٢٦٤ ق.م.
بداية الحروب البونية

بعد ان اصبحت قرطاجة اغنى البلدان في زمانها واكثرها تجارة ، وبعد ان باتت روما سيدة ايطاليا ، كان من المحتم ان تتنازع هاتان الامّتان. وهكذا بدأت في السنة ٢٦٠ ق. م. سلسلة من الحروب الطويلة عُرفت باسم الحروب البونية أو الحروب القرطاجية. دارت رحى الحرب الأولى في السنة ٢٦٤ ، واستمرت إلى السنة ٢٤١ ق.م. ، من أجل امتلاك جزيرة صقلية ، وانتهت بانتصار روماني. فألهبت الهزيمةُ التي نزلت ببلاده القائدَ القرطاجي هنيبعل فأقسم على الأخذ بالثأر. وهو من مواليد السنة ٢٤٧ ، وتوفي السنة ١٨٣ ق. م.

وقد بدأت بذلك الحرب البونية الثانية التي استمرت من السنة ٢١٨

إلى السنة ٢٠١ ق.م. . فقد هاجم هنيبعل ايطاليا من اسبانيا ، مجتازًا سلسلة جبال الألب وسط اهوال لا تُوصف مع جنوده وأفياله؛ ومع انه سجّل انتصارات باهرة في ايطاليا كانت ذروتها معركتا بحيرة ترازيميني وكانايي، فقد اضطر الى مغادرة البلاد في النهاية لمّا بلغه ان جيشًا رومانيًا بقيادة سيبيون الافريقي (٢٣٧ - ١٨٣ قبل الميلاد) كان يهاجم قرطاجة. وانتهت الحرب بهزيمة هنيبعل في زاما. وأُجبرت قرطاجة على سحب جيشها من اسبانيا، وتسليم اسطولها البحري الكبير.

غير ان قرطاجة عادة فقويت مجددًا، وجعلت كاتون، الشيخ الروماني (٢٣٤ - ١٤٩ قبل الميلاد) يحذّر زملاءه أعضاءَ مجلس الشيوخ بقوله: « ينبغي تدمير قرطاجة ». وفي نهاية الحرب البونية الثالثة التي استمرت من السنة ١٤٩ إلى ١٤٦ ق. م.، تمّ احتلال قرطاجة، ودُمّرت تدميرًا تامًا حتى سُوّيت بالأرض.

٢٥٥ ق٠م٠
ترجمة التوراة

كانت الاسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد مقرًا عظيمًا للمعرفة. وقد تولى بطلميوس فيلادلفوس المتوفى حوالى السنة ٢٤٧ قبل الميلاد ترجمة العهد القديم من العبرية الى اليونانية. وقد اوفد الكاهن اليعازر سبعين عالمًا الى الاسكندرية للبدء بهذا العمل الطويل، ومن هنا العنوان الذي عُرفت به هذه الترجمة « السّبْعونية »، وقد قاموا بها في خلال اثنين وسبعين يومًا.

٢٥٠ ق٠م٠
قانون أرخميدس

كان ارخميدس من بين العلماء الكثيرين الذين درسوا في متحف



يقال إن ارخميدس اكتشف مبدأه الشهير وهو في الحمّام.

الاسكندرية، وهو يوناني من سرقُسطة في جزيرة صقلية. ابصر النور السنة ٢٨٧، وتوفي السنة ٢١٢ ق.م.، وكان قد قام باكتشاف واحد، على الاقل، قبل ان يهبط الاسكندرية.

ويروى ان ملك سرقسطه ارتاب في ان صائغاً قد خدعه، فطلب الى ارخميدس ان يتحقق مما اذا كان ما ابتاعه من الصائغ من الذهب الخالص ام

لا . وفيما بعد ، وبينما كان في الحمَّام ، لاحظ هذا العالم ان جسده ازاح الماء بجسمه المغمور في الحوض ، ومن فوره اوجد طريقة لحل معضلة الملك . وقد بلغت به الاثارة مبلغًا عظيمًا لهذا الاكتشاف العلمي الخطير ، فزُعِمَ انه عدا خارج منزله دون أن يهتم بارتداء ملابسه ، وراح يصيح « يوريكا » - أي وجدته ! فلقد وجد الحلّ ! ويتلخص قانونه بتعبير بسيط بالتالي : « ان كل جسم اذا انغمس في سائل يتلقّى دَفْعةً عمودية من اسفل الى اعلى توازي ثِقَلَ ما شَغَلَ مكانَه من السائل » . وله كذلك اكتشافات عدة منها نسبة قطر الدائرة الى محيطها ، وهي نسبة ٧ الى ٢٢ .

وقام ارخميدس ببحوث في حقول الهندسة ، والميكانيكا ، والهيدروستاتيات التي تتعلق بتوازن الموائع وضغطها . وقد كانت نظرياته عظيمة الفائدة لكل من العالمَيْن غاليليو ونيوتن ، وسائر من اتى من بعدهما .

حوالى ٢١٥ ق . م .
سور الصين العظيم

قيل ان سور الصين العظيم هو اكثر الامثلة المذهلة على المحاولات البشرية ، وفي ذلك ما يبرره . فهذا السور المعروف في الصين باسم « سور العشرة آلاف ميل » يشكّل الحدود الشمالية للامبراطورية الصينية ، وهو في الواقع بطول ٢٤٠٠ كيلومتر ، وارتفاعه يراوح بين اربعة امتار ، واربعة امتار ونصف وتسعة امتار .

شُيِّد هذا السور بناء على امر شيه هوانغ تي ، من سلالة تشين ، وقد حكم من السنة ٢٢١ إلى السنة ٢٠٦ ق . م . ، ذلك بأنه حشد لبنائه ثالث كل رجل مقتدر جسديًا من سكان مملكته . فكانت النتيجة حقًا العجيبة الثامنة في العالم . بُني عبر شمال الصين ، فوق جبال عالية ، وخلال كل منطقة

صعبة. وقد كتب احدهم مرة يقول واصفًا اياه بعدم الجدوى: «الصينيون لم يذللوه قط... ولكن التتر ذللوه وتغلّبوا عليه».

كان شيه هوانغ تي حاكمًا قاسيًا ووحشيًا، لم يكترث في قليل او كثير للفن والعلم، وقد امر بأن يُحرق كلُ كتاب في الصين، باستثناء الاعمال الدينية، والطبية، والزراعية، وفي السنة ٢٠٦ ق.م. قام ليو يانغ بثورة ضد شيه، وابدل اسمه باسم كاو تسو، وأصبح أول الحكام من سلالة هان.

حوالى ٢٠٠ ق.م.
حجر رشيد

طوال قرون فكّر البشر تفكيرًا عميقًا في الكتابة الهيروغيليفية المصرية. ثم في السنة ١٧٩٨ كُشف النقاب في مصر عن بلاطة سوداء منقوشة، كانت تحمل أربعة وأربعين سطرًا باليونانية، واثنين وثلاثين سطرًا باللغة الديموطية المصرية الشعبية المستعملة في الحياة اليومية، فيما كان الباقي بالهيروغليفية. ويعود تاريخ هذه البلاطة إلى السنة ٢٠٠ ق.م.. وقد بدأ العالم الفرنسي جان ـ فرنسوى شامبوليون العمل على فك رموز هذا الخط، فتوصّل السنة ١٨٢٢ الى اكتشافه الجليل.

حوالى ٢٠٠ ق.م.
المَهْبراتا

المهبراتا، احدى اشهر الملاحم الشعرية الهندية وأضخمها من حيث عدد الابيات، وهي ليست عملاً واحدًا، بل مجموعة من القصائد تروي حكايات الابطال في اسرتين كبيرتين في الهند القديمة وعداوتهما المميتة. وهي تقسم الى ثمانية عشر فصلًا مختلفًا.

حوالي ١٤٠ ق.م.
فينوس ميلوس

فينوس باليونانية، أو أفروديت باللاتينية ـ كانت إلاهة يونانية هامة، ومصدرًا دائمًا للوحي بالنسبة الى النحّاتين الاغريق. والحقيقة ان اشهر منحوتة في العالم، أينما كانت هي منحوتة فينوس. ومع أن ذراعيها تحطمتا عندما تم العثور على التمثال، فإنه يعتقد ان احداهما كانت تمسك بتفاحة، وهي رمز جزيرة ميلوس التي اكتُشف فيها التمثال.

حوالى ١٣٣ ق.م.
اصلاحات الاخوين غراتشي

اشتهر الاخوان الرومانيان تيبيريوس وغايوس غراتشوس في التاريخ كمصلحين سياسيين. لما مات والدهما تعهدت والدتهما النبيلة كورنيليا أمر تعليهمها، فكرّست كل جهدها لذلك.

خدم تيبيريوس غراتشوس المولود السنة ١٦٨ ق. م. في اسبانيا، ولما عاد الى روما، ضغط من اجل اعادة تطبيق القوانين السابقة التي تحرّم على الاغنياء تملّك العقارات الواسعة. فأثار ذلك غضب الاثرياء الذين تخلصوا من تيبيريوس والكثيرين من انصاره، في السنة ١٣٣ ق. م.

اما غايوس غراتشوس، وكان يصغر اخاه تيبيريوس بتسع سنوات، فقد كان في اسبانيا يوم قُتل، فعاد الى روما وواصل اصلاحات اخيه الاجتماعية. واستولى الذعر على الشيوخ الاثرياء وسواهم، وكانت النتيجة ان غايوس وانصاره لاقوا السنة ١٢١ قبل الميلاد المصير نفسه الذي لقيه تيبيريوس وانصاره من قبل. وعربونًا لحب الشعب وتقديره لهذين الاخوين أُقيم فيما بعد

تمثال في ساحة الفوروم، في روما، يحمل الكلمات البسيطة التالية: « الى كورنيليا، ام الغراتشي ».

١٠٦ ق.م.
ماريوس يُنتخب قنصلاً

حددت وفاة الأخوين تيبيريوس وغايوس غراتشوس بداية قرن من الحرب الأهلية. فمنذ ذلك اليوم من السنة ١٢١ ق. م. عندما قتل غايوس، باتتِ الجيوشُ، لا اصواتُ الاقتراع، تقرر الاحداث. وقد خلف الاخوين غراتشي رجلان قويان هما غايوس ماريوس المولود السنة ١٥٦ والمتوفى السنة ٨٦ ق. م.، ولوشيوس سولّا المولود السنة ١٣٨ والمتوفى السنة ٧٨ قبل الميلاد. واغتنم ماريوس الذي اشتهر لما هَزم جوغورثا، ملك نوميديا، فرصة غياب سولّا فزحف إلى روما بجيشه، فكانت تلك سابقةً لم تحدث قط.

وعاد سولّا وبدأ حكم الارهاب، فقضى على زهاء ثمانية آلاف شخص من حزب ماريوس. وبأمر منه كانت اللوائح بالاشخاص الذين سيُعْدمون تُنشر علنًا، وتتضمن كلٌ منها احيانًا مئتي اسم.

واضطر الكثيرون من الرومان، وفي جملتهم يوليوس قيصر، الى الهرب طلبًا للنجاة، حتى كانت وفاة سولّا الذي كان قد نصّب نفسه دكتاتورًا على روما.

٧٣ ق.م.
ثورة العبيد

خلال الحرب الجوغورثينية التي دامت من السنة ١١١ حتى السنة ١٠٦ ق. م. قام العبيد الذين يسترقّهم الاسياد الرومان بثورة. فكانت الحرب الرقّية الثانية في

تاريخ روما، وكالحرب الأولى قُمعت بسهولة.

كان العبيد في معظم الوقت، عاجزين عن الصمود في وجه جنود الكتيبة الرومانية. ومع ذلك فان الحرب الرقِّية الثالثة التي اندلعت نيرانها في السنة ٧٣ قبل الميلاد كانت مختلفةً تمامًا. وقد بدأت لما فتك مئتان من المجالدين في كابووى بحرّاسهم وفرّوا من السجون - والمجالدون هم العبيد الأرّقاء الذين كانوا يقاتلون حتى الموت لإمتاع الناس في روما القديمة.

وقد انضم اليهم كثيرون سواهم، ووضعوا انفسهم تحت قيادة مجالد شاب يدعى سبارتاكوس. وهزموا قوة رومانية شديدة البأس، وراح الجيش الثائر يَكْبُرُ يومًا بعد يوم حتى بات يضم مئة الف رجل من اليائسين الفاقدي الأمل.

وقاد سبارتاكوس رجاله صوب ممرات جبال الالب السنة ٧١ قبل الميلاد عندما لقي القاضي ماركوس لوسينيوس كراسوس (١١٥ - ٥٣ قبل الميلاد) وكان يقود جيشًا رومانيًا كبيرًا، في معركة لوكانيا. وبعد صراع رهيب، قُتل سبارتاكوس، وأسَرَ كراسوس ستة آلاف من الناجين، وصلبهم على طول الطريق بين روما وكابووى.

٦٣ ق.م.
شيشرون والمؤامرة الكاتيلينية

أبصر ماركوس توليوس شيشرون النور السنة ١٠٦ ق. م.، ودرس في أثينا وروما، ولم يلبث ان عُرف بأنه اشهر خُطباء عصره، على الرغم من اعتباره «رجلاً جديدًا»، لأن لا احد من اجداده سبق ان احتلَّ منصبًا رفيعًا.

وفي السنة ٦٣ قبل الميلاد، خطّط ارستقراطيٌ افتقر بعد غنىً ويدعى لوشيوس كاتيلين (١٠٨ - ٦٢ قبل الميلاد) للاستيلاء على السلطة في روما، والتحرر من الديون التي كانت تثقل كاهليه. وكُشفت مخططاته، وتحرّك شيشرون بسرعة، وكان في تلك السنة احد القنصلَيْن الحاكمَيْن. فهاجم كاتيلين

في مجلس الشيوخ في خطبة بلغت من القوة والعنف حدًا جعل خصمه يغادر روما هربًا. وفي اليوم التالي القى شيشرون خطبة أشدّ عنفًا في الفوروم، ونتيجة ذلك، اعتُبر كاتيلين خارجًا على القانون، وأُرسلت قوة من الجيش للاهتمام بأمره، فقُتل. وبفضل لسان شيشرون الفضي، بصورة خاصة، زال الخطر الذي كان يتهدد روما. وكانت وفاة أشهر خطباء العالم القديم السنة ٤٣ ق. م.

٦٠ ق.م.
حكومة الثلاثة الاولى

تركت المنافسات، وسَفْكُ دمِ ماريوس، والحرب الرقّية الثالثة، روما في حالة انهيار، وأهليها متشوقين الى استقرار السلام. وقد سَادَ اخيرًا عندما شكّل الرجال الثلاثة الاقوى في روما آنذاك حكومة الثلاثة الأولى، وكانوا كراسوس، وهو قائد وتاجر واسع الثراء، ولد حوالى السنة ١١٢ وتوفي السنة ٥٣ قبل الميلاد، هزم سبارتاكوس؛ وبومبيوس وهو من مواليد السنة ١٠٦، وقد توفي السنة ٤٨ ق.م.، وكان قائدًا شهيرًا سحق عصيان العبيد الارقّاء في الحرب الرقّية الثانية؛ وأخيرًا يوليوس قيصر المولود السنة ١٠٢ والمتوفى السنة ٤٤ ق. م.، وكان رجلًا مقدَّرًا له أن يصبح عظيماً حقًا. وقد تزوج بومبيوس، جوليا، شقيقة يوليوس قيصر، وبدا ان الرجلين متّحِدَين بصلة وثيقة العُرى.

وفي السنة ٥٨ ق. م. انتُخب قيصر قنصلًا، فتقدَّم ببعض القوانين المعروفة. وفي السنة التالية عُيِّن حاكمًا على بلاد الغول الواقعة ما وراء جبال الالب، وأُسندت اليه قيادة ثلاث كتائب عسكرية. وبهذا الجيش الصغير الذي لم يكن ليتجاوز عدد افراده ١٨ الف رجل، بدأ سلسلة حملات حربية اذهلت كل سكان روما. وعُيِّن بومبيوس حاكمًا على اسبانيا. وأبحر كراسوس إلى آسيا،



غـايوس بومبيوس ماغنوس، الشهير باسم بومبيوس.

وحارب في بارثيا، ولكنه سرعان ما قضى في المعركة. اما بومبيوس فقد بقي في روما، ثم لما بدأت الغيرة والحسدُ ينهشانه بسبب انتصارات قيصر المتواصلة، راح يتآمر عليه.

٥٨ ق.م. ـ ٥١ ق.م.
احتلال بلاد الغول

بعد وصول يوليوس قيصر لتولي حاكمية بلاد الغول، قَرَّرَ شَعْبٌ كِلتي

يعرف باسم الهلفيسيين الهجرة والعبور الى الارض الرومانية. ومع ان هؤلاء كانوا اكثر عددًا من رجاله، فقد جرّهم قيصر الى خوض المعركة معه، وهزمهم. وعندما تبدّت حماسةُ قيصر وهمتُهُ لبعض الزعماء الغوليين استنجدوا به طالبين اليه مساعدتهم ضد الملك الجرماني آريوفستوس، فحاربه وهزمه شرَّ هزيمة.

ثم مضى يسحق سائر القبائل، وما لبث ان اصبح سيد كل بلاد الغول تقريبًا. وكانت آخر معاركه قبل عودته الى روما ضد الارفرنيين. وفي السنة ٥١ قبل الميلاد استسلم قائدهم فرسنجيتوريكس، وقد امتطى جواده ومضى به الى معسكر قيصر ليعلن له عن استعداده للتسليم اذا سُمح لأتباعه بالتفرُّق. وقد اظهر بذلك شجاعة فائقة وتفاؤلًا. وأُلقيَ به في السجن، وحُمل مليون رجل من الغوليين الى روما كعبيد أرِقَّاء. وهكذا انتهت حملة قيصر الباهرة في بلاد الغول.

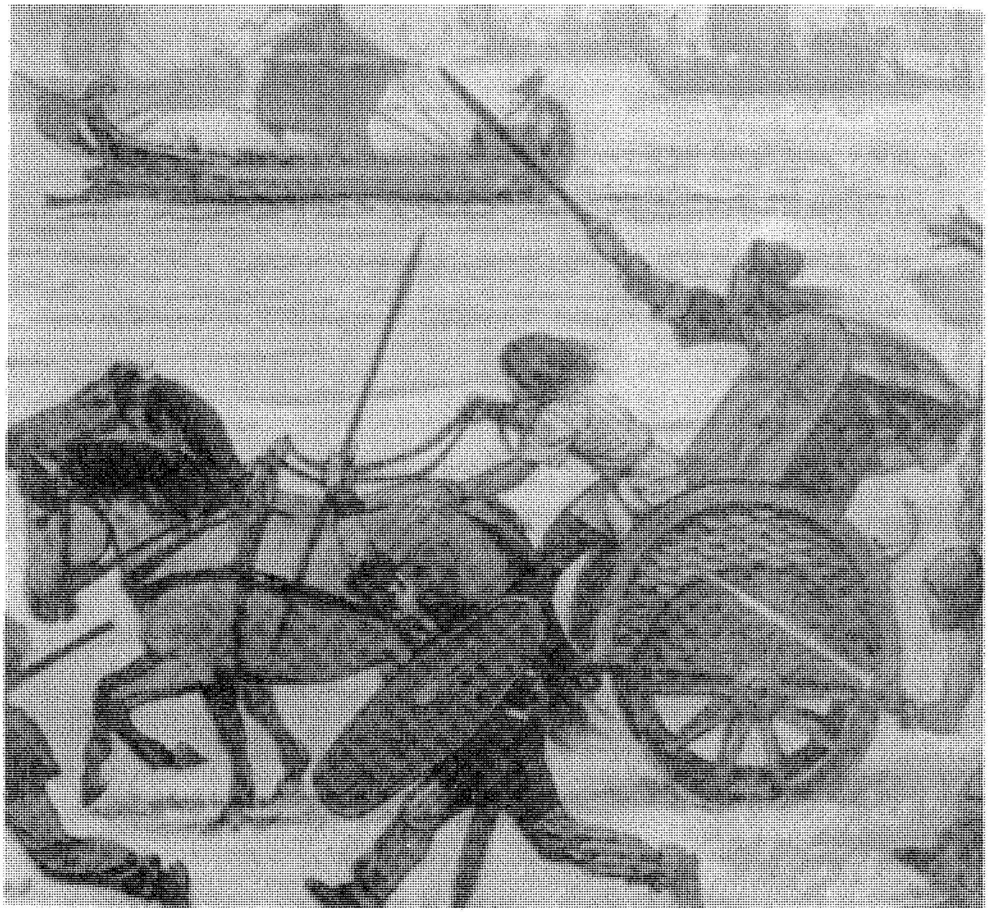
ضاعف قيصر في بلاد الغول، بقوة السلاح، رقعة الأراضي الواسعة تحت الحكم الروماني. وقد دوّن قصة هذه الحملة في كتاب دعاه «التعليقات» يطالعه الى اليوم كل طالب يتعلم اللاتينية.

٥٥ ق.م.

غزو بريطانيا

في وقت متأخر من صيف السنة ٥٥ قبل الميلاد، وصل إلى ميناء دوفر في بريطانيا اسطولٌ بحري مؤلفٌ من ثمانين سفينة بقيادة يوليوس قيصر. ونزل رجاله الى اليابسة، وإثر معركة قصيرة بينه وبين رجال القبائل البريطانيين، اقام معسكرًا. سوى ان عاصفة بحرية شديدة اثارت موجة مَدٍّ قوية، فأغرقت سفنًا كثيرة من السفن الرومانية. وبعد مزيد من المناوشات القليلة سَرَّ قيصر ان يعود الى بلاد الغول.

وعاد في تموز من السنة التالية، وتحت إمرته هذه المرة، ثمانمائة سفينة تنقل خمس كتائب عسكرية، وألفين من الفرسان. ونزلت هذه القوة الكبيرة



أسطول يوليوس قيصر لغزو بريطانيا ثانية يقترب من ساحلها .

في مكان ما بالقرب من سندويتش ، وما لبثت ان شرعت في التوغل في داخلية البلاد . وجرت معركة مفاجئة بالقرب من كانتربري ، واخرى ضد القائد البريطاني كاسيغيلوناس ، اضطر خلالها المحاربون الرومان الى النضال ضد العربات الحربية البريطانية السريعة .

وتحرّك قيصر شمالاً ، عابراً نهر الشيمز في نقطة ما بالقرب من برنتفورد ،

ثم عاد فعبر النهر، وعاد الى الساحل، وابحر تاركًا خلفه بلادًا لم يستطع احتلالها.

وتملّك الحسد من نفس بومبيوس، وخشي من تزايد شعبية قيصر، فاقترح على مجلس الأعيان أن يصدر الأمر إلى قيصر بحل جيشه. وبدلاً من أن يذعن قيصر للأمر زحف بجيشه اللجب إلى روما، ففر بومبيوس من وجهه تاركاً إياه حاكم روما الفرد المطلق.

٤٩ ق.م.
يوليوس قيصر يعبر نُهير روبيكون

بينما كان يوليوس قيصر ينهي حملته العسكرية في بلاد الغول التي استغرقت عشر سنين، اوفد مجلس الشيوخ بايعاز من بومبيوس، رسولاً يأمره بالتخلّي عن قيادته العسكرية. فرفض الانصياع للأمر، علمًا منه بأن ذلك معناه تحطمّه سياسيًا، فقاد جيشه الى ضفاف نُهير روبيكون. وكان يُعتبر اهانةً كبرى العبور الى ارض رومانية بجيش، كما كان يعتبر غزوًا كذلك. ولكن قيصر مضى الى الامام قائدًا جنوده مرددًا العبارة «لقد تم الاختيار»، ولا رجوع عنه. ومن هنا كان المثل القائل «عبور الروبيكون» بمعنى اتخاذ خطوة لا رجوع فيها. وكان هذا النهير يشكل جزءاً من الحدود بين الجمهورية الرومانية والولايات التابعة لها، فلما اجتازه يوليوس قيصر السنة ٤٩ قبل الميلاد، اشتعلت نار الحرب الاهلية التي جعلته سيّد روما دون منازع.

ومع تقدُّم قيصر كان بومبيوس يتراجع، حتى ابحر في النهاية الى اليونان. وفي ٦ حزيران من السنة ٤٩ ق. م. التقى الجيشان في فرساليا، وخاضا معركة لتقرير مصير العالم الروماني. وقد انهزم بومبيوس، واتجه شطر مصر. فلما نزل إلى اليابسة أُلقي القبض عليه، وقُطع رأسه، ووضعَ ذلك حدًا لأول حكومة ثلاثية تحكم روما.

٤٤ ق.م.
مصرع يوليوس قيصر

جعلت معركة فرساليا يوليوس قيصر سيد روما دون منازع. فبات عليه عند ذاك الاهتمام بأمر افريقيا التي كانت تغلي بالثورة. وانتهت حملة حربية قصيرة بالانتصار الذي أعلن عنه في مجلس الشيوخ بالعبارة التالية « جئت، رأيت، انتصرت! ». وعاد الى روما وتولّى القيادة العليا. وكانت الجمهورية في نهايتها. فبات قائد الجيش مسيطرًا على الامبراطورية.

وعلى نقيض ماريوس وسُولّا، اصدر قيصر عفوًا عامًا عن كل خصومه، ولم يُعدَم احدٌ منهم. ثم انه وضع عددًا من الاصلاحات الشعبيـة، غير ان بعض الحسّاد ممن كانوا يرغبون في اعادة الجمهورية انتظروه في الفوروم، وطعنوه في ظهره حتى الموت.

وتألفت حكومة ثلاثية ثانية من كل من ماركوس انطونيوس، وليبيـدوس، واوكتافيوس، وارث قيصر!

٤٣ ق.م.
تربُّع كليوباتره على العرش

كانت كليوباتره التي تُعتبر من اشهر النساء في التاريخ ابنة بطلميوس الخامس، وقد ابصرت النور حوالى السنة ٤٨ قبل الميلاد، ولم تعمّر اكثر من ثمانٍ وثلاثين سنة. ومثلَ ابيها كانت يونانيةَ الاصل، وغير مصرية. وفي السنة ٥١ قبل الميلاد، اصبحت شريكة مع اخيها الاصغر في حكم مصر، سوى انهمـا تخاصما، فاضطُرت للهرب الى سوريا. وفي تلك الأيام، وصل يوليوس قيصـر الى الاسكندرية، فتوسلت كليوباتره سحرها وانوثتها لإقناعه بشنّ الحرب



مصرع يوليوس قيصر

بالنيابة عنها ولمصلحتها. وقد كان، وقُتل اخوها، واصبحت هي ملكة مصر من جديد.

وحملها قيصر معه إلى روما، ولكن لما اغتيل،عادت الى مصر. وقد اصبحت عشيقة ماركوس انطونيوس، وضمَّت اسطولها الى اسطوله في معركة اكتيوم التي جرت السنة ٣١ ق. م. حيث حاربت اوكتافيوس الذي أصبح فيما بعد اغسطس قيصر. ولما تبيّن لها انها هالكة سمَّت نفسها، وانتهت بنهايتها السنة ٣٠ قبل الميلاد، سلالةُ البطالسة، وتحوَّلت مصر الى مقاطعة يونانية.

٣٨ ق.م.
منحوتة لاوكون

كان لاوكون، حسب ما جاء في الاسطورة اليونانية، كاهنًا حاول تحذير الطرواديين من الحصان الخشبي اليوناني، فقضى عليه ابولو الغاضب مع ابنيه بواسطة الافاعي. وقد اشتهرت هذه الاسطورة في الازمنة القديمة. وفي السنة ٣٨ ق. م. صنع النحات الروديسي آجيسندار منحوتةً كبيرة رائعة تمثّل الضحايا الثلاث وهم يعانون الألم بسبب التفاف الافاعي حول اجسادهم.

٣٧ ق.م.
هيرودوس يحتلّ بيت المقدس

كانت حياة الملك هيرودوس الكبير عاصفة في مطلعها، ذلك لأنه كان في نزاع مع الفئات المختلفة المتصارعة في فلسطين وسوريا بعد اغتيال قيصر.

وقد وضع ماركوس انطونيوس السنة ٣٩ ق. م. القوات الرومانية في

فلسطين تحت تصرفّه، وحاصر بها القدس. وتمَّ احتلال المدينة المقدسة بهجوم عاصف، وقد اعاد فيما بعد بناء معظم المدينة ومضى يشيّد مدنًا وقلاعًا اخرى كبيرة.

ولدى وفاة انطونيوس، تحالف هيرودوس مع اغسطس قيصر، وقد تميّز بالريبة والتآمر والقسوة، وهو الذي أمر بموت زوجته مريمنه وابنيه منها.

وزُعم أنه أمر كذلك بقتل الأطفال الأبرياء الذين ورد ذكرهم في الكتاب المقدس. وخلفه على العرش ابنه هيرودوس انتيباس.

٢٠ ق.م.
فرجيل يُنهي الإنياذة

يُعتبر بوبليوس فرجيل اشهر شعراء روما القديمة. ولد بالقرب من مدينة مانتوى السنة ٧٠ ق.م.، وقد اكسبته شهرته لقب « بجعة مانتوى ». كان من أسياد الملاحم الشعرية، والشعر التعليمي المقصود به التعليم لا الشعر الخالص، والشعر الغنائي. وكانت الإنياذة اروع اعماله. انها ملحمة تروي تجوّل اينياس وسقوط طروادة، وهي تواصل قصة « الإلياذة » للشاعر الاغريقي هوميروس...

١٤ ق.م.
اغريبا يبني جسر دوغار

كان ماركوس اغريبا قائدًا عسكريًا كبيرًا، الّا انه خالد بأعمال البناء التي نفذّها. فالبانتيون، مثلاً، الذي بوشر به السنة ٢٧ ق.م.. ما يزال المبنى الروماني الرئيسي الذي ما يزال سليمًا نوعًا ما. ولعلّ من اشهر الاعمال العمرانية جسر دوغار، في مدينة نيم في فرنسا، وقد تمَّ السنة ١٤ قبل الميلاد. وهو جسر

مُقنطَرٌ ما يزال الى اليوم يثير الاعجاب بهندسته الرائعة. وقد ولد ماركوس اغريبا حوالى السنة ٦٣، وتوفي السنة ١٢ ق. .

٩ ق٠م٠
ليفيوس يكتب تاريخ روما

كان تيتوس ليفيوس، أو ليفي، وهو من مواليد مدينة بـادوى السنة ٥٩ قبل الميلاد مؤرخًا رومانيًا انتقل الى روما وهو شاب، وحظي بعطف اغسطس قيصر، وخليفته تيبيريوس. ومع أنه وضع كتبًا في موضوعات عدة، فإن أحبَّها اليه كان رائعته « تاريخ روما »، وتقع في ١٤٢ كتابًا لم يسلم منها سوى خمسة وثلاثين كتابًا.

٦ ق٠م٠
ميلاد السيد المسيح

ما تزال السنة التي ولد فيها يسوع المسيح يعوزها التحديد تاريخيًا. والإشارة الرئيسية الى السنة يتضمنّها انجيل لوقا، وتفيد ان اغسطس قيصر اصدر أمرًا بأن يعود كل فرد من مواطني امبراطوريته الى مسقط رأسه لكي يُسجَّل اسمهُ في قيود النفوس. ويذكر متّى ايضًا ان السيد المسيح ابصر النور زمن حكم هيرودوس الكبير الذي أمر، في فترة ما، لا تزيد عن السنتين، بعد ذلك بقتل كل اطفال بيت لحم.

وقصة التوراة مشهورة جدًا: فمن بين الآلاف الذين سافروا من اجل احصاء النفوس ذاك كان يوسف النَجّار من الناصرة، وقد عاد الى موطن اسرته في بيت لحم. فما ان بلغ المدينة الصغيرة، لم يجد مكانًا يأوي اليه. وبفضل اهتمام احد اصحاب النُزُل سُمح له ولمريم بأن يقيما في حظيرة الحيوانات، وهنا في هذا الجو المتواضع، وُلد الطفل في مِذود.

٢ ق٠م٠
أُوفيد يضع كتاب «فن الحب»

كان بوبليوس اوفيدوس ـ ويشتهر باسم اوفيد ـ شاعرًا انيقًا، وواحدًا من الشخصيات البارزة في المجتمع الروماني. وقد اهان اغسطس قيصر في السنة ٨ للميلاد، فنُفي الى توميس ـ او كونستنزا ـ وهي مدينة حدودية موحشة على ساحل البحر الاسود. وكان السبب الذي تذرعَّت به السلطات لقيامها بهذا العمل هو أن كتابه «فن الحب» كان يسيء الى الآداب والاخلاق العامة.

★ ★ ★

ونأتي إلى أحداث التاريخ التي جرت بعد الميلاد. ونبدأ بأحداث السنة ٩ ...

★ ★ ★

السنة ٩م.
آرمينيوس يهزم فاروس

خلال القسم الاول من القرن الاول للميلاد، كانت ثلاث كتائب من الجنود الرومانيين معسكرةً على الحدود الجرمانية. وكانت تنعم بالهدوء المؤقت والامن قبل العاصفة بفضل الزعيم المحلي آرمينيوس. ولكن القائد الروماني كوينتيليوس فاروس لم يبالِ بحشد القبائل الجرمانية حواليه.

وكان آرمينيوس قد درس في روما، ويفهم جيدًا طريقة عمل العقل الروماني العسكري، فدبّر قيام عصيان محلي يغري فاروس على التحرك من طمأنينة المعسكر الى الغابات الكثيفة المجاورة. ونجحت الخدعة، وبدأت الكتيبة في السير. وفي هذه الاثناء استدعى آرمينيوس كل رجال القبائل الموجودين على عدة اميال حواليه، وفي ايلول من السنة التاسعة للميلاد وقعت الكتائب في كمين في تيتوبرغرفالد.

ومع أن الجنود الرومان حاربوا بشجاعة وببأس، فإنهم كانوا سيّئي التشكيل، وهلكوا حيثما وُجدوا. وتبين لفاروس انه لا محال مغلوبٌ على امره، فانتحر

بالقاء نفسه فوق حد سيفه. وكانت تلك المعركة نقطة تَحوُّل في التاريخ لأنها اثبتت ان الكتائب الرومانية ليست منيعة، ويمكن قهرها.

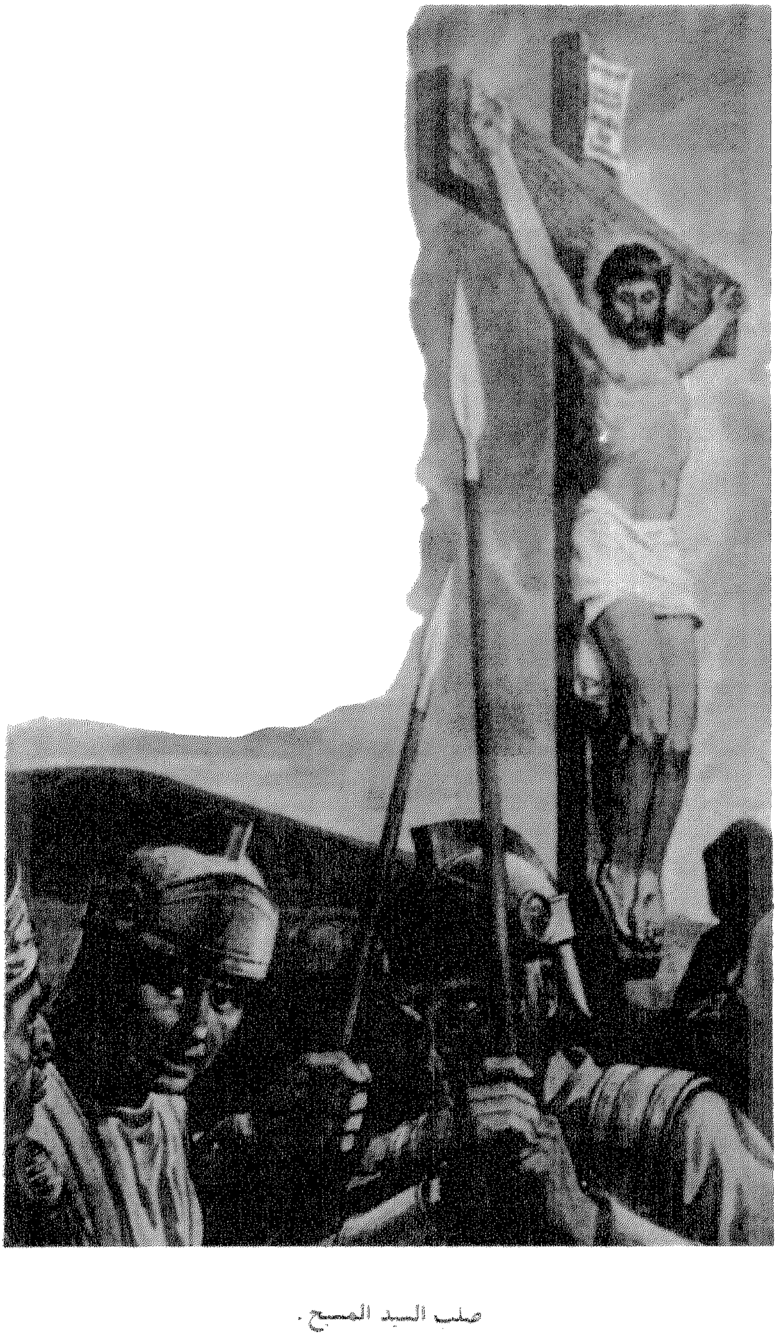
٢٨
مقتل يوحنا المعمدان

في السنة الخامسة لحكم تيبيريوس قيصر، شرع يوحنا، ابن زكريا، في التبشير في كل البلاد حول نهر الاردن، معمِّدًا ومعلنًا عن مجيء المسيح. وقد عمّد يسوع المسيح في الاردن، بعد ان عرف حقيقة شخصيته. غير ان يوحنا المعمدان ـ او يوحنا البشير كما عُرف واشتهر ـ سجنه فيما بعد الملكُ هيرودوس انتيپاس الذي اقنعته زوجته هيروديّا بقطع رأس هذا القديس البشير. ويُروى ان ابنتها سالومه رقصت حاملة طبقًا من فضة وعليه رأسُ يوحنا.

٢٩
صلب السيد المسيح

لما بلغ يسوع المسيح نحو الثلاثين من عمره اعتمد على يد يوحنا، ثم شرع في اداء رسالته. وبعد اربعين يومًا من التأمل في البريّة، طاف في ارجاء الجليل وساحل بحيرة طبريا فجمع اثني عشر تلميذًا. وبرفقة الحواريين قضى السنوات الثلاث التالية معلِّمًا ومُلقيًا المواعظ، متنقلًا من مكان الى آخر، شافيًا المرضى. ويروي العهد الجديد من الكتاب المقدّس الكثيرَ من المعجزات التي قام بها. ومع انه حاذر الاساءَة الى القوانين الدينية اليهودية، متكلمًا بصورة رئيسية عن حب الله، وواجبات الإنسان تجاه جاره، فقد كان الكَتَبة والفرِّيسيون يضايقونه باستمرار.

وفي النهاية قرر المسؤولون وقف نشاطاته، وكانت السلطات الدينية تتآكلها الغيرة والحسد من تزايد عدد اتباعه، والسلطات السياسية تحاذر المزيد من الاضطراب في البلاد. فأُلقي القبضُ عليه، وحُمل الى بيلاطس البنطي، المدّعي



صلب السيد المسيح.

العام الروماني الذي شغل هذا المنصب القضائي الهام من السنة ٢٦ الى السنة ٣٦ ، فأصدر الحكم عليه بالموت. وحُمل السيد المسيح الى هضبة خارج القدس تُدعى الجُلجُلة حيث صُلب. وقد قام من بين الأموات، وصَعد الى السماء بعد ثلاثة ايام.

وفي السنوات التي تلت موت السيد المسيح، انتشرت تعاليمه بسرعة، ولم تنقضِ ثلاثمائة سنة، حتى باتت المسيحية الدينَ الرسمي في الامبراطورية الرومانية.

٣٢
اهتداء شاوول الطرسوسي الى النصرانية

ابصر شاوول النور في طرسوس في آسيا الصغرى، وتدرَّب لكي يصبح حاخامًا في القدس. وبصفته فرِّيسيًا شابًّا، اضطَهد بعنف وقسوة اتباع السيد المسيح. الا انه في طريق عودته من دمشق شاهد رؤيا، فاعتنق الايمان الجديد: المسيحية. ويعود الفضل الى نشاطه التبشيري القوي في تثبيت المسيحية اقدامَها في مختلف ارجاء الامبراطورية الرومانية، ومن ثَمَّ في ارجاء العالم الواسع.

وحملته اسفاره الى إفِسُس، وفيليبي، وكورنثيا، ومدن غلاطية. وتُشكِّلُ رسائلُه الى المهتدين في هذه الاماكن قسمًا كبيرًا من العهد الجديد. وقد حُوكم في مدينة قيصرية لإحداثه قلاقلَ. وبصفته مواطنًا رومانيًا، احتكم الى قيصر. فأُرسل الى روما، وبعد سنتين من السجن، أُعدم في السنة ٦٤.

٤١
مقتل كاليغولا

كان اسم كاليغولا الحقيقي غايوس قيصر، ولد في السنة ١٢ قبل الميلاد،

وقد رافق والده جرمانيكوس، وهو فتى غرّ في حملته السورية. وكان يرتدي بزة عسكرية مفصلّة خصيصًا له، وينتعل حذاءً عسكريًا يُعرف باسم كاليغا، ومن هنا اكتسب لقبه كاليغولا.

تبنّاه تيبيريوس وجعله وريثه، ثم خلفه السنة ٣٦، وقد أُصيب بمرض رهيب، فلما شفي منه كانت طباعه قد تبدّلت كليًا. فأضحى مسخًا من حيث القسوة، والشر، والخطيئة. واعترف شخصيًا انه يكره شعب روما الى درجة تمنّى فيها لو كان لهذا الشعب رأس واحد لكي يقطعه بضربة سيف واحدة.

واستطاع الحكمَ مدة اربع سنوات، الى ان قضى عليه احد ضباط الحرس، ويدعى شياريا، كان سبق له أن شتمه علنًا. وحدث اغتياله وهو في الطريق لمشاهدة الالعاب في السنة ٤١. وقد اغتبطت روما بأسرها لمقتله.

٤٣
الغزو الروماني الثاني لبريطانيا

عاش يوليوس قيصر ومات، وكاد يمرّ قرن من الزمن تقريبًا قبل أن يعاود الجنودُ الرومان غزو بريطانيا. وقد حدث الغزوُ الثاني هذا السنة ٤٣ عندما أرسل الامبراطور كلوديوس أربع كتائب من الجند إلى بريطانيا لاحتلالها والبقاء فيها هذه المرة، حسب تصميمه. وكانت بريطانيا بلادًا تتألف من ممالك صغيرة، يَدين اتحاد كونفيدراليّ منها بالولاء للملك كيونوبللينوس ـ أو سمبيلين الذي توفي حوالى تلك السنة ٤٣. وقد جابه هذا الاتحادُ الهجومَ الأول الذي قامت به كتائب القائد الروماني أولوس بلوطس وهزم البريطانيين. ثم زحف ببلاهة وغباء شمالاً ساحقًا كل ما كان يعترضه ويقاومه.

وفي السنة ٥٠ قاد كاراكتالوس ـ أو كارادوك زعيم السيلوريين الذي توفي بعد ذلك بأربع سنوات، قبيلةً لمحاربة الرومان ولكنه هُزم، وحُمل إلى روما.

وبفضل قدرته على الاحتمال، وطريقته في الوقوف، وخطاب ملهم، عفا عنه كلوديوس، وسمح له ولأسرته بالعيش في ايطاليا.

٦١
ثورة الملكة بوديكا

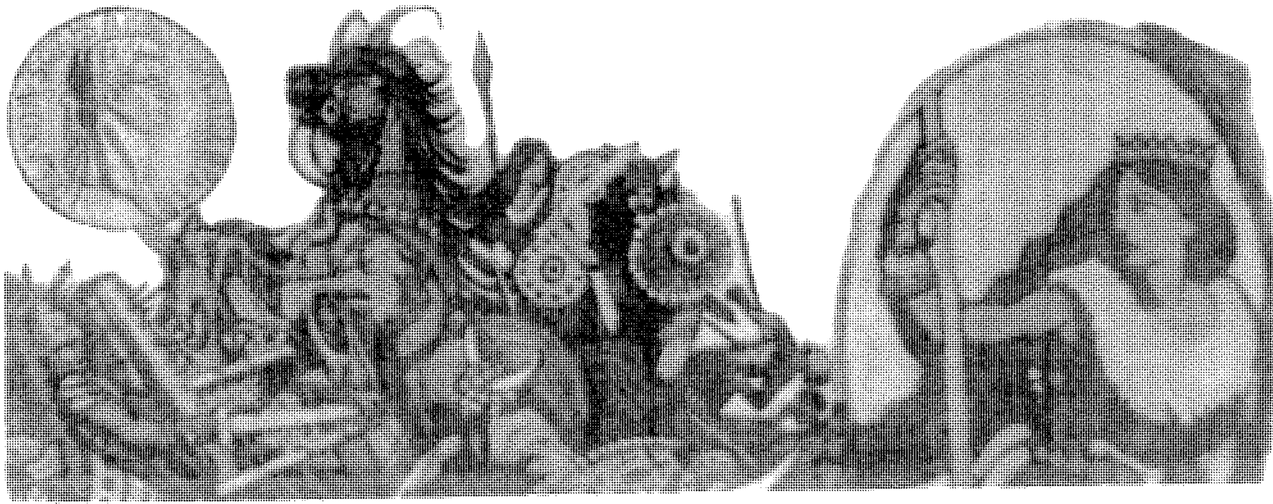
بوديكا ـ وتُعرف أحيانًا باسم بوديسي ـ كانت الملكة السلتية على قبيلة آيسيناي التي كانت تعيش في المنطقة المعروفة اليوم باسم نورفوك. ولسبب ما أوصى زوجها يرسوتاغوس المتقدّم في السن بنصف مملكته إلى الامبراطور نيرون الروماني، والنصف الآخر إلى ابنتيه. ولدى وفاته السنة ٦٠، زحف الرومان وشرعوا في نهب القصر الملكي. فلما عارضت بوديسي، عوملت مع ابنتيها بخشونة وقسوة.

وأقسمت على الانتقام، وسرعان ما ناصر قبيلتَها ايسيناي الكثيرون من المحاربين الأشداء من قبائل أخرى، وأشعلوا نيران ثورة مفاجئة، وزحفوا بهياج وعنف جنوبًا، فبلغوا كولتشستر، ولندن، وفريولاميوم (سنت أولبانز اليوم)، مخلِّفين وراءهم الدمار والقتلى.

وحده سويتونيوس بولينوس، على رأس كتيبتين ضعيفتين صمد في وجه الجيش البريطاني، وعدده مائة ألف رجل. وقد جلب انتصاره الذي حققه بكثير من الجهد والتعب السلامَ والحضارةَ الى انكلترا، طوال مدة أربعة قرون، فبدّل ذلك تاريخ العالم.

٦٤
حريق روما

مثل سلفه كاليغولا، عصف الجنون بالامبراطور الروماني نيرون المولود



[illegible] بوديكا ، ملكة الايسني ، تقود الثورة ضد الرومان ، وفي اعلى الصورة ، الى اليسار ، نقد معدني يحمل رسم الامبراطور كلوديوس .
[illegible] من [illegible] قصص [illegible] ، السنة ٤٣ قبل الميلاد .

سنة ٣٧. فقد بدأ حكْمهُ واعدًا جدًا، إلّا أنه كان على جانب كبير من الضعف، ويسهل التأثير عليه، وبخاصة من أُمه. ولم يلبث ان انجرف مع تيار الظلم والطغيان، والفساد والمجون. ومن المحتمل أن يكون الحريق الكبير الذي كاد يهدم روما على بكرة أبيها تمَّ بناء على أوامره حتى لو لم يكن وقف ـ كما تروي الأسطورة ـ يراقب المحرقة وهو يعزف بالقيثار.

اندعلت النيران في عدد من الحوانيت، ثم ما لبثت ان اشتعلت بعنف بالغ.



الأنباء عن حريق روما تُحمل إلى الامبراطور نيرون الطاغية الكثير النزوات.

وقد وصف المؤرخ الروماني تاسيتوس كيف عصفت النار في مختلف أرجاء المدينة، وكيف بات كل واحد تقريبًا متورطًا في الحريق الهائل الذي استمر طوال ستة أيام. فلما أُطفئت النيران أخيرًا، لم يبقَ سالمًا من أحياء المدينة الأربعة عشر سوى أربعة أحياء، وحسب. واغتنم نيرون المناسبة فباشر بتنفيذ مشروعٍ للبناء أدَّى في النهاية إلى ظهور مدينة أكثر جمالًا وروعة وفخامة من روما التي اختفت بين الدخان والرماد. ولكنه لم يعمِّر طويلًا ليستمتع بمرآها، ذلك بأنه بعد أربع سنوات، وفي السنة ٦٨، انتحر أثناء إحدى الثورات.

٧٩

اغريكولا يصبح حاكم بريطانيا

وصل غنايوس آغريكولا إلى بريطانيا السنة ٧٨، وكان إذ ذاك في الحادية والأربعين من العمر، ليتولَّى حاكميتها. وقد أثبت انه كان من أعظم الحكام الرومان الذين عرفتهم دون منازعٍ. وكان في مقدمة الأعمال المطلوبة منه احتلال اسكتلندا، فجابه القبائلَ التي تعيش في نجاد اسكتلندا في معركة مونس غروبيوس السنة ٨٤. ولكن بعد هذا الغزو الناجح استدعيَ إلى روما، وقد توفي السنة ٩٣.

٧٩

تدمير بومبيي

كانت مدينة بومبيي الصغيرة المواجهة لمضيق نابولي في ايطاليا منتجعًا شهيرًا في الأزمنة القديمة، ولم تكن ذات أهمية كبيرة من حيث سائر الوجوه. ومذ ذاك عرفت الشهرة الخالدة.

وفي صباح يوم جميل من أيام آب ٧٩ ، ثار فجأة بركان فيزوف الذي كان قد أظهر قبل أيام قليلة بعض دلائل التحرّك والنشاط، وراح يقذف بحممه المدينة التي ما لبثت ان دفنت تحت الرماد البركاني. واستمر الثَوَرَانُ ثماني وأربعين ساعة، فلما انتهى لم يعد ثمة أي أثر لمدينة بومبيي. فلقد دُفنت تحت طبقة من الرماد والحِمم والمقذوفات البركانية سماكتها سبعة أمتار. وحاول الذين بَقوا في قيد الحياة، دون جدوى، استعادة كنوزهم الدفينة. فانتقلوا من هناك، ونسي العالمُ ذلك المكان.

وفي السنة ١٧١٠ تم تعيين موقع بومبيي، ومذ ذاك راحت الحفريات تكشف عن مدينة تبدو أنها تجمَّدت وتجلدت مع مرور الزمن. ومن السهل اليوم على من يتنقَّل في شوارعها ان يصوِّر بعين الخيال كيف كانت الحياة في بومبيي لحوالى ١٩٠٠ سنة خلت.

١١٤
عمود تراجانوس

ما يزال ينتصب في روما الى اليوم عمودٌ فخم يناهز ارتفاعه الأربعين مترًا، مخلِّدًا الانتصارات الحربية العديدة التي حققها الامبراطور تراجانوس المولود سنة ٥٣. فخلال حكمه بلغت امبراطوريتُه أوسع مدى لها، لأنه جعل كلًّا من أرمينيا، وأشور، وداكيا، وبلاد ما بين النهرين، مقاطعات رومانية. وكان أكثر من قائد عسكري منتصر، إذ شيَّد الكثير من الطرقات، والجسور، والمكتبات، والساحة العامة، المعروفة باسمه «ساحة تراجانوم».

١٢٠
تربُّع كانيشكا على العرش

كانت البلاد التي تُعرف اليوم باسم افغانستان تحت حكم البارثيين اليونانيين

طوال ثلاثمائة سنة، حتى كان يومٌ طردتهم فيه، بدورهم، قبيلة يوي ـ تشي الآسيوية. في البدء كانت هذه القبيلة كناية عن اتحاد ضعيف قوامه خمس قبائل، ولكنها في السنة ٨٠ شكّلت أمة قوية مضت لاحتلال وادي كابول، وإزالة بقايا السيطرة اليونانية.

وقد حكمها كانيشكا الذي أصبح من رعاة المذهب البوذي، فعقد مجمعًا بوذيًا كبيرًا، وثبّت دعائم تلك الديانة في أرجاء امبراطوريته التي ضمّت فيما بعد كلّ شمال الهند ومساحات كبيرة من آسيا الوسطى.

ويُعتبر حكم كانبشكا نقطة تحوُّل في حياة الهند الفكرية، ذلك أنه أدخل الكثير من الأفكار الغربية إلى امبراطوريته التي انتهت مع الزمن، إلى زوال البوذية ونشوء الهندوسبة.

١٢٠
اختبارات بطلميوس

كان بطلميوس الاسكندري ـ واسمه الأصلي كلوديوس بطوليماووس، أحدَ أذكى الناس في العصر القديم، وكان عالمًا رياضيًا، وفلكيًا، وجغرافيًا. وُلد حوالى السنة ٩٠ وتوفي النسة ١٦٨.

وكان أحدَ أهمِّ اكتشافاته نظريةُ انكسار الضوء. وفي الرياضيات المجردة كان بارزًا، وخصوصًا في شرحه عِلم المثلثات. ووضع كذلك عددًا من الكتب في الموسيقى، بما في ذلك الآلة الموسيقية الهارمونيكا.

وفي كتابه الشهير «المَجَسْطي» يعرض بطلميوس وجهة النظر اليونانية للكون، وفيه يضع الأرض وسط الكون، وحولها تدور الكواكب السيارة: القمر، وعطارد، والزهرة والشمس، والمرّيخ، والمشتري، وزُحَل، ويليها فضاء يضمّ النجوم الثابتة ـ وهي نظرية ظلت مقبولة طوال أكثر من ١٣٠٠ سنة.

ولعل شهرة بطليموس تقوم، أكثر ما تقوم، على عمله في رسم الخرائط الجغرافية. وكان أعظمَ أعماله سلسلةٌ من ست وعشرين خريطة، وخريطةٌ عامةٌ لما كان العالم عليه في زمنه.

١٢٠
تاسيتوس يكتب «الحوليات»

أبصر المؤرخ الروماني تاسيتوس النور حوالى السنة ٥٥، وعاش خلال حكم عشرة من الأباطرة قبل أن يودّع هذا العالم بعد ثلاث سنوات من حكم الامبراطور تراجانوس. وقد أصبح مؤرخًا من الطراز الأول، ومن أشهر أعماله كتاباه «التاريخ» و«الحوليات». وهذا الأخير عبارة عن تاريخ للأحداث يسردها عامًا فعامًا. وبفضل تاسيتوس، يتوفّر لنا الاطلاع على حوالى ثمانين سنة من التاريخ الروماني الهام.

١٢٢
هادريانوس يبني سوراً

تحت الحكم الروماني أضحى جنوب بريطانيا مستقرًا ومزدهرًا، ولكن الحدود الشمالية كانت باستمرار فريسة غزو رجال القبائل من كاليدونيا ـ أو اسكتلندا ـ ويُعرفون باسم البيكتس، وقبيلة بريغانتيس التي تحتل ما هـو اليـوم اقليم يوركشـر. وهكذا في السنة ١٢٢، امر الامبراطور الروماني هادريانوس (٧٦ ـ ١٣٨) ببناء حاجز لصدّ هجمات رجال قبيلة البيكتس الغزاة، بطول ١١٠ كيلومترات، يضمّ قلاعًا منفصلة تقام كل ستة كيلومترات من نهر تاين إلى نهر صولواي. وقد أدّى هذا السور الغاية التي شُيِّد من أجلها على اتمّ

صورة، مع ان الجنود الذين كانوا يحرسونه لم يكن باستطاعتهم التمتع مطلقًا بأي راحة أو استرخاء.

وفي السنة ١٩٧، سحب حاكم بريطانيا الكتائب المولجة بحراسته في محاولة فاشلة لكسب الامبراطورية. وفي الحال تدفقت القبائل الشمالية من فوق السور حتى تخلّص منها الامبراطور الجديد سبتيموس ساويروس. وفي السنة ٣٦٧ عادت القبائل الشمالية فاجتازت السور مجددًا يعاونها في ذلك السكسون. ولم يستتب الأمن والنظام إلّا عندما استُدعيت كتائب عسكرية رومانية من القارة الأوروبية.

١٥٠
ظهور بعلبك

بعلبك، أو هليوبوليس ـ مدينة الشمس ـ هي إحدى عجائب الدنيا نظرًا للأعمدة الضخمة التي تقوم في قلعتها الكبيرة.

من أهم هياكل المدينة هيكل جوبيتر الذي يعود إلى السنة الستين للميلاد. ولا شك أن قاعدته قد أقيمت قبل الرومان. وهناك هيكل باخوس (ديونيسوس) الذي يعود إلى السنة ١٥٠. ويحار المحللون في من بنى هذا الصرح الكبير. ولعل التفسير نجده في السياسة التي اتبعها أباطرة روما في حكمهم الشرق. فقد حاولوا ان يجمعوا في طقوس واحدة وفي عبادة واحدة أبناء البلاد المحتلة والرومان المقيمين معهم.

وإذا كانت بعلبك تأخذ بأنظار السواح من حيث ضخامة أعمدتها، الا أنها تبقى فوق ذلك بما تمثله من تاريخ، ملتقى المعتقدات والتيارات التي مرت بلبنان.

١٦٤
جالينوس ينشط في روما

كان جالينوس المولود حوالى السنة ١٣٠ طبيبًا يونانيًا هبط روما حوالى السنة ١٦٤. وقد حظي بالعطف الامبراطوري بفضل براعته في المعالجة والشفاء، فعُيّن طبيبًا خاصًا للامبراطوريـن ماركوس أوريليوس وكومودوس. وقد كتب عن عمله، وكانت الكتابات التي وضعها وبقيت بعد وفاته السنة ٢٠٠، موضوع دراسة سائر الأطباء طوال قرون من الزمن.

٢١٢
الدستور الانطونياني

لما خلف الامبراطور كـاراكلّا (١٨٨ ـ ٢١٧) الامبـراطـور سبتيمـوس ساويروس كانت امبراطوريته الممتدة في غير نظام أو اتساق تشكو من تناقص نقدها. وكان الحملُ الباهظُ الكبيرُ في هذا المجال المبالغَ الضخمَة التي كانت تُدفع لإبقاء رؤساء القبائل البربريـة مسـالميـن. وهكـذا قـرّر فـي السنـة ٢١٢ منح الجنسية لكل رجل حرّ في امبراطوريته، في محاولة لزيادة الدخل من الضرائب. وقد عُرف هذا المرسوم الذي أصدره بالدستور الانطونياني. وللمرة الأولى في التاريخ بات في وسع أناس من آسيا واسبانيا ان يقولوا بفخر واعتزاز: «أنا من مواطنيّ روما».

٢٢٠
نهاية سلالة هان الصينية

قيل ان عدد المخترعات التي حدثت في خلال حكم سلالة هان الصينية

الذي استمر من السنة ٢٠٢ ق. م. إلى السنة ٢٢٠ للميلاد لهو أكثر من المخترعات التي تمت في أي زمن من تاريخ العالم.

وأحدُ هذه المخترعات كان البوصلة، ذلك بأنه تبيّن للصينيين أن قِطعاً حديدية ممغنطة تشير دائمًا إلى الجهة الشمالية إذا ما عُلِّقت في طرف حبل. واكتشفوا كذلك مسحوقًا متفجرًا مصنوعًا من نترات البوتاسيوم، والفحم، والكبريت، إلاّ أنهم لم يستعملوه الا في صنع الاسهم النارية للاحتفالات.

والحبر والورق ظهرًا أيضًا للمرة الأولى أثناء حكم سلالة هان. وقد استُخدم الورق في القرن الأول للميلاد كبديل للألبسة الحريرية.

وتم تحسين الأدوات والأجهزة الفلكية. وقد استخدم أحد فلكيي العصر للمرة الأولى الطاقة المائية لتشغيل المِبيان، وهو أداة تبيّن حركات ومواقع الكواكب في النظام الشمسي، ومن ذلك كانت الساعة الحديثة.

كل هذه المخترعات كانت تُقابل فترةً عظيمة من التوسع والامتداد. فقد كانت تنشط تجارة ثابتة ومتواصلة مع رومانيي الشرق برًا وبحرًا. وفي تلك الأيام كذلك أُدخلت البوذية الى الصين لتصبح دينَ الدولة الرسمي. سوى ان السلالة الامبراطورية أضحت ضعيفة، ومع ان السلالة العظيمة انتهت في السنة ٢٢٠، فإن تأثيرها دام قرونًا وقرونًا طويلة.

٢٢٤
تأسيس سلالة الساسانيين في بلاد فارس

أسس سلالة الساسانيين الحاكمة اردشير الأول الذي كان يحكم إحدى الممالك الصغيرة التي انقسمت اليها بلاد فارس، وقد استمدت اسمها من ساسان، أحد أجداد مؤسسها الذي كانت وفاته السنة ٢٤١.

والواقع ان اردشير اضطُر إلى الصراع العنيف من أجل بلاده الجديدة التي

كان يحكمها الملك ارتبانوس البارثي. فلما توفي زحف اردشير على رأس جيش عرموم، وراح يجتاح ببطء بلاد ما بين النهرين، ليؤلف من جديد امبراطورية فارسية قومية.

غير ان نشاطاته جرّت الكتائب العسكرية الرومانية، وكان الحاكم إذ ذاك اسكندر ساويروس. الذي حكم من السنة ٢٠٥ إلى ٢٣٥. وعلى الرغم من الخسائر الجسيمة، استطاع استعادة الكثير من الأراضي المحتلة، ثم بدت الامبراطورية كأنها تنهار بعد هزيمة ديسيوس على يد القُوطيين السنة ٢٥١، وراحت الكتائب العسكرية التي كانت في حالة عصيان متواصلة تنتخب الامبراطور تلو الامبراطور.

والقوطيون شعب جرماني اجتاح الامبراطورية الرومانية في القرون الأولى للميلاد.

واستأنف شاهبور الأول، ابن اردشير الأول، الحرب، فنهب انطاكية، واحتل ارمينيا. وكانت وفاته السنة ٢٧٢. ومن الأباطرة الذين انتخبتهم الكتائب بوبليوس فاليريانوس (١٩٣ - ٢٦٠) الذي زحف ضده، ومُني بهزيمة منكرة في ايديسا السنة ٢٦٠. وقد أُسر وعُذّبَ حتى الموت. واستمرت سلالة الساسانيين في الحكم طوال أربعة قرون حتى قضى عليها العرب السنة ٦٣٧.

٣٢٠
تأسيس امبراطورية غوبتا في الهند

يبدأ العصر الكلاسيكي للحضارة الهندية بسلالة غوبتا، وبمؤسسها السنة ٣٢٠ شاندرا غوبتا الأول، بعد سلسلة من الغزوات الأجنبية. وقد وسّع ابنه سامودرا غوبتا الذي عاش بين السنة ٣٤٠ و٣٨٠ امبراطورية ابيه، في حين ان ابنه شاندرا غوبتا الثاني فيكراماديتا أثبت انه جندي قوي البأس والشكيمة،



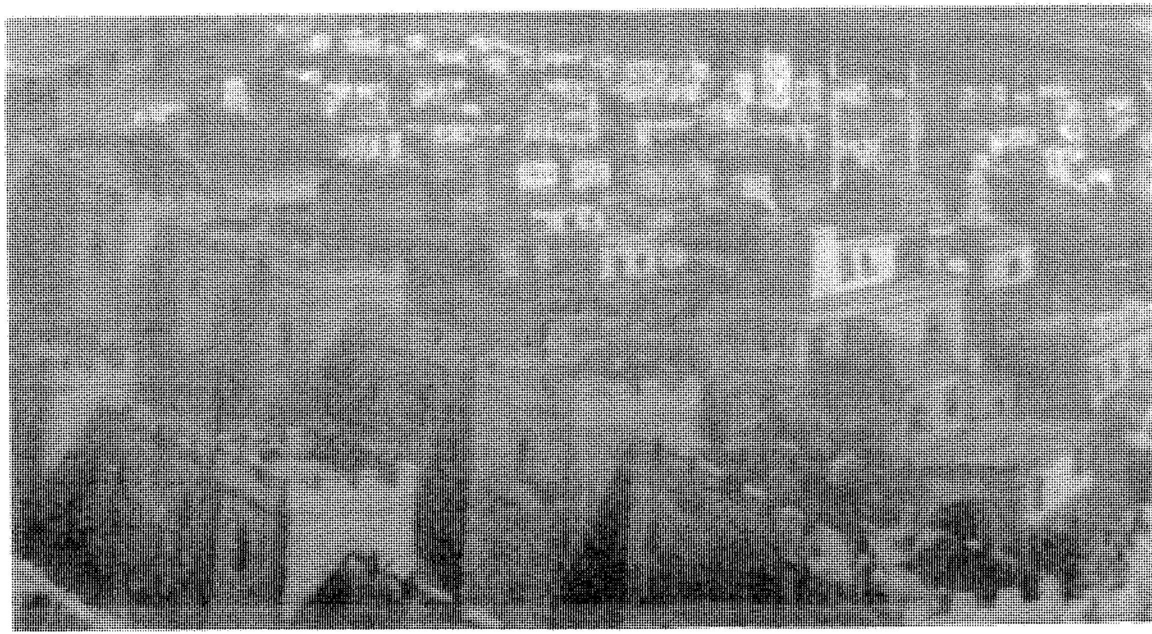
فمدّ الامبراطورية حتى باتت من أكبر الامبراطوريات في العالم القديم، زاحفًا بقواته العسكرية إلى أقصى الجنوب بحثًا عن ممالك جديدة. وقد ضمت في النهاية النيبال، وآسام، ومملكة البُنْجاب.

ودامت امبراطورية غوبتا حوالى المائة والخمسين سنة، على الرغم من ان بعض أفراد الأسرة المالكة كانوا ما يزالون يحكمون مناطق بعد ذلك التاريخ بزمن طويل. وقد تميزت الفترة كلها بالتقدّم الذي أُحرز في ميادين الفن، والعلم، والطب، والرياضيات، والأدب السنسكريتي.

٣٣٠
القسطنطينية تصبح العاصمة الجديدة

خلال مطلع القرن الرابع كانت روما دومًا هدفًا لغزوات القبائل البربرية الضاربة من الشرق. وكانت قد أصبحت كذلك مدينة قديمة وغير ملائمة بالنسبة إلى العيش فيها. شَجّع ذلك الامبراطور الروماني قسطنطين الذي عاش بين السنة ٢٨٠ و٣٣٧ على نقل عاصمته إلى مدينة بيزنطة الشرقية التي كانت السنة ٣٣٠ قد بلغت الف سنة من العمر، ذلك بأنها تأسست حوالى ٢٥٧ قبل الميلاد على يد بيزاس الاغريقي.

اختار قسطنطين بيزنطة لأنها جذبته بموقعها ـ فقد كان البحر يحميها من الهجمات من ثلاث جهات، فلا يبقى سوى جهة واحدة، وحسب، يمكن أن يأتي منها أي هجوم. وقد تنصّر قسطنطين السنة ٣٣٧. وكان المهندسون في هذه الأثناء حوّلوا المدينة القديمة إلى مدينة حديثة، وحصينة، وفخمة. وفي السنة ٣٩٥، عندما قُسمت الامبراطورية الرومانية قسمين ـ الامبراطورية الشرقية والامبراطورية الغربية، باتت بيزنطة عاصمة الامبراطورية الرومانية الشرقية، والامبراطورية البيزنطية.



جانب من القسطنطينية (استنبول اليوم) .

٤١٠
الفيزيغوت ينهبون روما

في السنة ٤١٠ تدفّق عبر أوروبا في سيلٍ عَرِمٍ غَمر كل شيء جيشٌ من البرابرة الأقوياء يضم النساء، والأطفال، والماشية. وسقطت الحواجز والسدود في الامبراطورية الرومانية، وسرعان ما انضم إلى القبائل المتوحشة الآتية من الغابات الشمالية محاربون من القوطيين الغربيين ـ أو الفيزيغوت. وبقيادة آلاريك المولود السنة ٣٧٠ وهو الجندي القدير، تدفّقوا أولاً على اليونان، فسقطت كل من أثينا، وإسبرطة، وكورنثيا، ونُهبت على بكرة أبيها، وحُمل سكانها أسرى.

وإثر تدمير اليونان، ومن بعدها البلقان تدميرًا شاملاً، بدأ آلاريك زحفه إلى روما، وما لبث ان ظهر لدى سفح جبال الألب اليونانية، فكان أولَ غازٍ يهدد المدينة منذ أيام هنيبعل، قبل ذلك بخمسمائة سنة. وبذل ستيليكو، القائد الروماني الشهم، كل ما بوسعه لوقف هذا المد الرهيب، ولكن دون جدوى. وفي آب ٤١٠ تجمّعت القبائل الغازية أمام روما، وسرعان ما باتوا داخل أسوار المدينة التي حُكم عليها بالهلاك. وبعد ثلاثة أيام من السلب والنهب جمع آلاريك رجاله وقادهم خارجين منها بعد أن واجهتهم أزمة غذاء، تاركين خلفهم مدينة مدمَّرة. وقادهم جنوبًا، ولكنه توفي بعد ذلك بقليل في صقلية في السنة ٤١٠.

٤١٣
أوغسطينوس يكتب «مدينة الله»

ولد أوغسطينوس السنة ٢٥٤ في تونس من أبوين رومانيين، ومع أنهما كانا مسيحيين، فإنه لم يعلن إيمانه بأي دين خلال مرحلة صباه. فلما بلغ الرابعة

والثلاثين، اعتنق النصرانية واعتمد، ودرس اللاهوت ليصبح كاهنًا. ومن أعظم أعماله « الاعترافات » التي وضعها السنة ٣٩٧ و« مدينة الله »، وهي من نتاج السنوات بين ٤١٣ و٤٢٦. أما وفاته فكانت بعد ذلك بأربع سنوات.

٤٢٨
تأسيس سلالة الميروفنجيين الحاكمة

الصاليّون كانوا من القبائل الفرنكية، أو الفرنجة، التي سكنت في مناطق الراين الواقعة قرب بحر الشمال، وقد احتلوا منطقة بالقرب من نهر الموز في بلاد الغول ـ فرنسا اليوم. وفي القرن الخامس، عندما انسحبت الكتائب الرومانية لتحارب الغزو البربري، أصبح الشعب الصالي مستقلًا، وقد أعطى فرنسا اسمه. وكان ميروفيك، أحدَ أول الملوك الصّاليين ومؤسس سلالة الميروفنجيين الحاكمة التي كانت أولَ من حكم فرنسا. وكان ابنه شيلديريك الأول الذي عاش بين السنة ٤٥٧ و٤٨١، وحفيده الملك كلوفيس الشهير.

٤٣٢
مهمة باتريك في ايرلندا

ولد القديس باتريك، شفيع ايرلندا، في بريطانيا، بالقرب من نهر سيفيون في السنة ٣٨٥، وقد درس العلوم الدينية، ولكنه ما إن بلغ السادسة عشرة حتى اختطفته عصابة من القراصنة الايرلنديين، واكرهته على أن يصبح راعيًا. الا أنه تمكّن من الفرار على ظهر سفينة انزلته في بلاد الغول.

وبعد فترة من التدريب الديني، عاد الى موطنه بريطانيا ليقيم ردحاً من الزمن، ثم شاهد رؤيا طُلب اليه فيها العودة إلى إيرلندا حاملاً « رسالته الدينية » إلى تلك البلاد التي كان معظمها وثنيًا. ولكي يتأهب جيدًا



لعمله الرسولي، عاد الى بلاد الغول للدراسة في مدينة تور، وقد سامه اسقفًا فيما بعد، البابا قسطنطين الأول في السنة ٤٣٢. وفي تلك السنة نفسها استقلّ سفينة متجهة إلى ايرلندا ليبدأ رسالته التبشيرية. وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التي جوبه بها في بادىء الأمر، ثابر في عمله، وحمل المسيحية إلى تلك الجزيرة، بعد أن حطّم الأصنام وأحرق كتب الكهنة «الدرويد»، وأسس معهدًا للأبحاث...

٤٣٥
الجوت والآنِكْلز والسكسون يغزون بريطانيا

طوال قرون ظلت بريطانيا بلادًا مستقرة، تدعمها قوة روما، ولكن حوالى السنة ٤١٠، انسحبت الكتائب العسكرية الرومانية، وما لبثت أن أصبحت سواحل بريطانيا مفتوحة واسعة أمام أي هجوم، باستثناء ما تبقّى من الجنود الرومان الذي تخلّفوا ليكونوا مستعدين ليتوحدوا من أجل حماية منازلهم.

وكان أول الغزاة شعبٌ جرماني من قبيلة وثنية يعرفون باسم الآنِكْلز، جاؤوا من شمال غرب الدانمارك، وهبطوا أول الأمر للنهب، ثم لكي يستقروا في مكانهم، وأعطَوْا أسمهم لآنكليا الشرقية. وكان جيرانهم من قبيلة جرمانية أيضًا، وهم السكسون، ومثَلَهُمُ مَثَلُ الآنكِلز كان تأثيرهم في انكلترا في أول

عهدها عظيمًا جدًا. وكذلك نزلت الى سواحل بريطانيا قبيلة أخرى ثالثة يُعرف شعبها باسم الجوت، وقد استقرّوا في كِنْت. غير أن القبيلتين الأوليين، على ما يبدو، كانتا أكثر سيطرة من هذه القبيلة. وقد احتل الانكلوسكسون هؤلاء بريطانيا تدريجيًا، دافعين الحضارة الرومانية ـ الكِلْتية إلى الغرب. وقد اشتُقّت لفظتا انكلترا والانكليز من اسم الآنْكِلْز. وسنتحدث فيما بعد عن معركة جبل بيدون في السنة ٥٠٠ استكمالًا لهذا الغزو لبريطانيا.

٤٥١
آتيلا الجبار يغزو بلاد الغول

« الهُون » شعب مغوليٌ مترحِّل، وآتيلا كان رجلًا يزرع مجردُ اسمِه الرعبَ في نفوس الآلاف من الشعوب، التي عاشت خلال القرن الخامس، وقد لُقِّب بـ « لعنة الله ». فتح عينيه للنور السنة ٤٠٦، فلما توفّي عمه أصبح حاكمًا لشعب الهُون الذي هبط من أقصى أطراف السهول الشرقية الكبيرة لأوروبا.

وزحف آتيلا على رأس هذا الشعب في السنة ٤٤٧ عبر نهر الدانوب، وما لبث ان أجبر القبائل التي تعيش على تخوم الامبراطورية الرومانية على الفرار من وجهه. وقام الهُون بمختلف أعمال التدمير من نهب وحرق وسفك للدماء، في أرجاء البلدان التي اجتاحوها. ومرّوا في المانيا، وفي السنة ٤٥١ عبروا إلى بلاد الغول.

ووحّد كل من آييتوس الروماني، وثيودوريك الوَنْدالي قواهما لوقف زحف الهُون، وجرت معركة بالقرب من مدينة شالون ـ سور ـ مارن، انتهت بتشتيت هؤلاء الغزاة شرَّ تشتيت. واضطُروا إلى الانسحاب، فغزت قواتهم المسحوقة ايطاليا ودمرتها. وكانت وفاة آتيلا السنة ٤٥٣، فجعلت قبائل الهُون تنجرف مشتتةً بعد أن فقدت اليدَ الموجِّهة.

٥٠٠
كلوفيس والفرنجة يعتنقون النصرانية

راحت سلالة الميروفنجيين التي تأسست السنة ٤٢٨ تقوى شيئًا فشيئًا، وتتقدم عبر فرنسا لتنشئ عاصمتها في تورناي. وفي السنة ٤٨١ أصبح لهم ملك جديد هو المحارب الشاب كلوفيس الذي وُلد السنة ٤٦٦، وعاش حتى السنة ٥١١. وكان من أعماله الأولى خوضُ معركة ضد سياغريوس، القائد الروماني الذي أسس مملكةً لنفسه قريبًا من هناك، فأنزل به هزيمة منكرة.

ومن ثَمّ قاد كلوفيس الفرنجة الصاليين إلى عاصمة جديدة بناها في سواسون، وراح يوسّع مملكته ويمدها تدريجيًا حتى كادت تصبح امبراطورية. وتزوج السنة ٤٩٣ كلوتيلد، وهي اميرة بورغندية. فسمح لابنائه بأن يعتمدوا، ولكنه بقي وثنيًا. وكانت المعركة التي خاضها ضد الشعب الآليماني، إذ أقسم بأن يعتنق النصرانية إذا ما حالفه النصر. وانتصر، واعتمد في مدينة رانس السنة ٤٩٦ مع ثلاثة آلاف من جنوده وأتباعه الفرنجة.

٥٠٠
معركة جبل بيدون

انتهى الأمر بالغزاة الانكلوسكسون لبريطانيا إلى احتلال معظم هذه البلاد، باستثناء اسكتلندا، وويلز، وكورنوول الغربية، ومع ذلك كانوا في معظم الأحيان يَلْقَوْن مقاومة عنيدة. ومع أن الرومان كانوا قد رحلوا عنها، فقد تخلّف الكثيرون من جنود كتائبهم فيها، الأمرُ الذي أبقى في المنازل الفخمة التي تخصُّ البريطانيين المهمين مزيجًا من الحضارتين الرومانية، والكلتية.

وحافظتِ الأُسرُ على المعرفة الرومانية في شؤون الحرب، وقاومت

الانكلوسكسون، وقد وُصفت هذه الأيام المضطربة ابلغَ وصف وأشمله في كتاب غيلدا المعنون « تدمير بريطانيا واحتلالها »، حوالى السنة ٤٥٠ .

وكان أحدَ أبطال تلك الفترة قائدٌ يدعى آرثر، جمع، على ما يبدو، جماعةً من المحاربين، وخاضَ اثنتي عشرة معركة على الأقل ضد السكسون، كان آخرَها وأهمّها معركةُ جبل بيدون بالقرب من سويندون، ربما في السنة ٥٠٠ .

وما لبث آرثر ان أصبح شخصية اسطورية في إلفولكلور الكِلتي، ومن أحبّ الموضوعات في أدب القرون الوسطى المتأخر، وفيه يتحوّل إلى ملك عظيم يتّسم بالفروسية والشرف والجود والكياسة.

حوالى ٥٠٠
ازدهار تشيشن ايستا

كانت حضارة شعب المايا احدى أعظم الحضارات التي سادت أميركا الجنوبية. وحوالى السنة ٣٠٠ راحِ هذا الشعب يهاجر شمالًا بحثًا عن مكان أفضل للبناء مجددًا. وكان مثلُ تلك الهجرات مألوفًا كثيرًا في العصور القديمة، لأن الشعوب حينذاك لم تكن قد تعلّمت بعد كيف تُغني التربة، فتضطر هكذا الى التنقّل والترحُّل عندما تبور المواسم.

واختارت إحدى قبائل المايا الثماني عشرة مكانًا في المكسيك يدعى تشيشن ايستا، وكان على نقيض سائر المدن التي انشئت على ضفاف أحد الأنهر أو بالقرب منها، التي كانت معظم أيام السنة جافة وقاحلة. وقد عرفوا على ما يبدو، ما هم فاعلوه، لأن مدينتهم بُنيت على تربة جيرية، أو كلسية،

فكانت الأمطار السنوية تتسرب خلالها لتتجمع في بحيرات جوفية. وقد بنى شعب المايا خزانات واسعة ليؤمّنوا المياه العذبة الباردة طوال السنة.

وكانت تلك المدينة كبيرة جدًا، وتضم المباني الضخمة المبنية من الحجر الرملي البرّاق، والمزخرفة جميعًا بالنقوش الجميلة الفنية. ويبرز بينها جميعًا هرم هائل يعلوه هيكل يرتفع ستة وعشرين مترًا. وكان هناك أيضًا بئر مقدسة تُستخدم لتقديم القرابين. وكانت تشيشن ايستا تُعتبر في أوجها مدينةً مقدسة.





تراث حضارة المايا، في المكسيك: إلى اليمين شكل خزفي في كمبيكي، وإلى اليسار، أهرام ومعبد في بالنكه.

٥٢٣
بويثيوس «حول تعزية الفلسفة».

وُصف آنيسيوس بويثيوس المولود السنة ٤٨٠ بأنه «آخر الرومان وأول السكولاستيين» ـ وهم الفلاسفة الشديدو التمسك بالتعاليم والأساليب التقليدية الخاصة بمذهب أو فرقة. وقد عُيِّن السنة ٥٠٠ قنصلاً، فما لبث ان برهن عن كونه امرأً منصفًا وحازمًا. ودونما أي تبرير اتُّهم بالخيانة، وزُّج في السجن حيث وضع كتابه الشهير «حول تعزية الفلسفة» في السنة ٥٢٣ التي سبقت وفاته بسنة واحدة وحسب.

٥٢٩
كنيسة آيا صوفيا

أُبدل اسمُ بيزنطة القديم باسم القسطنطينية تكريمًا للامبراطور قسطنطين. وبعد أن شطر ثيودوسيوس الامبراطورية الرومانية الى شطرين، باتت الامبراطورية الشرقية، وعاصمتها القسطنطينية، على جانب كبير من القوة. كما باتت جميلة جدًا لأنها تطورت إلى مدينة حصينة، تعجُّ بالقصور، والمسارح، والملاعب، والكنائس. وقد نُقلت كل كنوز امبراطورية روما العظيمة لتزيين هذه العاصمة.

وبلغت القسطنطينية ذروة مجدها وشهرتها خلال حكم الامبراطور يوستنيانوس المولود السنة ٤٨٣، الذي كان له غايتان اثنتان، إحداهما كانت استعادة الامبراطورية الغربية من البرابرة، ولكنه لم يكن ناجحًا فيها إلا جزئيًا. أما الغاية الثانيةُ، فكانت منح امبراطوريته مجموعةً جديدة من القوانين، وضعها السنة ٥٢٩ لتوضيح كل القوانين الرومانية السابقة، وتحديثها.

ولعلّ من أجمل المباني التي شُيّدت على زمنه، وما تزال، كنيسة آيا

صوفيا، وهي تحفة رائعة من حيث الجمال والفخامة، إذ ترتفع المُنحنيات فيها الواحدة فوق الأخرى إلى علو ثلاثة وخمسين مترًا في أوج قبّتها الكبرى. وقد حوّل العثمانيون آيا صوفيا إلى مسجد.

٥٤٠
أوئل الشعراء الويلزيين

مع دفع الانكلوسكسون الشعوب الكِلتية ناحيةَ الغرب، راح الشعرُ يزدهر في منطقة ويلز، ومعظمُهُ وجَدَ الوحيَ والالهامَ في الخرافات والأساطير الايرلندية. وقد دُوِّنت فيما بعد، وفي القرون الوسطى، أناشيدُ الشعراء أمثال تالييسن، وآنايرين، ولايوارك هين. أما أشهر أعمال آنايرين المسمّى «غودودين» فيرثي الأبطالَ البريطانيين الذين استشهدوا في المعركة مع الانكلوسكسون.

٥٧١
مولد الرسول الكريم محمد (صلعم)

في ٣٠ نيسان السنة ٥٧١ ـ أو ١٢ ربيع الأول ـ وُلد النبي العربي الكريم محمد بن عبدالله (صلعم) في مكة المكرمة. ويُعرف ربيع الأول بأنه أفضل الربيعين لوقوع هذه الذكرى الكريمة فيه. غير أن غرائب المصادفات تشاء ان تكون وفاة الرسول الكريم في ١٢ ربيع الأول أيضًا من السنة الحادية عشرة الهجرية، وصادف ذلك ٢٧ أيار من السنة ٦٣٢ ميلادية.

كان يتيم الأب، إذ توفي والده عبدالله بن عبد المطلب قبل مولده بسبعة أشهر. أما أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف، فقد توفيت عندما بلغ محمد (ﷺ)

السادسة من عمره. فكفله جده عبد المطلب. ولما بلغ الثامنة من عمره توفي جده فكفله أبو طالب، وكان يحبه كثيرًا ويحنو عليه. ويُعرف عنه في تلك الفترة المبكرة من حياته انه كان شديد الميل إلى العزلة، كثير التفكير، لا يشارك اترابه من فتيان قريش لهوَهُم ومرحَهم. وكان هادىء الطباع، مشرق الوجه دائمًا، وعنده ثقة كبيرة بنفسه، مما أكسبه ثقة الناس به، فلقّبوه بالأمين، والصادق، حتى أنهم قبلوه حَكَمًا بينهم يوم جدَّدوا بناء الكعبة الشريفة، واختلفوا في مَنْ يكون له شرفُ وضع الحجر الأسود في مكانه. وكاد النزاع بينهم يتحول إلى حرب لولا حكمة النبي محمد الذي حسم الموقف بإشراكهم جميعًا في رفع الحجر، بعد أن وضعه في الرداء ونقله إلى مكانه. وكان أن بلغت أنباء أمانته وحكمته اسماع خَديجة بنت خُويلد الأسدية، وكانت سيدة محترمة في قومها، وغنية بمالها. فأوكلت اليه أمر تجارتها، فأخذ يسافر إلى الشام مع القوافل التجارية. ثم عرضت خديجة على النبي الزواج، وكانت في الأربعين من عمرها، وعاشت معه خمسًا وعشرين سنة. وكانت له خيرَ عون في حياته ورسالته.

أما الرسالة النبوية الشريفة فقد هبطت على النبي في ليلة القدر من شهر رمضان من السنة ٦١١، وكان عليه السلام يتعبد منفردًا في غار حراء كعادته، فهبط عليه جبريل وقال له: «اقرأ». فقال «ما انا بقارىء». فكرّر جبريل القول «اقرأ». وعاد النبي يقول: «وماذا اقرأ؟» فقال جبريل: «اقرأ». وعاد النبي يقول: «وماذا أقرأ؟» فقال جبريل: «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علَق، اقرأ وربك الأكرم الذي علَّم بالقلم، علَّم الانسان ما لم يعلم». وكانت هذه أول آية من آيات القرآن الكريم التي أوحى الله بها الى النبي العظيم.

وكانت زوجته خديجة أوّل من آمن به، ثم علي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، ثم شرع الرسول في تبلّغ رسالته وتبليغها إلى من يثق به ممن حوله. وقد

تعرَّض اتباع النبي في بدء الدعوة الإسلامية لشتى صنوف الاضطهاد، ولكن الدعوة صمدت وانتصرت، وزالت الوثنية من شبه الجزيرة العربية. ثم انتشرت الدعوة في أرجاء الشرق الأوسط، وأفريقيا، وحوض البحر الأبيض المتوسط، وإسبانيا، وبات الإسلام، وما يزال، إحدى الديانات الرئيسية في العالم.

في السنة العاشرة من دعوة النبي الكريم حج حجة الوداع وخطب في الناس موصيًا إياهم بتقوى الله وطاعته، وبَيَّنَ لهم أصولَ الدين الجديد. وفي هذا نزلت الآية الكريمة: ﴿**اليومَ أكملتُ لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينًا**﴾(*). ثم عاد إلى المدينة المنوَّرة، ومرض هناك بعد ثلاثة أشهر في ٢٧ من صفر - الموافق ٢٨ نيسان، وتوفي يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من العام الحادي عشر للهجرة، وصادف ذلك ٢٧ أيار من السنة ٦٣٢ الميلادية، وهو في الثالثة والستين من عمره، وكان عُمْر رِسالتِهِ ثلاثًا وعشرون سنة.

٦٠٢
أوغسطينوس يؤسس كاتدرائية كانتربري

كان أوغسطينوس الثاني رئيس دير روماني، أوفده إلى انكلترا السنة ٥٩٧ الباب غريغوريوس الأول. برفقة حوالى أربعين راهبًا. فسمح لهم الملك آيثلبرت أوف كنت بأن يستوطنوا كانتربري، وقد عمّده أوغسطينوس فيما بعد. وفي السنة ٦٠٢ بدأ العمل في بناء كاتدرائية فخمة عُرفت باسم كاتدرائية كانتربري، وكانت وفاة بانيها بعد سنتين من ذلك.

(*) سورة المائدة الآية ٣.

٦١٨
تأسيس سلالة تانغ

عندما انهارت سلالة هان التي حكمت الصين أكثر من أربعة قرون في السنة ٢٢٠ ، غزاها البدو الرُحّل من الشمال، وطوال أربعة قرون أخرى بقيست الصين دون أي حكومة مستقرة.

وفي السنة ٦١٨ تسلّمت الحكمَ اسرةُ تانغ، ومنذ ذلك التاريخ راحت البلاد تتوسع وتزدهر. ذلك بأن قوات تانغ مَدَّتْ حدود الصين إلى درجة جعلتها من أعظم الامبراطوريات. وتُعتبر القرون الثلاثة التي دام فيها حكم هذه السلالة عصرَ الصين الذهبي. وكان أعظم أباطرة هذه الأسرة لي لونغ ـ تشي الذي أثبت أنه جدير بلقب « ابن السماء » لأن حكمه كان فترة منجزات فنية عظيمة. فقد أسس أكاديميات الموسيقى، والرقص، والشعر، وأظهر اهتمامًا كبيرًا بالمعضلات العلمية، حتى أنه أمر ببناء أول جسر حديدي معلّق عرفه التاريخ.

٦٢٢
بداية التقويم الهجري

يبدأ التأريخ بالسنين الهجرية مند السنة ٦٢٢ ، وفي ١٦ تموز منها، وهو أول محرم، وكانت هذه السنة تُعرف عند العرب بسنة الاذن. وهذه الهجرة هي الهجرة الثانية، ذلك بأن ثمة هجرتين. فالأولى هي هجرة النبي (صلعم) مع قلة من الانصار اضطهدهم بنو قريش، وكان عددهم زهاء التسعين ـ على ما يروى. وقد رحلوا إلى الحبشة. اما الهجرة الثانية التي نتحدث عنها فهي هجرة الرسول الكريم إلى يثرب التي سمّيت من ثَمّ المدينـة المنوَّرة. وقد هاجر معه الانصار والمهاجرون السنة ٦٢٢ ، بعد أن أصابته قريش بعظيم من أذاها ومنها، كان بدء التاريخ الاسلامي والهجري.

ونستعرض الآن أبرز أحداث السنوات العشر الاولى من التقويم الهجري التي

انتهت بحجة الوداع، ووفاة الرسول، كما أوردها المؤرخ أبو الفرج(★):

«في السنة الأولى من هجرته احتفل الناس اليه ونصروه على المكيّين اعدائه. وفي السنة الثانية من هجرته إلى المدينة خرج بنفسه إلى غَزَاة بدر وهي البطشة الكبرى وهزم بثلاثماية وثلاثة عَشَر رجلاً من المسلمين الفًا من أهل مكة المُشركين. وفي هذه السنة صُرفت القبلة عن جهة البيت المَقْدِس إلى جهة الكَعْبة. وفيها فُرض صيام شهر رمضان. وفي السنة الثالثة خرج إلى غَزاةِ أُحُدٍ وفيها هزم المشركون المسلمين، وشُجَّ في وجهه وكسرت رَبَاعِيَتُه. وفي السنة الرابعة غزا بني النَّضَير اليهود وأجلاهم إلى الشام. وفيها اجتمع أحزاب شتى من قبائل العرب مع أهل مكة وساروا جميعًا إلى المدينة. فخرج اليهم، ولأنّه هالَ المسلمينَ امرُهُم أمر بحفر خندقٍ وبَقُوا بضعةً وعشرين يومًا لم يكن بينهم حرب. وفي السنة السادسة خرج بنفسه إلى غزاة بني المُصطلق وأصاب منهم سبيًا كثيرًا. وفي السنة السابعة خرج إلى غَزاة خيبر مدينةِ اليهودِ، ويُنقَلُ عن الامام علي بن أبي طالب انه عالج باب خيبر واقتلعه وجعله مِجَنًّا وقاتلهم. وفي الثامنة كانت غَزاةُ الفتحِ، فتحِ مكّة وَعَهْدَ المسلمين ان لا يَقتلوا فيها إلا من قاتلهم. وأمّن من دخل المسجد ومن اغلق على نفسه بابه وكفّ يَدَهُ ومَن تعلَّق بأستار الكَعبة سوى قوم يؤذونه، وأسلم أبو سُفيان وهو كبير مَكَّةَ. وفي السنة التاسعة خرج إلى غَزاة تبوكَ من بلاد الروم ولم يحتج فيها إلى حرب. وفي السنة العاشرة حجَّ حِجَّةَ الوَداع. ثم وَعَكَ ومَرِضَ وتوفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر، وكان عمرُه ثلاثًا وستين سنة...»

(★) هبة الله، أبو الفرج، محمد بن عبد القادر بن محمد صالح بن عبد الرحيم الخطيب الدمشقي، نحوي، مفسّر، خطيب، مشارك في علوم أخرى. درس في المدرسة النورية، ومن تصانيفه: حاشية على قطر الندى لابن هشام في النحو، وديوان خطب، وتعليقة على كتاب الفراسة لوالده، وفوائد التنزيل في تفسير القرآن الجليل في خمسة مجلدات، والفيوضات الحسان بنصائح الولدان.

٦٣٨
عُمر بنُ الخطّاب يفتح بيت المقدس

بعد قرنين من الزمن على وفاة الرسول الكريم، فتح المسلمون الكثير من البلدان، وانشأوا امبراطورية كانت أكبر من الامبراطورية الرومانية. وكان الخليفةُ الثاني من الخلفاء الراشدين، عمر بن الخطّاب، أول المحاربين في الاسلام، وقد بويع له بالخلافة في السنة ٦٣٤، وفي اليوم الذي مات فيه الخليفة الأول أبو بكر الصدّيق. وكان من فتوحاته الأولى بيت المقدس التي صَمد أهلوها طوال أربعة أشهر. وقد استسلموا بعدما أمّنهُمْ عُمر على حياتهم وأرزاقهم.

يقول ابن خلدون في «مقدمته»

«... وقام عُمَرُ بمثل سيرة أبي بكر، وجهاده، وثباته، وصبره على العيش الخشن، والقناعة باليسير، وفتح الفتوحات الكبار والأقاليم الشاسعة. وهو أول من سميّ بأمير المؤمنين، فأرّخ التاريخَ ودوّن الدواوين، ومصّر الأمصارَ، وشهد بدرًا. وهو أول من عَسَّ في عمله لحفظ الدين والناس. وهابه الناسُ هيبةً عظيمة، وزاد في الشدة في مواضعها، واللين في مواضعه...» وكانت وفاته في السنة ٦٤٤ بعد أن هابه في حياته ملوك فارس والروم. ويقول ابن العميد موجزًا صفاته: «... ومع ذلك بقي على حاله كما كان قبل الولاية في لباسه، وزِيّه، وأفعاله، وتواضعِهِ، يسير منفردًا من غير حرس ولا حُجّاب. لم تغيّره الإمرةُ ولم يستطل على مسلم بلسانه. ولا حابى أحدًا في الحق. وكان لا يَطْمَعُ الشريفُ في حَيْفه ولا ييأس الضعيف في عدله».

ومن أقواله المختارة

- من كتم سرّه كان الخيار في يده.
- أشقى الولاة من شقيت به رعيته.
- الى الله أشكو ضعف الأمين وخيانة القوي.

٦٥٠
اختراع الطباعة بالحروف الخشبية

ان أعظم الاختراعات التي طلعت بها الصين على العالم في ذلك الزمن كانت الطباعة باستخدام الأحرف الخشبية التي تمّت خلال حكم سلالة تانغ بين السنة ٦١٨ و٩٠٧. وكان الخشب يُحفَرُ حول الشكل المطلوب طبعُه بحيث يبرز هذا الشكل نافرًا. ومن ثَمّ كانت الحروف تُحَبَّرُ وتوضع تحت مكبس فوق المادة التي ستُطبعُ عليها، ثم فيما بعد فوق الورق.

من ٦٤٥ الى ٦٥٧
تدوين القرآن الكريم

في كتابه «الوثيقة الأولى في الاسلام» يقول الدكتور محمد قبيسي إننا لا نستطيع ان نؤرخ التدوين والتأليف عند العرب الا بعد الاسلام. وحول تدوين القرآن الكريم الذي جرى في زمن ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفّان الذي استُخلف اثنتي عشرة سنة من السنة ٦٤٥ الى السنة ٦٥٧، وعاش نيفًا وثمانين سنة، يقول المؤلف:

«... ولما كان زمن عثمان بن عفّان، ورأى اختلاف الأمصار في قراءة القرآن، أمر بكتابة نُسَخٍ رسمية منه وتوزيعها على الأمصار لجمعها على قراءة واحدة. فنُسخت خمسُ نسخ من القرآن، وأُرسلت إلى مكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، وبقي لدى عثمان مصحف عُرف بالمصحف الإمام. ومنذ زمن عبد الملك بن مروان، انتشرت مهمّة نسخ المصاحف.

٦٦٢ إلى السنة ٧٥٠
دولةِ الأُمويين

الأمويون، هم سلالة الخلفاء الذين تولوا الحكم بعد الخلفاء الراشدين الأربعة، وكانت عاصمتهم دمشق. وقد ازدهرت في عهدهم الذي استمر حتى السنة ٧٥٠، الحضارة الاسلامية في مختلف جوانبها الدينية والعلمية والفنية. ومؤسسها هو الخليفة معاوية بن أبي سُفيان، وقد تعاقب بعده على الحكم من هذه السلالة الأُموية عشرة خلفاء، كان آخرهم مروان بن محمد ـ مروان الحمار.

وبعد أن قضى العباسيون عليهم في الشرق انتقل الأمويون إلى الأندلس حيث أسسوا مُلكًا استمر من السنة ٧٥٦ إلى السنة ١٠١٣، وجعلوا قرطبة عاصمة لهم. وكانوا ستة عشر عدًّا، أشهرهُمُ عبد الرحمن الملقَّب بالداخل، وعبد الرحمن الناصر، وكان من أكبر الملوك في القرون الوسطى، وقد اتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين.

يقول الفخري في تاريخه ان معاوية كان اول من اتخذ المقاصير، وأقام الحَرَس والحجَّابَ، وأول من مشى بين يديه صاحب الشرطة بالحراب... ابتكر في الدولة أشياء لم يسبقه أحدٌ إليها، منها أنه وضع البريد لوصول الاخبار بسرعة، واخترع ديوان الخاتم، فصارت التواقيع تصدر عنه مختومةً لا يتمكن احدٌ من تغييرها... وفي ايامه بُنيت القيروان، وكَمُلَ بناؤها في خمس سنين...

وأما سادس الخلفاء الأمويين الوليد بن عبد الملك ـ على ما يقول الدُمَيْري ـ فقد كان مغرمًا بالبناء، ومن بناياته المسجد الاقصى. اعطى المجذومين ومنعهم السؤال الى الناس، كما أعطى كلَ مُقْعدٍ خادمًا وكل ضَرير قائدًا؛ وفرض الكتابة بالعربية على الكتّاب النصارى بدلاً من الكتابة بالرومية.

٧٠٧
عنجر

تعود شهرة عنجر إلى أيام الايتوريين الشجعان من الذين وقفوا في وجه الرومان، وقد كانت تعرف بمدينة «خلقيس». وقد استفاد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك من مناخ المدينة على عهده ليبني فيها بين ٧٠٧ و٧١٣ مدينة استجمامية له ولبطانته وزواره. وقد استعان بحجارة الأطلال الرومانية والبيزنطية في عملية تعميرها. كما شق هذا الخليفة طريقين عامّين إلى المدينة الجديدة، وأقام على أحد المفترقات نصبًا مربعًا كبيرًا.

وتزدان تلك المعالم الأثرية بمسجد وقصرين زُيِّنت نوافذهما ورؤوس أعمدتهما بنقوش عربية جميلة وأخرى مستوحاة من الفن البيزنطي. وأُحيطت المدينة على سبيل الحماية بأسوار شبه مربعة وفُتحت فيها أربعة أبواب ضخمة من جهاتها الأربع.

وتبقى عنجر في العصر القريب عنوان بطولة خاضها الجيش اللبناني بقيادة فخر الدين في وجه العثمانيين.

٧١٥
ملحمة بيوولف

بيوولف هو بطل أقدم ملحمة شعرية في الأدب الانكليزي، وهي تروي قصة صراعه مع مسخ مقيت وتنّين، وتشبه العبارات وأسلوب الكتابة المستخدم فيها تمامًا تلك التي استخدمها الرهبان في القرن السابع. ويعتبر الخبراء ان هذه الملحمة كُتبت للمرة الأولى في القرن الثامن وحوالى السنة ٧١٥.

٧٣١
بيد يكتب تاريخه

كان بيد، ويُعرف أيضًا بالمحترم، اشهرَ المؤرخين الانكليز على الاطلاق. وُلد السنة ٦٧٣، ودخل وهو صغير دير ويرماوث، ثم انتقل فيه إلى دير

جارو. وكان عالِمًا لامعًا، وباحثًا مدقِّقًا. وقد تبيّن ان تاريخه «التاريخ الانكليزي للأمة الانكليزية» كان ذا قيمة لا تقدّر بالنسبة إلى المؤرخين الذين جاؤوا بعده. وكانت وفاته السنة ٧٣٥.

٧٥٠

ابتداء دولة العباسيين

بنو العباس، أو الخلفاء العباسيون، عددعم سبعة وثلاثون، وقد دام حكمهم من السنة ٧٥٠ إلى السنة ١٢٥٨. وكانت بغداد عاصمتهم، وشعارهم الراية السوداء. جَدّهم الأعلى أبو العباس، عَمُّ النبي الكريم (صلعم). وعلى أيامهم بلغ الاسلام ذروة المجد والعز في شتى الميادين الحضارية. وكان أولهم أبو العباس السفّاح، وآخرهم المعتصم الذي قتله هولاكو لما زحف على بغداد. ومن مشاهيرهم نذكر أبا جعفر المنصور، وهارون الرشيد، وابنه المأمون، والمعتصم.

وكان المأمون الخليفة العباسيُّ السابعُ، من أفاضل الخلفاء، وعلمائهم، وحكمائهم، وأتمّ رجال بني العباس حزمًا، وعزمًا، وفِراسة وفهمًا. تأدّب وتفقّه وبرع في فنون التاريخ والأدب والنجوم. ولما كبر اعتنى بالفلسفة وعلوم الأوائل. وقد استخرج شخصيًا كتاب إقليدس، وأمر بترجمته وتفصيله، وعقد المجالس في خلافته للمناظرة في الأديان والمقالات، متممًا بذلك ما بدأه جده المنصور من إقبال على العلم في مواضعه. وطلب من ملوك الروم تزويده بما لديهم من كتب الفلسفة. ووفّر لها التراجمة الماهرين، وكلّفهم ترجمتها بإحكام. ورغّب الناس في قراءتها، وكان يخلو بالحكماء، ويأنس بمناظرتهم، ويجد لذة في مذاكرتهم لأنه كان يؤمن أن أهل العلم هم صفوة الله من خَلْقه، ونخبتُه من عباده.

٧٧٨

موت رولان

يبدو أن الملحمة الشعرية الفرنسية الشهيرة التي تدور على الفارس المحارب

رولان، قد استندت إلى أساس من الواقع التاريخي. ففي السنة ٨٢٠ وضع المؤرخ الفرنجي أو الفرنكي تاريخًا حول حياة سيده الامبراطور شارلمان، وفيه يشير الى موت رولان في معركة رونسفال.

وفي السنة ٧٧٨ غزا شارلمان اسبانيا، واستولى على بومبلونا، ولكنه اخفق في الاستيلاء على سراغوسه. وبلغته أنباءٌ ان ثورة سكسونية اندلعت نارها على الراين، فاضطر للعودة إلى فرنسا عبر ممرات سلسلة جبال البيرينه. ولكن سكان منطقة الباسك المعادين قطعوا مؤخرة جيشه عن قواته الرئيسية، وقضوا على جنودها.

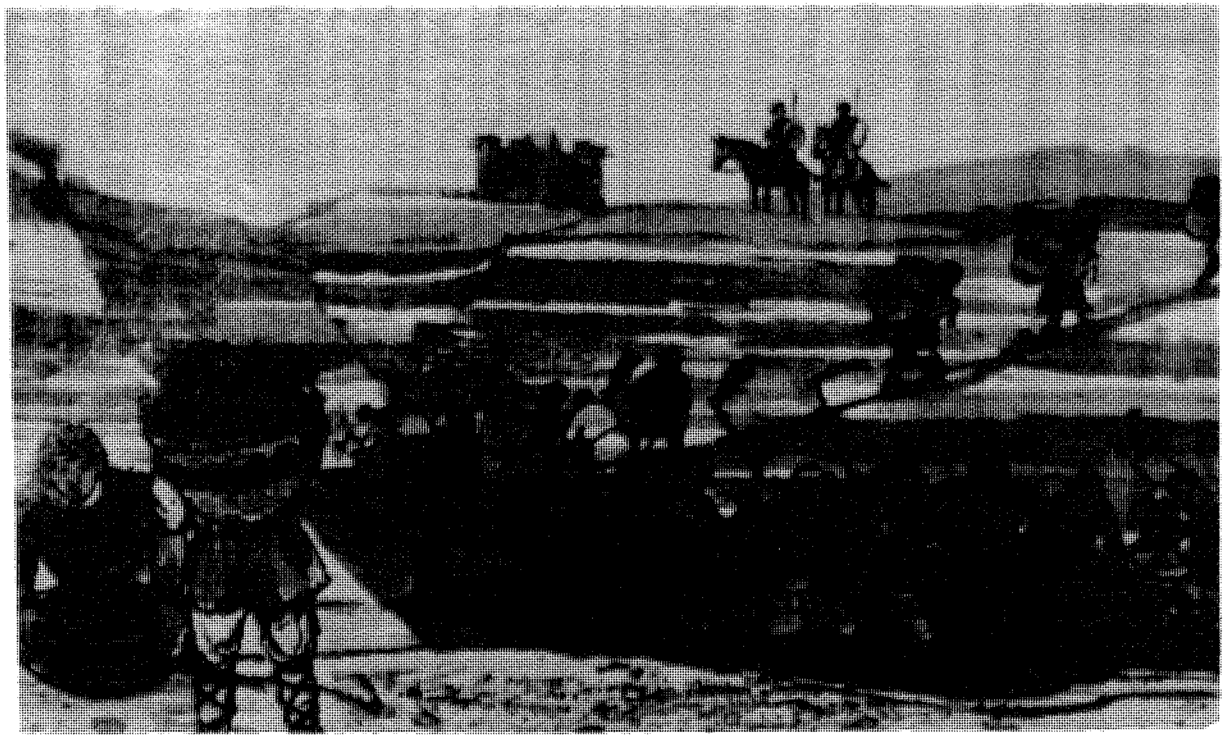
والقصة الدرامية لملحمة جيش عربي عظيم، والنفخ بالبوق، وصداقة أوليفر ورولان، هي مجرد جزء من الأسطورة التي نشأت حول معركة رونسفال.

٧٨٢
سد أوفا

في السنة ٧٥٧ أصبح أوفا ملكًا على مرشي، المملكة الانكلوسكسونية في انكلترا الوسطى، فعمد من فوره إلى اعادة مملكته إلى عظمتها السابقة. وتمَّ له في نهاية المطاف الاستيلاء على معظم بريطانيا جنوب مصب نهر هَمْبر. ولكي يحمي حدوده الشمالية أقام بين السنة ٧٨٢ و٧٨٣ متراسًا، أو سدًا تُرابيًا، يُعرف اليوم باسم «سدّ أوفا»، يمتد من البحر الى البحر بين نهرَي سيفرن ودي. وكانت وفاة هذا الملك السنة ٧٩٦.

٧٩٣
غارة الفايكنغ الأولى على بريطانيا

شعب الفايكنغ الاسكندينافي الذي هاجم بريطانيا للمرة الأولى السنة ٧٩٣



أول غزوة لبريطانيا يقوم بها الفايكنغ.

اكتسب سمعة سيئة كشعب محبٍّ لسفك الدماء والتدمير. وكان أفراده محاربين، طِوالَ القامة وملتحين، ينطلقون من البحر للقتل والنهب والتخريب، ثم يختفون وراء الأفق قبل أن تتاحَ الفرصة للإمدادات ان تصل إلى الموقع الذي تجري فيه مثل تلك الغارات. وعلى الرغم من ذلك، كانوا أبعدَ ما يمكن من الشعوب الهمجية، أو غير المتمدنة. ذلك بأن طريقتهم في العيش، وثقافتهم كانتا متقدمتين، بقدر ما كانت متقدمة حضارة ضحاياهم.

ولدى عودتهم إلى موطنهم، بعد كل غارة، كانوا يعودون مزارعين، وتجارًا، وحِرفيين. وكانوا رحَّالة مشهورين، يُبحرون جنوبًا إلى بيزنطة، أو شمالًا إلى روسيا.

وقد اشتهروا، بصورة خاصة، بسفنهم الطويلة، الجميلة التصميم والشكل التي لم تكن تَنْطَحُ طريقها عبر المياه، بل تنزلق فوقها كطيور الماء. ومن حسن الطالع أنه أُخرج من تحت الأرض عدد من سفن الفايكنغ الدفينة وقد حُفظت في حالة جيدة جدًا، وتُعرض حاليًا ثلاثٌ منها هي غوغستاد، واوزبرغ، وتون، مع محتوياتها، في قاعة السفن بالقرب من أوسلو، عاصمة النرويج، لكي يشاهدها الجمهور.

٨٠٠
تتويج شارلمان امبراطوراً

يوم عيد الميلاد المجيد من السنة ٨٠٠ تَـوَّج البـابـا ليـو الثـالـث، ملـك الفرنجة شارل، امبراطوراً باسم شارل الكبير، أو شارلمان. ويُعتبر هذا التاريخ، غالبًا، بداية العصور الوسطى. كان شارلمان المولود حوالى السنة ٧٤٢ حفيد شارل مارتيل الذي قاتل القوات العربية في معركة توم السنة ٧٥٢، وكان والده بيبان القصير الذي استولى على المملكة الفرنكية من شيلديريك، آخر ملوك

سلالة الميروفنجيين. ولدى وفاة بيبان السنة ٧٦٨، قُسمت مملكته بين ولديه الاثنين شارل وكارلومان، ولكنَّ هذا الأخير توفي بعد ثلاث سنوات، فأصبح شارل ملكًا على فرنسا بأسرها.

وواجه شارلمان عالمًا كئيبًا حقًا. فقد كانت أوروبا ممزقة بسبب التفرقة، والجهل، والطمع، والخرافات التي كانت تُحيق به من كل الجوانب. وبدأ عمله العظيم وتغلّب على السكسون واللومبارديين، وأخضع الآفار على ضفاف نهر الدانوب، وحارب في اسبانيا ضد العرب، وفي المانيا ضد المجريين. وعندما حضرت ساعته الأخيرة كان يحكم امبراطورية تمتد من بحر البلطيق الى التخوم الاسبانية، ومن منطقة بريتانيا في شمال فرنسا حتى حوض الدانوب الأدنى.

وكان ثمّة مشروع يقضي بضم هذه الامبراطورية إلى الامبراطورية البيزنطية وذلك بعقد زواج بين شارلمان والامبراطورة ايرين التي خُلعت عن العرش فأفسد المشروع.

وتلت ذلك حرب بين الامبراطوريتين لم تكسب فيها أي منهما، وانتهت إلى صلح سنة ٨١٢...

ولم يكن شارلمان، مع ذلك، جنديًا وحسب. فقد شجّع العلم، والثقافة، والموسيقى، وشيّد الكثير من الكنائس والقصور.

وكان له أيادٍ بيضاء على فن الحكم. فقد قسّم مملكته وفصل بين مختلف الوظائف ـ العسكرية، والقضائية، والادارية. وأنشأ المستشفيات، والمدارس للبنات والصبيان. وفي عهده أصبحت الكنيسة الكاثوليكية قوة زمنية وروحية بحق وحقيق.

ولدى وفاته في السنة ٨١٤ لم يكن حيًا من أولاده غيرُ ابنه لويس «التقي» الذي تربّع على العرش بين السنة ٨١٤ والسنة ٨٤٠. وبموجب معاهدة فردان المعقودة السنة ٨٨٣ قسم لويس امبراطوريته بين إبنيه، فشطرها هكذا إلى شطرين متنازعين.

٨٢٨
اعتبار إغبرت سيد انكلترا المطلق

في السنة ٧٨٤ توفي ساينوولف أوف ايسيكس فادعى إغبرت، ابن أحد ملوكِ كنْت، حقه في العرش. ولكن انتُخب خصمُه برتيك. فخشي على حياته، ولجأ في بداية الأمر إلى بلاط أوفا، ملك مِرْشي، ثم إلى بلاط الامبراطور شارلمان.

وهناك استطاع ان يدرس تصرّفات هذا الملك العظيم وأساليبه. فلما أصبح السنة ٨٠٢ ملك ويسيكس إثر وفاة الملك برتيك، استطاع ان ينسج على منوال شارلمان، وصمّم على بسط سيادته على انكلترا بأسرها، مثلما بسط شارلمان سيادته على القارة الأوروبية.

وتقبلت ممالك انكلترا الجنوبية حكمه دون أي معارضة، ولكنه اضطُر إلى محاربة مِرْشي وانزالِ الهزيمة بها السنة ٨٣٢، حتى تسنَّى له بعد خمس سنوات ان يصبح سيد انكلترا المطلق، ويحمل لقب بريتوالدا أو «مجرّح بريطانيا». وكانت وفاته السنة ٨٣٩.

٨٤٤
تتويج أول ملوك اسكتلندا

يُعتبر كينيث، إبنُ آلبن، أول ملوك اسكتلندا. توّج السنة ٨٣٢، ولما كانت جدته اميرة پكتية، فقد فكّر في ان يكون له كذلك عرش الپكْتيين، وكانت اسكتلندا آنذاك مقسَّمة بين الاسكتلنديين والپكتيين. وأُعلنت الحرب بين الشعبين، وظلت مستمرة حتى السنة ٨٤٣ عندما قضى ملك الپكتيين في إحدى المعارك، ومعه معظم نبلائه.

وهكذا أصبح كينيث ماك آلبن الأولُ، حاكمًا على الشعبين، وكان أول من سمّى مملكته اسكتلندا. وبرهن عن كونه عاهلاً طيبًا، عادلاً ومنصفًا بالنسبة إلى رعاياه المشترَكين، وغالبًا ما كان يقود جيشًا مشترَكًا من الاسكتلنديين والپكتيين، معًا، عابرًا الحدود إلى انكلترا. وقد اجتاح نورثمبرلاند في ست مناسبات قبل وفاته السنة ٨٦٠.



بنى ألفريد الكبير اسطولاً استطاع للمرة الأولى أن يحارب الغزاة الدانماركيين ويطردهم من على الساحل الانكليزي.

٨٤٩
ألفريد الكبير يعتلي العرش

ولد الملك ألفريد السنة ٨٤٩ في وينتيج، وكان أصغر ابناء ملك ويسيكس ايثوولف. وقد ساعد، وهو بعد في سن المراهقة، اخاه ايثلفريد في محاربة جيش من الغزاة الدانماركيين فاكتسب ببلائه الحسن الشهرة في معركة آشدون السنة ٨٧١. وتوفّي الأخ في السنة نفسها فأصبح ألفريد عاهل ويسيكس بدلاً منه. ومع مرور الأيام اعتُرف به سيّد انكلترا بأسرها.

ولكن جيشًا دانماركيًا آخر هزمه، فاضطر للجوء إلى منطقة صمرسيت، ولكنه ما لبث أن جمع حوله جيشًا لإنزال الهزيمة بالعدو في إدنغتون السنة ٨٧٨.

وأعقب ذلك معاهدةٌ اتُفق فيها على ان يقتسم الملك ألفريد والقائد الدانماركي غَثْروم البلاد فيما بينهما، ويصيب ألفريد منها الجنوبُ والغربُ. وكان عليه أن يصدّ هجمات أخرى من الغزاة في السنة ٨٨٤، ولكنه احتفظ بحصته من البلاد. وكانت وفاته السنة ٩٠٠، ودفن في ونشستر.

٨٥٠
اكروبوليس زمبابوي

في القرن الثالث طردت قبائلُ البانتو قبائل البوشمان من جنوب أفريقيا، وأعطت المنطقة المعروفة اليوم باسم زمبابوي روديسيا اسم زمبابوي - أو «البيت الحجري»، ذلك بأنه وُجد هناك عدد غير قليل من المباني الكبيرة المشيدة بالحجارة. وكان أكبرَها هضبةٌ محصَّنةٌ مبنيةٌ بالحجارة والاسمنت، وترتفع زهاء تسعين مترًا، وقد بناها ربما تجّارٌ شرقيون حوالى السنة ٨٥٠.

٨٦٨
أولُ كتابٍ مطبوع

أن أول كتاب مطبوع عرفه العالم هو نسخة من الكتاب المقدس البوذي « دياموند سوترا » الذي اكتُشف السنة ١٩٠٠ في أحد كهوف تركستان. وهو عبارة عن دَرْجٍ أو لفيفة من الرِقّ بطول خمسة أمتار، تتألف من ست صفحات من النصوص المطبوعة بواسطة القِطَع الخشبية، وصفحة من الرسوم الخشبية مصمَّغة جميعًا معًا. اما الطابع فهو وانغ تشييه في السنة ٨٦٨، وقد وزّعه مجانًا تكريمًا لذكرى والديه.

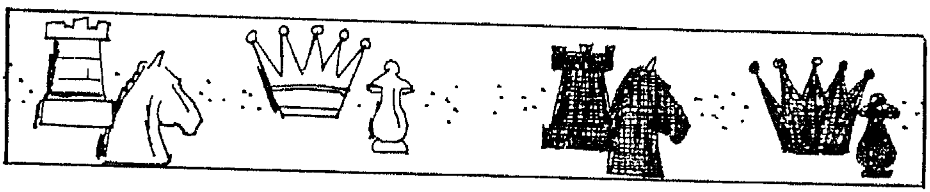
٩٠٠
بناء أنغكور وات

مدينة آنغكور العظيمة، وهيكلها المرَكّب لم تكن معروفة كثيرًا من الرحالة والمسافرين الغربيين قبل القرن الحالي. فهي مدفونة في أقصى الأدغال، وتقع شمال كمبوديا. وعلى الرغم من مرور ثلاثة عشر قرنًا عليها، ومن غَدَرات الزمان وتعدّيات أشجار الغابة عليها، لم تتبدّل آنغكور إلا قليلًا جدًا، حتى ان مبانيها القديمة بقيت سليمة.

أصبحت هذه المدينة عاصمة شعب يعرف باسم « ألْخمير » في نهاية القرن التاسع. اما هيكلها الجميل الرائع الذي ما يزال مِحَجَّةً للمؤمنين ويدعى آنغكور وات، وقد بني لعبادة الإله بوذا، فهو مبنى فَسيح شُيّد على مسافة كيلومترين ونصف من المدينة الملكية الأصلية، ويحيط به خندق مائي طوله أكثر من خمسة آلاف قدم. والمبنى على شكل هَرم، يرتفع على ثلاث مراحل، وجدرانه مزينة بالنقوش البارزة، وتُظهر آلهةً، وبشرًا، وحيوانات.

٩٥٠
أول اشارة إلى الشطرنج

كان المسعودي ـ الرحّالةُ العربي الشهير كمؤرخ وجغرافي ـ أولَ من أشار حوالى السنة ٩٥٠ إلى لعبة الشطرنج. ويُعتقد ان هذه اللعبة أَصْلُها من الهند خلال القرن السابع أو قبله. وتدعى « لعبة الملوك »، لكونها تتميّز بأنها في رأس الألعاب الترفيهية ذات المستوى العقلي الرفيع. ومن الهند، انتقل الشطرنج إلـى فارس، فالبلدان العربية، ومن ثَمَّ إلى أوروبا الغربية. وقد ثبتَّت لعبة الشطرنج، بفضل الكتب الكثيرة التي وُضعت حولها، وتظهر دوريًا، إلى جانب المباريات الأهلية والدولية، التي تقام فيها مكانتها بين الألعاب التي تمـارس فـي أوروبـا والعالم الجديد بنوع خاص.



٩٦٠
الامبراطور الذي وحّد الصين

تشاو كوانغ ـ يين كان أول امبراطور من سلالة سونغ وحّد الصين بعد قرن من الحروب الداخلية، ووضع أُسُسَ إحدى أكثر الحقب الصينية ازدهارًا وتألقًا. ومع أنه كان مدمنًا الشراب، وقائدًا عسكريًا بسيطًا دون مطامح كبيرة، فقد أعلنه الجيش امبراطورًا السنة ٩٦٠، بعد أن يئس من تربّع صبي على

العرش. وقد قضى على كل تمرّد عسكري محتمَل في المستقبل بتجريده الحُكّامَ العسكريين من قيادتهم، واعدًا إياهم بحياة هادئة مرحة في العاصمة، واستبدلهم بموظفين مدنيين. وبفضل السياسة المركزية للسلطتين العسكرية والمالية تمّت عملية التوحيد النهائية. فراحت كل مملكة من الممالك إما تستسلم للسلطة الموحَّدة، أو تضطر إلى ذلك بعد انهزامها، بدءاً بالصين الوسطى السنة ٩٦٣، والغرب السنة ٩٦٥، والجنوب السنة ٩٧١، وباقي الأقاليم والمناطق بعد ذلك بسنتين اثنتين. وقد توفي الامبراطور تشاو توانغ - يين في ١٤ تشرين الثاني السنة ٩٧٦ عن أربعة وخمسين عامًا. فواصل أخوه الأصغر وخليفته تاي - تسونغ مَهَمَّة التوحيد.

٩٧٣
بناء الأزهر الشريف

في ١٠ كانون الأول ٩٧٥، توفي رابع الخلفاء الفاطميين في مصر المعز لدين الله، وبويع لولده العزيز بالله. ولد في مهدية تونس (٩٣١)، واعتمد على المغاربة لنشر الدعوة للمهدي. بسط سيادته علىّ مصر وسوريا والحجاز، وعلى أيامه وبإيعاز منه وتشجيع، أسس القائد جوهر الصقلي مدينة القاهرة بالقرب من الفسطاط، وبنى الجامع الازهر.

ففي السنة ٩٧١ وضع هذا القائد أساس الجامع الأزهر، وتم بناؤه في عامين تقريبًا، وأُقيمت فيه الصلاة، للمرة الأولى، في ٧ رمضان سنة ٣٦١ هجرية، الموافقة سنة ٩٧٣ ميلادية. ولم يبدأ الأزهر في مهمته التعليمية الا في أواخر عهد المعز لدين الله الفاطمي، عندما انعقدت أول حلقة دراسية في الجامع الأزهر في سنة ٩٧٥. وقد قام بهذه البداية قاضي القضاة أبو الحسن علي بن نعمان بن محمد القيرواني الذي بدأ في قراءة الفقه وتعليمه. لكن هذه البداية

لم تكن البداية المنظَّمة للأزهر في التعليم. فانتظام حلقات الدروس، وتحوُّل الأزهر إلى جامعة، لم يبدأ الا في السنة ٩٨٨ حين أشار يعقوب بن كِلْسر، وزير العزيز بالله الفاطمي، بتحويل الأزهر الى جامعة تُدرَّس فيها العلوم الدينية والتعليمية. وشقّ الأزهر مذ ذاك طريق رسالته التي جاوزت الآن الألف سنة.

ويُعتبر الأزهر أقدم جامعة في العالم. سُمِّيَ كذلك، على ما قيل، اشارة إلى «الزهراء»، وهو لقب فاطمة. وقد شجع بيبرس التعليم فيه في القرن الثالث عشر، فأصبح مع مرور الزمن عظيم المقام في العالم الاسلامي يقصده أهل التقى، ولا سيما طلاب العلم من كل حدب وصوب، ويسمَّون «المجاورين» لسكناهم بجوار الأزهر. اما الأساتذة والمدرسون فيسَمُّونَ أنفسَهُمْ «خَدَمَة العلم»، وغايتهم نقل ما ورثوه من السلف في أمانة واخلاص.

٩٨٢
إريك الأحمر يستعمر غرينلاند

تمَّ استعمار الفايكنغ آيسلندا، المعروف باسم «أَخْذ الأرض» على يد المزارعين وصيادي السمك من النرويج، ومن مستوطني بريطانيا من السكان الاسكندينافيين. وكان أحد هؤلاء المستعمرين يسمّى إريك الأحمر الذي اعتُبر خارجًا على القانون لقتله رجلين في أحد النزاعات. فلما لجأ إلى التفكير في المكان الذي سيذهب إليه تذكّر قصة تتحدث عن بلاد غريبة تقع على مسافة حوالى ثلاثمائة كيلومتر إلى الغرب، سبق للفايكنغ ان شاهدوها ولكنهم لم يقوموا قط بزيارتها مجددًا.

وتابع الطريق التي سلكوها عبر المحيط الاطلسي، وبعد أيام من الإبحار أبصر كتلة أرضية تبرز من خلال ضباب الصباح. فنزل إلى اليابسة وقضى معظم سنوات النفي الثلاث يستكشف الساحل، ثم لما اقتنع بأنها تصلح لأن تكون

مستعمرة أطلق عليها الاسم الغريب غرينلاند ـ أو الأرض الخضراء ـ لاجتذاب الآخرين إلى استيطانها.

٩٨٧
تأسيس سلالة كابه

منذ السنة ٨٠٠ حكم مملكة الفرنجة في فرنسا افرادٌ من سلالة شارلمان المعرفون بالكارولنجيين الذين أصبح ملوكهم، مع الزمن، أضعف، بينما راح رجال آخرون كانوا يقدّمون الخدمات الجلّى إلى بلادهم يتقدمون لاحتلال مركز الصدارة. وكان أحد هؤلاء يدعى أود، ابن روبير القوي الذي انتُخب ملكًا بفضل دفاعه المشرّف عن باريس ضد الفايكنغ بعد ان أنزل عن العرش الملك الكارولنجي شارل «السمين». وقد تزعّم سلالة جديدة تُعرف باسم الروبيريين.

وبدأ صراعٌ طويل كان خلاله يتناوب الجلوسَ على العرش ملوكٌ من الكارولنجيين والروبيريين. وأخيرًا في السنة ٩٨٧ تربّع على العرش هوغ كابه المولود السنة ٩٣٨، مؤسسًا بذلك سلالة كابه التي ينتمي اليها ملوك فرنسا ـ بمن فيهم أُسرتا فالوى والبوربون الذين حكموا البلاد طوال تسعة قرون، فضلاً عن العدد الكبير من النبلاء الأقوياء. وكانت وفاة هوغ كابه السنة ٩٩٦.

السنة ٩٩١
معركة مالدون

الملك ادوارد الانكليزي الذي عُرف فيما بعد بلقب «الشهيد» ولد حوالى ٩٦٣ ـ وقلته السنة ٩٧٨ زَوْجُ أبيه ألفريدا التي أرادت ان يعتلي العرش ابنُها ايثلريد (٩٦٨ ـ ١٠١٦). ونجحت خطتها، واعتلى العرش، الابنُ البالغ من

العمر عشر سنين، وظل متربعًا عليه طوال أربعين سنة تقريبًا انتهت بوفاته السنة ١٠١٦.

وما لبثت انكلترا ان مرّت بمصاعب كبيرة، ذلك بأن الدانماركيين اغتنموا فرصة حكم البلاد من قِبلَ ملك صغير السن ضعيف وجبان. وقد وافقت بدايةُ حكمه الفترة الثالثة من الغزوة الدانماركية، وتصميم الدانماركيين على احتلال انكلترا لتصبح لهم وحدهم.

وفي السنة ٩٩١، راحوا يُعملون السلب والنهب في أرجاء ايسيكس، فجابههم في مالدون حاكم اقليم السكسون الشرقيين برايتنوث على رأس جيش عبّأه بسرعة. وأبلى الانلكيز أحسن البلاء، وحاربوا بشجاعة، ولكنهم هُزموا في النهاية بسبب تفوّق خصومهم عليهم عدةً وعددًا، فضلًا عن حسن تدرّبهم وتمرّسهم بالحرب.

١٠٠٠
ليف اريكسون يكتشف اميركا الشمالية

كان ليف، ابن اريك الأحمر، يعيش في المستعمرة الجديدة جزيرة غرينلاند، عندما سمع قصة غريبة من أحد ابناء جلدته الفايكنغ وصل حديثًا إلى الجزيرة كان يُدعى بيارني نيريولفسون، وقد سبق له ان أبحر من ايسلندا إلى غرينلاند، ولكنه أخطأ بلوغ اليابسة التي ظهرت له، وأبصر سلسلة من الجزر المنخفضة. فلم يأبه لاستكشافها، بل حوّل عدسات النظارات في سفينته، واتجه ناحية الشرق.

وفي السنة ١٠٠٠ استأجر ليف سفينة بيارني، وجمع خمسة وثلاثين من الرجال الأشداء ويمّم شطر الأرض المجهولة بغية اكتشافها. وكان أول ما ظهر من اليابسة ساحلٌ أجرد منخفض مع جبال عالية تتلألأ كالزجاج. وارتطم

مركبه بالشاطىء الحجري، وقفز ليف إلى سواحل العالم الجديد. وقد عُرف المكان الذي نزل فيه بعد قرون، باسم خليج فروبيشر، في شمال كندا. وأبحر جنوبًا متابعًا الخط الساحلي، ثم قرر قضاء فصل الشتاء هناك، قبل العودة إلى موطنه.

١٠٠٧

ايثلريد وضريبة التاج الدانماركيـة

على الرغم من الشجاعة التي أبداها مواطنوه في معركة مالدون، ما لبث الملك ايثلريد الثاني الانكليزي ان عُرف بلقب «غير المستعد». وقد بدأ بتطبيق سياسة قصيرة النظر حاول فيها التخلّص من الغزاة الدانماركيين ففرض ضريبة جديدة تسمّى ضريبة التاج الدانماركية. فشجع ذلك الدانماركيين على التدفّق على البلاد وجمع المال بفائدة ضئيلة.

وظهر السنة ٩٩٤، معًا، كلٌّ من ملك الدانمارك سواين، وملك النرويج أولاف، فقاما بغزو اقاليم كنت، وساسكس، وهامبشر. وتخلّص الملك منهما بالطريقة نفسها. ولكن تبعهما آخرون، وقلما كانت البلاد تعرف الراحة من الغزاة.

وفي السنة ١٠٠٢، ولما نعمت انكلترا بفترة قصيرة من السلام، امر ايثلريد الأحمق بالقضاء على كل الاسكندينافيين والدانماركيين الذين استوطنوا البلاد. فعاد الملك سواين ثائرًا وراح يُعمل نهبًا وسلبًا في البلاد دون أي مقاومة تُذكر من الملك ايثلريد الذي اضطُر للهرب إلى النورماندي في شمال فرنسا. وقد عاد إلى وطنه لدى بلوغه نبأ وفاة سواين، ولكنه قضى بعد ذلك بقليل، وفي السنة ١٠١٦.

١٠١٤
معركة كلونتارف

كان برايان بورو (٩٢٦ - ١٠١٤) أحد شيوخ مجموعة من القبائل في مونستر، في إيرلندا، وكان شابًّا خشنًا يعيش للقتال، منهمكًا دومًا في محاربة الدانماركيين الذين كانوا يحاولون باستمرار غزو ممتلكات والده.

ولدى وفاة هذا الأب أصبح أخو برايان ماتغامهاين شيخ تلك القبائل، ولكنه ما لبث أن اغتيل. وأصبح برايان شيخًا بعده، وعَقِبَ الانتقام من قاتليه.

واجبر سائر القبائل في مونستر ولاينستر، تارةً بالقوة، وطورًا بالاقناع، على الاعتراف به سيدًا مطلقًا.

وهاجم الدانماركيين الذين كانوا يحاصرون دبلن بجيش ضخم، وأنزل بهم الهزيمة، مطيحًا ملك ايرلندا الرئيسي، واعتلى العرش مكانه.

وحارب الدانماركيين مجددًا، وكاد يُفنيهم على بكرة أبيهم في معركة كلونتارف السنة ١٠١٤، إلّا أنه بعد هذه المعركة لقيَ مصرعه، وكان قد ناهز التسعين من عمره.

١٠١٦
الملك كانيوت يعتلي عشر انكلترا

إثر وفاة الملك ايثلريد الثاني، انتخب مواطنو لندن ابنه ادموند آيرنسايد ملكًا (حوالى ٩٨١ - ١٠١٦). وكان على نقيض والده، شابًا شديد البأس، شجاعًا، غير أن معظم زعماء المملكة كانوا يساندون كانيوت الذي ادّعى حقه في الملك بسبب ما كسبه والده سواين، الملك الدانماركي، من الأرض

في تلك البلاد. وهكذا نشبت الحرب بين الرجلين، وتقابل جيشاهما في معارك عدة، كان آخرها معركة آسنديون في إيسيكس التي انتصر فيها كانيوت حوالى ٩٩٤ ـ ١٠٣٥ انتصارًا ساحقًا.

والتقى الملكان في جزيرة اولني، واتفقا على أن يكون ادموند السيِّد المطلّق ويمتلك المقاطعات الجنوبية، بينما يصيب كانيوت مملكة مرشي ونورثمبرلاند. غير أن ادموند آيرنسـايد لم يعش لكي يتمتع بمملكته الجديدة لأنه توفي بعد ذلك بسبعة أشهر.

ووجد الملك كانيوت خصمًا في إدوي، شقيق ادموند، غير أن مجلس شورى الملك قرر أن انكلترا يجب أن تتوحد في ظل ملك واحد قوي. وجعل ذلك القرارُ الملكَ كانيوت عاهلَ انكلترا بأسرها، مع الدانمارك وفيما بعد، عاهل النرويج. وفي النهاية أعلن نفسه السيّدَ المطلق على السويد، وتخلّى عن زوجته الدانماركية ليقترن بإيما، أرملة ايثلريد، وابنة تشارد، دوق نورماندي. فكان هذا الاتحاد سببًا في إحداث الكثير من الاضطرابـات فيما بعد. ويُزعم أن الملك كانيوت أثبت علنًا أن حق الملوك وسلطتهم ليسا من الحق الإلهي ـ كما كان يقال، وذلك بإظهاره عجزه عن السيطرة على الأمواج.

١٠٤٠
ماكبث يفتك بدانكن

إن النظرة العامة إلى اسكتلندا في القرن الحادي عشر لوّنتها مسرحية شكسبير المعروفة «ماكبث» التي لا تقدّم إلينا صورة دقيقة لذلك. فلما اعتلى دانكن العرش السنة ١٠٣٤، راح يُمنى بهزائم عدة منكرة على يد سكان نورثمبرلاند والاسكندنيافيين القاطنيـن في المقاطعات الشمالية. وفي



يزعمون أن الملك كانيوت دلّل علنًا على أن قوة الملوك ليست إلهية، وذلك بإظهار عجزه عن التحكم بالأمواج.

السنة ١٠٤٠ أطلقت غزوة فاشلة لإنكلترا شرارة حرب أهلية في اسكتلندا. فقام القائد العسكري ماكبث حاكم موراي، الذي كان يطالب بالعرش بالنسبة لحقه فيه شخصيًا ولحقّ زوجته غرووتش فيه أيضًا، فقضى على دانكن وأصبح ملكًا على اسكتلندا في تلك السنة ١٠٤٠.

وكان حكم ماكبث فعّالاً ومستقرًا، وسانده فيه ثورنفين النرويجي ايرل اوف كيثناس وسَذْرلاند، وهو ابن عم الملك السابق دانكن. وكانت اسكتلندا في ذلك الزمن مجتمعًا كلتيًا تمامًا من حيث الثقافة، فحدّد تسنُّم ماكبث العرش ردةَ فعلٍ على نفوذ انكلترا والجنوب. وكانت وفاة ماكبث في النهاية السنة ١٠٥٧ على يد مالكوم شينمور، شقيق دانكن، وقد أصبح مالكوم الثالث.

١٠٥٠
رباعيات الخيّام

كان عمر الخيام يُعتبر في زمانه من أعظم علماء الرياضيات، فضلاً عن كونه مفكرًا وشاعرًا كبيرًا، وقد عاش زمن حكم السلْجُوقيين. وجعلته مقالته عن الجبر ذائع الشهرة حتى في العالم الغربي. وإليه يعود الفضل في إدخال الاصلاحات على التقويم. أما مكانته الشعرية فقد خلّدتها رباعياته المعروفة التي ترجمها إلى الانكليزية الشاعر الانكليزي ادوارد فتزجيرالد. وامتعت الملايين بقراءتها كما في الغرب كذلك في الشرق العربي، الذي تعرّف إليها قراؤه في عدد من الترجمات عن الفارسية أو الانكليزية، قام بها شعراء معروفون من العرب أمثال أحمد الصافي النجفي، وأحمد رامي، ووديع البستاني، ومحمد السباعي، وأحمد حامد الصرّاف، الذي ترجمها نثرًا... وقد نقلها إلى التركية عبدالله جودت.

وعمر الخيام الذي توفي السنة ١١٣٢، درس على ابن سينا، واتصل بحسن الصَّباح، الاسماعيلي، وله من المؤلفات العلمية «كتاب المصادرات» على إقليدس، و«مشكلات الحساب».

١٠٥٠
المابينوغيوم

كانت الايرلندية اللغة الرئيسية لفترة من الزمن في الأرجاء الشمالية الغربية، والجنوبية الغربية في مقاطعة ويلز. وقد أصبحت هذه المنطقة مركز عدد كبيرة من الشعراء الذين كان لهم تأثير كبير على الأدب. وقد اشتهرت إحدى عشرة قصة شعرية قوامها الأسطورة والحب الشريف والمغامرات الفروسية وضعها شعراء متأخرون، وبخاصة شعراء شباب يطمحون إلى نظم الملاحم البطولية. وقد جُمعت هذه القِصص في عمل أدبي واحد يُعرف باسم «مابينوغيوم».

حوالى ١٠٦٣
تشييد كنيسة مرقس في مدينة البندقية

تشرف كاتدرائية القديس مرقس على أحد أطراف الساحة العامة في مدينة البندقية، وقد باشر ببنائها حوالى السنة ١٠٦٣ كونتاريني، القاضي الأول في جمهورية البندقية، ويُعرف منصبه باسم «الدوج». وقد تم تكريسها بعد زهاء ثلاثين سنة. واستُخدمت في زخرفتها وتجميلها ثروة الشرق، فجُلبت الأعمدة من المباني البيزنطية، والرخام النادر من جزر الهند الغربية، وأربعة تماثيل خيل برونزية من القسطنطينية السنة ١٢٠٤.

١٠٦٦
معركة جسر ستامفورد

لدى وفاة الملك ادوارد الملقَّب «المعترف»، في كانون الثاني السنة ١٠٦٦، برز ثلاثة مطالبين بالعرش الانكليزي هم: وليام، دوق نورماندي، وهارالد هاردرادا، ملك النرويج، وهو أحد أبناء ادموند آيرنسايد، وهارولد غودونيسون، ايرل أوف ايسيكس.

وكان هذا الأخير، هارولد، من انتخَبه مجلس شورى الملك. وسرعان ما تبيّن له أن المطالبَيْن الآخرَيْن يقومان بتعبئة جيشين يدعمان بهما مطالبتهما بالعرش. وفي أيلول علم أن هارالد هاردرادا نزل بجيوشه إلى اليابسة وراح يتقدّم جنوبًا بعد أن ضم قوّاتِهِ إلى قوات تاستيغ شقيق الملك هارولد. فعمد هذا إلى ملاقاتهم، وتقابلا لدى جسر ستامفورد.

وما إن أقبل المساء حتى كان خصماه هارالد هاردرادا، وشقيقه قد لقيا حتفهما، ونزلت بجيشهما هزيمة شنعاء. ولما راح الملك هارولد يزحف جنوبًا كان خصمه الآخر وليام، دوق نوروماندي قد أبحر من موطنه في شمال فرنسا قاصدًا انكلترا.

١٠٦٦
معركة هيستنغز

لما علم الملك هارولد أن وليام النورماندي قد نزل إلى اليابسة في خليج بيفنسي، عمد إلى جرّ الغازي المتعَب في زحف طويل شطر الجنوب. وبلغ هضبة صغيرة تدعى سنلاك، وانتظر مجيء المَدَد من القوات في المناطق الجنوبية للانضمام إلى جيشه. ولكن لم تصل الأعداد المطلوبة،

فاضطر إلى الوقوف موقف المدافع. وكان جيشه يتألف من جنود الحرس الملكي الشخصي ـ وهم جنود ممتازون حقًا ـ ولكنَّ الباقين كانوا من الفلاحين المزودين وحسب بالرماح والمعدات الزراعية.

وبدأت المعركة، وما عتَّم أن ظهر جليًا أن الفرسان النورمانديين، على الرغم من خيولهم وسلاحهم، كانوا ينهزمون، الأمر الذي حمل وليـام على اللجوء إلى الخدعة. فأمر رجاله بالتظاهر بأنهم ينسحبون من الساحة. وأثار ذلك بعض الانكلوسكسون الذين تركوا صفوفهم ولحقوا بهم، فكانت النتيجة انهم قُطعوا عن وحداتهم. ووقف هارولد وسط حرسه الشخصي، وكان عدد أفراده يتناقص تدريجيًا، وخصوصًا عندما أصدر الأمر إلى الرعاة بإطلاق أسهمهم في الهواء. وقد أصيب في عينه، وقُتل شقيقاه في المعركة، ودُفع الجيش السكسوني من الهضبة وقضي عليه. وقد صوِّرت معركة هيستغز هذه، فيما بعد، في سجادة بـايـو الشهيـرة، وهـي مـن صنـع ماتيلدا، زوجة وليـام الفاتح النورماندي ووصيفات الشرف لديها.

١٠٧٢
هزيمة هيروورد الساهر

تمَّ تتويج وليـام الفاتح ملكًا في كنيسة وستمنستر، غير أن معارضة حكمه استمرت طوال سنين. وكان أحد الثائرين ويدعى هيروورد الساهر من لنكولنشـر ملَّاكًا، وقد جعل مقرَّه العام في جزيرة ايللي، وجمع عددًا من الأنصار. وفي السنة ١٠٧٢ وقع ضحية خيانة ولكن لا يُعرف ماذا حل به.

١٠٧٧
ذلّ كانوسا

كان أباطرة الامبراطورية الرومانية المقدسة يحافظون على أجساد البشر، بينما البابوات ـ أساقفة روما ـ كانوا يحافظون على نفوسهم. وفي أحيان كان يحدث، مع ذلك، صدام بين أحد الأباطرة المحاربين وأحد البابوات من ذوي النشاط والتصلّب.

وهكذا حدث صِدامٌ بين الملك هنري الرابع الألماني المولود السنة ١٠٥٠ والبابا غريغوار السابع ـ واسمه الاصلي هيلديراند (حوالى ١٠٢٠ ـ ١٠٨٥) ذلك بأنه بعد جلوسه على السدة البابوية شرع في وضع عدد من الاصلاحات العاجلة، موكّدًا سيطرته على السلطة الزمنية. وتخاصم الرجلان، وانتهى بهما الأمر إلى مجلس فرمز التشريعي، المعروف بالدايت، السنة ١٠٧٦ فأصدر الملك هنري مرسومًا بإسقاط البابا، والبابا بدوره رمى الملك بالحرم. وفي النهاية، وبعد أن راح رعاياه يميلون بولائهم عنه، اضطر هنري الرابع إلى الاستسلام، وقام بالانتقال إلى بلدة كانوسا، في كالابريا، في إيطاليا، حيث اضطر إلى الانتظار على أبواب القصر مرتديًا بكل تواضع ملابس النادمين التائبين، راغبًا في غفران البابا. وطال انتظاره ثلاثة أيام كاملة قبل أن يقابله غريغوار ويرفع عنه الحرم الكنسي. وكانت وفاة الملك السنة ١١٠٦.

١٠٨٦
كتاب يوم الحساب

بأمر من وليـام الفاتح أُجريَ مسحٌ لكل الممتلكات كالسندات وأسهم الشركات في الأراضي الجديدة التي يحكمها؛ وتُعرف هذه المدوَّنةُ اليوم

باسم « كتاب الدينونة » ـ أو كتاب الحساب. وهو يتضمن تفاصيل عن الممتلكات في كل المقاطعات ـ باستثناء المقاطعات الشمالية ـ مع قيمتها، وأسماء مالكيها، وما عندهم من أملاك، وسوى ذلك من التفاصيل.

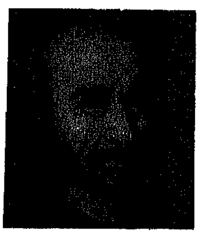
١٠٩٤

السيِّد يستولي على بلنسية

ولد ري دياز دو فيفار بالقرب من برغوس، في اسبانيا، حوالى السنة ١٠٤٠. وقد أصبح بطل الصراع بين الاسبان والعرب الفاتحين في القرن الحادي عشر. غير أن أعماله تظللها الاسطورة بحيث يصعب التفريق بين الواقع والحكاية. وقد أبصر النور في وقت كان فيه الاسبان والعرب يتصارعون من أجل السيادة في اسبانيا. واكسبته فعاله الحربية الرائعة لقب « البطل »، عندما هزم بطل العدو في معركة مفردة. وأطلق عليه أعداؤه الذين يحترمون الأبطال اللقب المألوف أكثر لدى المؤرخين: السيّد.

وخلال انهماكه في إحدى الحملات العسكرية ألفى نفسه منفيًّا من البلاط الاسباني، فراح يحارب مذ ذاك تارة إلى جانب الاسبان، وطوراً إلى جانب العرب. واستولى على مدينة بلنسية السنة ١٠٩٤، حيث حكم حتى وفاته السنة ١٩٠٩.

وكان « السيّد » (كامبيادور) هذا بطل عدد غير قليل من الأعمال الأدبية، ومن جملتها التراجيديا ـ الكوميدية « السيّد » لبيير كورناي (١٦٣٦/١٦٣٧).



بيير كورناي

١٠٩٥
اعلان الحملة الصليبية الأولى

في السنة ١٠٧١، قام السلجوقيون بالاستيلاء على فلسطين، بما فيها المدينة المقدسة بيت المقدس. وقد عقّد ذلك أمور الحج إلى الأراضي المقدسة من مختلف أرجاء العالم، وجعل البابا أوربان الثاني في السنة ١٠٩٥ يحثّ حشدًا ضخمًا تجمّع في فرنسا على تشكيل جيش من النبلاء والعامة للذهاب إلى فلسطين واستعادتها من الأتراك السلجوقيين. ووعد كل من يشترك في هذه الحملة التي عُرفت فيما بعد بالصليبية، بغفران كل خطاياه وذنوبه. وكانت الاستجابة هائلة، ذلك بأن الوعد بالغفران وإمكانية السلب والنهب جعلت المتطوعين يحتشدون في كل بلد أوروبي.

وبعد الكثير من المعارك، وبينها معركة في إنطاكية استمرت سبعة أشهر، بلغ الصليبيون أخيرًا بيت المقدس التي احتلوها السنة ١٠٩٩.

١٠٩٥
الفلك وطوفان نوح

في ٢٩ آذار ١٠٩٥ اجتمع ستة كواكب في برج الحوت، وهي الشمس والقمر والمشتري والزهرة والمريخ وعطارد، فحكم المنجمون وقالوا: يكون في الناس ما يقارب طوفان نوح. فأحضر الخليفة المستعلي بالله، الابن الثاني للخليفة الراحل المنتصر بالله، المنجم ابن عيسون فسأله في ذلك فقال: «إن في طوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة في برج الحوت، والآن قد اجتمع منها ستة، ليس منها زحل، فلو كان معها لكان مثل طوفان نوح، ولكن مدينة أو بقعة يجتمع فيها عالم كثير فيغرقون، وقد غرق الحجاج بوادي المياقيت بسيل عظيم أتاهم».

١١٠٠
وفاة وليـام روفوس

توفي وليـام الفاتح السنة ١٠٨٧ فخلفه ابنه، ويُدعى وليـام، مثله. وقد اختاره خليفةً له بدلاً من وارثه روبرت النورماندي الذي كان أضعف من أن يتولى الملك في بلاد ما تزال مضطربة. وحكم وليـام الثاني من السنة ١٠٨٧ حتى السنة ١١٠٠، وعُرف باسم وليام روفـوس، أو الملـك الأحمـر، بسبـب شعره الأحمر، وطبعه النزق، ومزاجه العنيف الناري.

وعقد العزم على سحق من تبقّى من أنصار المقاومة السكسونية التي كانت ما تزال قائمةً، وإحلال السلام في أرجاء البلاد. ذلك بأن الكثيرين من النبلاء المساندين لروبرت النورماندي كانوا يناهضونه بالسلاح. وما لبث أن تحوّل روفوس إلى حربهم، مسلِّحًا رعاياه من السكسونيين، لمساعدته عندما كانت تدعو الحاجة، وهكذا أوجد عددًا كبيرًا من الأعداء. ولم يُدهش أحد لما وُجد السنة ١١٠٠ ميتًا في نيو فوريست، وقد غُرز في صدره سَهْم قاتِلِه.

١١٠٠
ظهور الساموراي في اليابان

دامت سلالة هايان في اليابان قرابة أربعة قرون. في البدء كانت عصرًا من اللطف والدماثة، ساد فيه الاهتمام بالعادات الحسنة والفن والشعر والخط. وكانت العاصمة الجديدة في هايان ـ كيو ـ حيث تقوم اليوم مدينة كيوتو المعروفة. ولكن مع مرور السنين، راحت قـوة البـارونـات الاقليميين تنمـو، ويشتد نفوذهم.

وما لبث هـؤلاء النبلاء أن شـرعـوا فـي تسلّـم السلطـة، متكتليـن فـي مجموعات من الرجال المحاربين، قدّموا بدورهم خدماتهم إلى الأسياد



الساموراي، الفرسان اليابانيون المحاربون.

والكبار. ووُلد بذلك شكل من النظام الاقطاعي. وعُرف هؤلاء المحاربون المستقلون باسم «الساموراي». وكان لهم قانونهم الصارم من حيث الشرف. وفي كثير من النواحي كانوا يشبهون فرسان أوروبا في القرون الوسطى. وجاء وقت قضوا فيه على سلالة هايان الحاكمة في السنة ١١٦٠.

١١٠٠
امبراطورية الإنكا

إن بدايات ما أصبح فيما بعد امبراطورية الإنكا العظيمة، ترويها الأساطير التي تذكر أن جماعة صغيرة من المهاجرين الذين يسمّون أنفسهم «أبناء السماء» كانوا يبحثون عن مكان مناسب ليستوطنوه ويستقرّوا فيه. وكانوا بقيادة مانكو كاياك، فاختاروا في نهاية المطاف وادي كوزكو.

وكان زعيمٌ لاحقٌ لهذه الجماعة يدعى سنشي روكا، ولعله كان إما ابن مانكو كوزكو أو واحدًا من نسله. على أي حال، كان أولّ من سمّى نفسه سايا إنكا ـ أو «الانكا الوحيد». وهو الذي أسس سُلالة طويلة من الملوك الذين حكموا البلاد الذهبية حتى اليوم الذي دمّر الاسبان في القرن السادس عشر حضارتهم الفريدة في نوعها.

وكانت إمبراطورية شعب الإنكا حتى ذلك التاريخ قد نمت كثيراً. فكانت تضم أكثر من نصف مليون نسمة يعيشون في ما هو اليوم بيرو، والاكوادور، وبوليفيا، وشمال تشيلي. وكان شعب الإنكا يحكم هذه البلاد الواسعة، يعاونه في ذلك آلاف الموظفين الذين كانوا يهتمون برفاهة الشعب، ويجبون منه الضرائب. وكانوا مزارعين ماهرين، ومهندسين شيدوا المباني الضخمة والجسور المعلّقة، فضلاً عن كونهم حِرَفيين مدهشين خلّفوا الكثير من الأشغال الرائعة بالذهب والفضة.

١١٢١
ملك ايرلندا الأعلى

طوال سنوات عدة كانت ايرلندا تتألف من عدد من الممالك المستقلة، وكان برايان بورو آخر الملوك العِظام ممن بسط بعض الإشراف والسيطرة عليها جميعًا. وتبعه عدد من الملوك ادّعى الكثيرون منهم أنه ملك على كل ايرلندا ـ ولكن دون أي مبرر لهذا الادعاء.

وخلال القسم الأول من القرن الحادي عشر قدّم تيرلوا اوكونور، وكان ملكًا على كونوت، إحدى ممالك ايرلندا الأربع، ادعاءه بأنه ملك على كل ايرلندا عندما توفي ملك آلستر السنة ١١٢١. وقدّم إلى الكنيسة في آرماغ مبلغًا من المال لتسانده في مطلبه. ولكن على الرغم من ذلك، كان عليه قضاءُ ما تبقّى من مدة حكمه في الكفاح من أجل تأمين هذه السيادة. وكان في السابعة والسبعين من العمر عندما عاجلته المنية. واتفق أنه كان آخر ملوك ايرلندا العظام.

١١٣٨
الحرب الأهلية في انكلترا

توفي ملك انكلترا هنري الأول السنة ١١٣٥ بعد أن عيّن ابنته ماتيلدا خليفته. وكان زوجها جيفري ويُلقّب «بلانتادجينيت» ـ بسبب غُصَين وزّال كان يضعه في حوزته ـ والكلمة مأخوذة من التسمية اللاتينية لهذه النبتة «بلانتا جينيستا».

غير أن مجلس الشورى، مع ذلك، ضرب برغبات الملك عرض الأفق، واختار ستيفن، حفيد وليام الفاتح، للتربع على العرش. فأغضب القرارُ

ماتيلدا التي بدأت حربًا أهلية استمرت ثماني سنوات مرهقة. ومنحت الحربُ هذه البارونات فرصةً لشنّ حرب لحسابهم الخاص، أولاً متحالفين معًا، ثم بعضهم ضد بعض. وباتت الأحوال في انكلترا رهيبة إلى درجة كتب معها أحدُ المؤرخين آنذاك يقول: «كان البشر يقولون، إن المسيح وملائكته ناموا عما كان يجري».

وانتهت الحرب نهاية عادية، بعد أن وافقت ماتيلدا على أن يحكم ستيفن حتى وفاته، فيخلفه ابنها هنري بلانتادجينيت. وما هي الا سنة حتى قضى ستيفن وحكم هنري الثاني انكلترا.

١١٤٠
مجمع صانس

قليلون من المعلمين الدينيين كان لهم أتباع متحمسون من الشبان مثل المفكر السكولاستي الفرنسي الأب بيير ابيلار المولود السنة ١٠٧٩. والسكولاستية هي الفلسفة النصرانية التي كانت سائدة في القرون الوسطى وأوائل عصر النهضة، وقد بُنيت على منطق أرسطو ومفهومه لما وراء الطبيعة، ولكنها اتّسمت في أوروبا الغربية بخاصة بإخضاع الفلسفة للاهوت.

ومع أن ابيلار أثّر عظيمَ التأثير في عقول معاصريه وفي مجرى الفكر في القرون الوسطى، فإنه أكثر شهرة في العصور الحديثة بحبه المفجع لإيلويز. فقد تزوّج الاثنان سرّاً. وخوفًا من ايلوييز من أن تكون حجر عثرة في سبيل مهنة ابيلار، هربت ولجأت إلى أحد الأديرة، وهاجمه عمها الغاضب واعتدى عليه بقسوة شديدة، وأفقده معالم الرجولة، فانتهى الأمر به إلى الترهّب.

وطوال سنين عديدة، ناوأ أبيلار المفكرُ برناردو كليفو (١٠٩٠ -

١١٥٣) الذي كان بفضل بلاغته واجتهاده يُعتبر « معجزة المسيحية ». ولكنه رفض تعاليم أبيلار، وكان يؤيد مبدأ الايمان الثابت غير المتردد، وبدا له تحقيقُ أبيلار المنطقي العقلاني مجرَّد ثورة.

وفي السنة ١١٤١ تقابل الرجلان في مجمع صانس ـ وصانس مدينة في شمال فرنسا، وهي ملتقى ست من الطرق العامة، وطالما كانت تُستخدم لعقد مؤتمرات ومجالس دولية. وكان الاجتماع هذا مخصَّصًا لمناقشة شؤون العقيدة الدينية، وكان على أبيلار أن يدافع عن تهمة الهرطقة التي أُلصقت به. واحتكم إلى روما، ولكنه حُكم عليه، وتوفي بعد سنتين اثنتين.

١١٤٥
اعلان الحملة الصليبية الثانية

عندما سقطت بيت المقدس خلال الحملة الصليبية الأولى تأسست مملكة القدس اللاتينية التي دامت ردحًا من الزمن. ومع ذلك راح العرب يستعيدون الكثير من الأراضي التي فقدوها، فلما سقطت ايديسا يوم عيد الميلاد من السنة ١١٤٤، اندلعت شرارة الحملة الصليبية الثانية.

وكانت بدايتها، كما في السابق، بتشجيع وحثّ من البابا، وكان إذ ذاك اوجينيوس الثالث الذي سرعان ما سانده الملك لويس الثامن الفرنسي، والامبراطور كونراد الثالث الألماني. غير أن الوحدة فيما بين الصليبيين لم تكن وطيدة.

والواقع أن رجال كونراد الآتين من شمال ألمانيا لم يبلغوا قط الأراضي المقدسة، ذلك بأنهم توقفوا في زحفهم لمهاجمة جنوب المانيا، في حين أن الصليبيين من انكلترا والأراضي المنخفضة نهبوا لشبونة في طريقهم. وبدأوا حصارًا فاشلاً لدمشق، وما لبثت الحملة أن انهارت بأسرها، وعاد الملكان إلى بلديهما، كل منهما على حدة.

١١٥٢

فريديريك برباروسا يصبح امبراطورًا

ولد فريديريك حوالى السنة ١١٢٣ في أسرة هوهنشتوفن القوية، وأصبح السنة ١١٤٧ دوق شفابيا. وما لبث أن رافق عمه الملك كونراد الثالث في الحملة الصليبية الثانية التي كانت وبالاً عليه. وكان معجبًا به كثيرًا، بحيث أنه عمل على أن يتوّج بعده ملكًا على ألمانيا.

وهكذا كان، وتُوِّج فريديريك في مدينة ايكس ـ لا ـ شابيل في السنة ١١٥٢ باسم فريديريك الأول ولكنه عُرف عمومًا، باسم برباروسا ـ أو ذي اللحية الحمراء. وبصفته امبراطورًا على الامبراطورية الرومانية المقدسة شرع يعمل من أجل إرساء الوحدة والنظام في الامبراطورية، فقام بست حملات عسكرية داخل ايطاليا على أمل إعادة قوة الامبراطورية، ولكنه اصطدم بمعارضة المدن الايطالية الغنية والبابا ومقاومتهما الشديدة.



فريدريك برباروسا يغرق أثناء الحملة الصليبية الثالثة.

كانت شخصية فريديريك مغنطيسية، ويحدّد حكمه كملك على الشعب الألماني وكإمبراطور على الامبراطورية الرومانية المقدسة (١١٥٢ - ١١٩٠) إحدى أكثر الحِقَب في تاريخها ازدهارًا وتألقًا. وفي ذروة مجده وقوّته، قاد الحملة الصليبية الثالثة ضد صلاح الدين الأيوبي، ولكنه مات في كيليكيا، غرقًا وهو في طريقه إلى الأرض المقدسة السنة ١١٩٠.

كان فريدريك، من حيث المظهر، رجلاً متناسق التقاطيع، متوسط القامة، يتعشق الصيد البرّي، ومطالعة التاريخ؛ وكان متحمسًا في الاهتمام بالشؤون العامة، ولم تكن حياته الخاصة تشوبها شائبة. وقد دعاه كارلايل، المؤرخ «رعبٌ بالنسبة إلى فاعلي الشرّ، وتمجيد لفاعلي الخير في هذا العالم، ربما وراء نطاق ما عُرف منذ ذلك الحين.»

١١٥٤

وصول هنري الثاني إلى انكلترا

كان هنري الثاني، الذي كسب عرش انكلترا بفضل أمه ماتيلدا، أغنى ملوك أوروبا في عصره. فمن أمه نال عرش انكلترا، ومن أبيه نال دوقية آنجو في فرنسا. وقبل سنتين من تسنّمه العرش تزوج اليانور داكيتين التي جاءته ببائنة هي جنوب غرب فرنسا بأسره.

بدأ هنري حكمه بإعادة الأمن بعد الفوضى التي سادت البلاد إثر الحرب الأهلية الطاحنة. وفي السنة ١١٥٥ تأهب لغزو ايرلندا، غير أن خطته لم تنفَّذ. وقد اضطُر مع ذلك ملك اسكتلندا، مالكوم، إلى إعادة بلدان انكلترا الشمالية إلى انكلترا، وتمَّ في النهاية احتلال ويلز. وشرع أيضًا في اصلاح النظام القانوني الانكليزي وأسّس المحاكم للمقاضاة.

١١٥٥

تأسيس جامعة باريس

جامعة باريس هي أقدم الجامعات في أوروبا. ولعلها أشهر مراكز العلم

والمعرفة في العصور الوسطى، وواحدة من الجامعات التي اتُخذت مثالًا يُحتذى. وكان الاسم الأصلي للجامعة «ستوديوم» ـ أو مركز الدرس، ثم استُبدل فيما بعد باسم جامعة لأنها كانت في باريس تحت إشراف نقابة المعلمين، وتُعرف باللاتينية بلفظة «اونيفرسيتاس»، وقد خَلَدَ هذا الاسم.

وقد أصبحت هذه النقابة قوية جدًّا، وكانت أول من تحرر من إشراف الكنيسة، وبخاصة من رئيس كاتدرائية نوتردام. ومنحت المعلمين حقّ إعطاء تلاميذهم شهادات وبراءات خاصة تتعلّق بحق التعليم لكي يتاح لهم بدورهم أن يمارسوا مهنة التعليم.

وربما كان تأسيس جامعة باريس قد تمَّ في السنة ١١٥٥، ذلك بأن التاريخ الحقيقي الصحيح مجهول. إلّا أنه مُدَوَّن رسميّاً ان الملك فيليب الثاني منحها بعض الامتيازات في السنة ١٢٠٠، وكذلك البابا اينوسان الثالث في السنة ١٢١٥.

١١٦٣
تأسيس جامعة اوكسفورد

بدأت جامعة اوكسفورد بطريقة جد متواضعة. فحوالى السنة ١١٢٠ كان ثيوبولد أوف ايتامب، تحت رعاية الملك هنري الأول، يعلّم «مِنْ ستين إلى مئة من الكتبة»، خارج المدينة. ولكن الجامعة لم تبصر النور إلّا السنة ١١٦٣. وقد بدأت تجتذب الكثيرين من الطلاب، وما لبث المعلمون فيها أن أعلنوا أنها تأتي بعد جامعة باريس مباشرة من حيث المكانة العلمية. وكانت الكليتان الأوليان اللتان تأسستا، «الكلية الجامعة» السنة ١٢٤٩، وكلية باليول السنة ١٢٦٣. أما جامعة كيمبريدج، فقد تأسست بعد ذلك بقليل. ففي السنة ١٢٠٩ انتقلت هيئة من الطلاب من اوكسفورد إلى

كيمبريدج بعد ان طُرد بعضهم، وشُنق آخرون. وفي السنة ١٢١٤ سُمح لهم بالعودة إلى أوكسفورد، سوى أن جماعة منهم بقيت لكي تؤسس الجامعة التي عُرفت باسم جامعة كيمبريدج. وكانت كليتاها الأوليان مرتون في السنة ١٢٧٤، وبيترهاوس في السنة ١٢٨٤. وكان نظام الكليات في كلتا الجامعتين مصدره الرهبان الذين كان لهم تأثير في مستقبلهما في القرن الثالث عشر.

١١٧٠
مصرع توماس بيكيت

التحق توماس بيكيت في أول أمره بأسرة ثيوبولد، رئيس أساقفة كنتربري، وأصبح رئيس الشمامسة. ومن ثَمَّ رئيسًا للكاتدرائية. وبات كذلك صديقًا حميمًا للملك هنري الثاني، فكان يرافقه في جولات الصيد ويشاركه مآدبه. فلما توفي ثيوبولد السنة ١١٦٢ عيَّنهُ رئيس أساقفة مكانه.

وبعمله هذا رجا الملك أن يجعل الكنيسة تحت سيطرته وإشرافه، وكم كانت دهشته وغضبه عظيمين لما تبيّن أن من كان تحت رعايته وحمايته قد تبدَّل وأصبح منطويًا على نفسه، ومتزمتًا.

وبعد أن فترت الصداقة بين الرجلين باتا خَصمَين لدودين، حتى كانت السنة ١١٧٠، ويُزعم أن الملك هنري تساءل في سورة غضب عارمة بقوله «أليس هناك من يحررّني من هذا الكاهن المزعج؟»

وسمع أربعةٌ من الفرسان هذه الملاحظة، فَعَدَوْا من فورهم إلى كاتدرائية كانتربري حيث قضوا على بيكيت بداخلها. وهزّت الجريمة العالمَ المسيحي، وأصبح بيكيت قديسًا، وأمر البابا الملك هنري بأن يُعلن كفّارته على مذبح كاتدرائية كانتربري حيث جَلَدَهُ الرهبان. ومذ ذاك أصبحت كانتربري محجّةً للمؤمنين.

١١٩٤
بناء كاتدرائية شارتر

ظهر فن الهندسة القوطي خلال منتصف القرن الثاني عشر. وكان طرازاً رقيقًا وجميلًا، لعلَّ أبرز الأمثلة عليه كاتدرائية شارتر التي تقع جنوب غرب باريس. شُرع في تشييدها السنة ١١٩٤، وبالمقارنة مع داخلية عدد كبير من الكنائس والكاتدرائيات السابقة كانت تشعّ وتتلألأ بالكثير من الأضواء الملونة التي تدخلها من النوافذ ذات الزجاج الملون. وهي تُعتبر من أجمل الكاتدرائيات في العالم.

١٢٠٠
نمو الأدب في القرون الوسطى

في مطلع العصور الوسطى، كانت اللاتينية اللغة الأدبية والدينية المستعملة في مختلف أرجاء أوروبا. وقد شهد القرن الثاني عشر مولد الأدب الأوروبي الحديث، بعد أن أنمت البلاطات الملكية تذوُّقًا للشعر الذي يُتلى أو يُنشد بلغة بلدانها.

وفي حوالى السنة ١١٠٠ قدّمت «أُنشودة رولان» الشهيرة صيغةً اسطوريةً عن موت البطل رولان في السنة ٧٧٨. وكانت ملاحم القرون الوسطى قصصاً بطولية عن المعارك والروابط الاقطاعية، وتُظهر غالبًا لمحات عن تقليد ملحمي أقدم زمنًا، مثل نشيد نيبيلونغ الألماني الذي ظهر حوالى السنة ١٢٠٠، ويتضمّن عناصر موروثة عن الملاحم الاسكندينافية القديمة - وتعرف بـ «الساغا»، وتتميز بالأعمال البطولية.

وكان المغنون والشعراء يتنقّلون على طرقات أوروبا الوعرة زمن الحروب

يَنْشدون الرعاية من أرباب القصور، وفي منطقة البروفانس الفرنسية نشأ تقليدٌ جديد لدى هؤلاء المنشدين المتجولين الذين عُرفوا باسم «التروبادور»، هو فكرة حب الوطن. وللمرة الأولى في الأدب مُجِّدَتِ المرأةُ، وبرز السعيُ وراء الحب المثالي. وانتشر هذا النوع من الشعر في شمال فرنسا، وألمانيا على أيدي هذه الطبقة من الشعراء الغنائيين والموسيقيين الذي اشتهروا في جنوب فرنسا وشمال ايطاليا من القرن الحادي عشر إلى نهاية القرن الثالث عشر. ومن أشهر هؤلاء التروبادور الفرنسي برتران دوبورن (حوالى ١١٤٠ - حوالى ١٢١٥)، والألماني فالتر فون در فوغلفايد (حوالى ١١٧٠ - ١٢٣٠).

ومعظم هذا الأدب الممتاز يتعلق بقصص الملك آرثر الانكليزي وفرسانه، وبعض الأساطير التي تشترك في ذلك، ومنبتها مقاطعة بريتاني في شمال فرنسا. ومن مؤلفي القصص الشعرية التي تروي بطولات الملك آرثر نذكر توماس، وكريتيان دو تروي، وماري دو فرانس في القرن الثاني عشر، وفولفرام فون آيشنباخ، وغوتفريد فون شتراسبورغ في القرن الثالث عشر.



المنشدون الجوّالون (تروبادور).

١٢٠٦
تيموجين يصبح جنكيز خان

طوال قرون حاول سكان الصين صدّ القبائل الهمجية الغازية التي كانت تهدد حدود أرضهم. وكان أشد هذه القبائل بأسًا وبطشًا علـى الاطلاق المغـول الذين كانوا، على الرغم من همجيتهم وعنفهم يتحاربون فيما بينهم، الأمر الذي لم يكن يشكّل خطرًا كبيرًا من جانبهم على أحد.

وولد السنة ١١٦٢ رجل مغولي يدعى تيموجين، خلف والده رئيسَ القبيلة، وشرع في محاربة القبائل المجاورة. وأخيرًا بعد سنوات عدة من الصراع وضع كل قبيلة مغولية تحت قيادته الموحدة وإشرافه، مكتسبًا لقب جنكيز خان ـ أي «المحارب العظيم». وفي غضون خمسة أعوام عبّأ جيشًا لجبًا، قوامه ٢٠٠ ألف فارس، اندفعوا بسهولة ويسر عبر السور العظيم، واحتلوا شمـال الصين بأسره. ومن هناك زحفوا لمحاربة الأتراك العثمانيين في آسيا الصغرى، وممالك روسيا الصغيرة. ولم يكن ثمة شيء يوقف هؤلاء المحاربين الأشداء الذين كانوا يَبْدون جزءاً صغيرًا من الخيول القوية التي يعتلون ظهورها. ولما توفي هذا الخان السنـة ١٢٢٧، كـان قـد أرسـى أسس اكبر امبراطورية عرفها التاريخ حتى ذلك اليوم.

١٢٠٨
الحملة الصليبية الآلبينية

خلال القرن الثاني عشر، ظهرت طائفة دينية جديدة فـي جنـوب فـرنسـا، عُرف أتباعها باسم الآلبيين، نسبة إلى مدينة آلبي غير البعيدة عن مدينة طولوز. وقد اعتُبر أفرادها هراطقة، مع أنهم كانوا يعيشون عيشة تقشف

وزهد كانت تضاهي أحيانًا حياة معظم رجال الدين في ذلك العصر، إن لم تكن تفوقها.

وازداد عددهم زيادة اضطرت البابا اينوسان الثالث إلى ايفاد مبشّرين اليهم لكي يعيدوهم إلى الكنيسة الرسمية. ولكن لما قُتلَ مندوبُه في موطنهم أعلن عليهم الحرب.

ولبّى نداءه بشوق الكثيرون من البارونات المقيمين في الشمال، وقد رأوا في ذلك فرصة للقيام بأعمال السلب والنهب، وكان قائدهم سيمون دو مونفور الذي مَثّل ابنه، ويدعى مثلَه سيمون دو مونفور، دورًا كبيرًا ومهمّاً في التاريخ الانكليزي.

وقُضيَ على الآلبيين على بكرة أبيهم بعد احتلال قلعتهم في مونسيغور السنة ١٢٤٤، واختفت طائفتهم الدينية.

١٢١٠
فرنسيس الأسيزي يجمع مريديه

ولد فرنسيس السنة ١١٨١ من أب كان تاجر ملابس في مدينة أسيزي الايطالية، وتاق في صغره إلى أن يصبح من ابطال الفروسية والشهامة التي طالما سمع عنها في «أغاني المغامرات» الشعرية الشهيرة، غير أن اختبار الحرب ما لبث أن بدّل فكره.

وبعد ذلك، شعر بالحاجة إلى التنقل في العالم، فاعلاً الخير، فلما هبط روما تلقّى بركة البابا على فكرته. وما إن أقبلت السنة ١٢٢٣،حتى كان جمع حوله جيشًا من آلاف التلاميذ والحواريين، الذين أصبحوا فيما بعد يُعرفون باسم الرهبان الفرنسيسكان.

لم يكونوا يعيشون في الأديرة كسائر الرهبان، بل كانوا يقضون حياتهم متنقلين من بلد إلى بلد، ومن دولة إلى دولة، عاملين واعظين، وعند الحاجة

كانوا يستجدون طعامهم. وقد مارسوا الفقر التام، وكانوا أفقر الفقراء حقًا. أما زعيمهم، فقد توفي في ٣ تشرين الأول السنة ١٢٢٦، في الكنيسة الصغيرة المعروفة باسم «كابيلا الحصة الصغيرة»، التي ما تزال قائمة إلى اليوم في ضواحي آسيزي، مسقط رأسه.

١٢١٥
الماغنا كارتا

اعتلى الملك دجون الانكليزي (١١٦٧ - ١٢١٦) العرش في ٢٧ أيار ١١٩٩، اثر وفاة أخيه الملك رتشارد الأول. وحتى خلال غياب رتشارد، أثبت دجون عن ميل إلى الشر والطغيان.

فلما اعتلى العرش بدا انه ازداد سوءاً. وخسر مساحات شاسعة من الأراضي المحتلة في فرنسا، وتورّط في صراع مع البابا في روما حول تعيين ستيفن لانغتون أُسقفًا على كانتربري، ثم في سلسلة من النزاعات مع البارونات.

وأخيرًا طفح كيل انكلترا، ولكنه لم يُنحَّ عن العرش كما يتوقع المرء، ولكن في رانيميد، وفي حزيران من السنة ١٢١٥، اضطُر إلى توقيع «الماغنا كارتا» - أو الوثيقة الكبرى، التي تنصّ على أن الملك ليس فوق القانون. أما روح الماغنا كارتا التي تقع في ثلاثة أقسام، فقد كان لها تأثير في القانون في انكلترا منذ ذاك الحين.

ومنذ نشرها، غدت الماغنا كارتا رمزًا للبارونات والشعب في آن معًا، وكان يتوقَّع من كل ملك خلال القرون الوسطى، ان يعزّزها (= يؤكدها). وقد ظلت موادّها هدف التوقير حتى أمد طويل بعد أن باتت بالية، وتخطّاها الزمن. وكان الشعب يقرأ فيها (= موادّها) معاني لا ريب أنها تُذهل واضعيها الأصليين.



البارونات يجبرون الملك دجون على توقيع الماغنا كارتا (الوثيقة الكبرى) .

١٢٤٠
إسكندر النوفغورودي يصبح « نفسكي »

في السنة ١٢٢٤ ظهر التتار المغوليون في السهوب في جنوب روسيا ، وما عتّموا ان اعملوا السلب في أواسط هذه البلاد وبخاصة في كييف ، وقد دامت سيطرتهم على روسيا أكثر من قرنين من الزمن .

وكانت نوفغورود من المدن القليلة التي كان ألمُها أقل من سواها ، ولكن كان لها أعداء آخرون هم السويديون ، والفرسان الألمان التابعون لجماعة التوتونيين .

وفي السنة ١٢٤٠، وبقيادة الأمير إسكندر (١٢٢٠ - ١٢٦٣) هاجم سكان نوفغورود السويديين في منطقة نيفا وهزموهم، وسمّوا قائدهم إسكندر نفسكي، نسبةً إلى نهر نيفا. وبعد سنتين اثنتين سحق الفرسان الألمان في معركة جرت على صفحة مياه بحيرة بابيوس المجلّدة.

وكان نفسكي واقعيّاً إلى حد أنه عرف أن جيشه لا يمكن أن يهزم أبداً الجحافل المغولية التي يبدو أن لا نهاية لها ولا حصر، وبعد أن دفع الجزية للخان الكبير، وأبدى له الطاعة والاحترام، بقيت بلاده في منجىً من كل ازعاج ومضايقة.

١٢٥٤
نهاية سلالة هوهنشتوفن

كانت سلالة هوهنشتوفن أسرة من الأمراء غدا أفرادها أباطرة أو ملوكاً ألمان من السنة ١١٣٨ حتى السنة ١٢٥٤. وقد أضحت الامبراطورية قوية بصورة خاصة عندما أصبح فريديريك بربار وسا (١١٢٣ - ١١٩٠) امبراطوراً على الامبراطورية الرومانية السنة ١١٥٢. وكان آخر امبراطور منها فريديريك الثاني (١٢١٢ - ١٢٥٠)، وآخر ملوكها كونراد الرابع (١٢٥٠ - ١٢٥٤). وقد وضع مقتلُ ابن هذا الملك السنة ١٢٦٨، حدّاً لنسل الذكور في هذه السلالة الألمانية.

١٢٥٧
ليويلن يصبح أمير ويلز

خلال الخمسينات من القرن الثالث عشر، انتصر في معركة للسيطرة على ويلز امرؤ يدعى لويلن آب غرافلورد الذي كانت وفاته حوالى السنة ١٢٨٢.

وقد جعل نفسه سيد شمـال ويلز وجنوبها. وكانت بلاده لدى تسلّمه السلطة فريسة الاجتياح من البارونات الانكليز، فجعل من أول أهدافه انقاذ ويلز من الغزاة الأجانب. فحالفه النجاح في هذه المهمة، وقد اعترف به الملك هنري الثالث الانكليزي (١٢٥٧ - ١٢٧٢) أميرًا على ويلز، والسيد المطلق على بلاده.

سوى أن خليفة هنري، الملك أدوارد الأول (١٢٣٩ - ١٣٠٧) كان مصممًا على حكم بلاد موحّدة. فقاد السنة ١٢٧٧ جيشًا كبيرًا وقويًّا، وزحف على ويلز، وأجبر ليويلن على الرضوخ لشروطه. وفي عصيان لاحق قُتل الأميـر في نزاع حدث بالقرب من بيلث ويلز السنة ١٢٨٢. وما هي إلا سنتان حتى قدّم الملك ادوارد، في قصر كارنارفون، ابنه شخصيّاً كأول أمير.

١٢٦٠

قبلاي خان يصبح الخان العظيم

خلّف جنكيز خان امبراطورية كانت تمتد من البحر الأصفر حتى الخليج العربي والبحر الأسود. وقد اوفد ابنُه اوغداي قوات إلى معظم البلدان الشمالية، ولم ينقذ أوروبا من المغول سوى موته الذي جعل القادة منهم يعودون إلى آسيا للتنازع على الخلافة.

وكان الزعيم الجديد يدعى قبلاي خان، وهو من أحفاد جنكيز خان. فلمـا أصبح الخان العظيم أكملَ احتلال الصين، وأسس سلالة يوين، وأصبح حاكم عدد من السكان يفوق أي عدد حكمه من قبل رجل.

ومع ذلك كان أكثر تحضرًا من المغول الأوائل، وخلال حكمه راحت التقارير تصل إلى أوروبا حول «الشرق الأقصى» الأمر الذي آل في النهاية إلى مجيء الرحالة الايطالي ماركو بولو إلى بلاطه. ولدى وفاة قبلاي خان تداعت امبراطوريته، على الرغم من أن من خلفوه واصلوا حكم الكثير من البلدان المحتلة.



قبلان خان، عاهل الامبراطورية المغولية المترامية الأطراف، كان له بلاط ملكي رائع بلغت شهرته أوروبا .

١٢٦٤
توما الاكويني يكتب «الخلاصة اللاهوتية»

ولد توما الاكويني في أكوينا بالقرب من نابولي السنة ١٢٢٥ ، وانضم إلى الرهبنة الدومينيكانية للعمل في مدينة كولونيا في المانيا. وقد أصبح فيما بعد أعظم مفكّري العالم المسيحي. وحوالى السنة ١٢٦٤ شرع في كتابة مؤلفه القيّم « الخلاصة اللاهوتية » الذي قصد منه وضع خلاصة لما كان يُعرف حتى ذلك الحين من العلم والمعرفة. وكانت وفاته بعد ذلك بعشر سنين، وقد طُوّب قديسًا السنة ١٣٢٣ .

١٢٦٥
برلمان دو مونفور

قبل احتلال النورمانديين انكلترا لم يكن للسكسون أي برلمان، بل كان عندهم مجلس شورى الملك. وفي عهد النورمان كان هناك مجلس كبير، ولكنه لم يكن ليقوم بالشيء الكثير، في حين كان الملوك يتصرّفون على هواهم حتى وضع البارونات حدّاً للملك دجون، وأكرهوه على توقيع الوثيقة الدستورية الكبرى المعروفة باسم « ماغنا كارتا ».

وكان هنري الثالث (١٢٠٧ - ١٢٧٢) ابن الملك دجون أفضل نوعًا ما وينظر إلى نفسه بأهمية كبيرة دون أن يكون مقتدرًا. ففي غضون أربع سنوات أفلس المملكة وانتهى به الأمر إلى أن انتزع منه البارونات كل سلطانه، بعد أن تعبوا من تمويل حروبه الخارجية. وفي السنة ١٢٥٨، وبقيادة سيمون دو مونفور، ايرل اوف لايستر، حكم البارونات البلاد بواسطة لجنة.

وفي السنة ١٢٦٥ شكّل دو مونفور أول برلمان مؤلف من نبلاء وأفرادٍ من العامة. وقد دُعيَ أولُ برلمان حقيقي أو « نموذجي » إلى عقد اجتماع السنة ١٢٩٥ من قِبَلِ الملك ادوارد الأول، فكان النموذج الذي احتذته المجالس التشريعية فيما بعد.

١٢٧١
رحلة ماركو بولو

في السنة ١٢٦٠ غادر نيكولو ومافيّو بولو التاجران الايطاليان من البندقية مدينة القسطنطينية في رحلة إلى الشرق، على أمل العثور على مناطق جديدة يتّجران فيها. فانتهيا في آخر المطاف إلى بلاط قُبْلاي خان، امبراطور التتار

العظيم الذي أحسن معاملتهما. وقاما مجددًا برحلة أخرى إلى الشرق الأقصى السنة ١٢٧١، يرافقهما هذه المرة الفتى ماركو، ابن نيكولو، البالغ من العمر آنذاك خمس عشرة سنة.

وبعد رحلة طويلة وشاقة بلغوا قصر قبلاي خان، في بيكين، فأدخل الامبراطور ماركو في خدمته، وواصله بالكثير من الهدايا والانعامات. وبقيت أسرة بولو في القصر حوالى عشرين سنة انتهت في السنة ١٢٩٢. وأخيرًا أبحروا إلى بلاد فارس بطريق جزيرة سومطرا، وجنوب الهند، فكانوا أول الاوروبيين الذين يسلكون هذه الطريق.

وانتهوا إلى البندقية بعد ثلاث سنوات، ولكن بعد ذلك بقليل أُسر ماركو بولو في معركة وسُجن ردحًا من الزمن. واغتنم الفرصة على أحسن صورة، فاتخذ من أحد السجناء كاتبًا أملى عليه قصص مغامراته الكثيرة مع العلم أن الكثيرين لم يصدّقوها لأنها كانت حقًّا بعيدة عن التصديق، وأقرب ما تكون إلى الخيال. وكانت وفاته في حوالى السنة ١٣٢٤، وهو في العقد السابع من العمر.

١٢٩١
عصبة أوري الدائمة

منذ قرون عدة لم يكن هناك بلاد باسم سويسرا. وحوالى القرن الأول قبل الميلاد احتل يوليوس قيصر البلاد التي كانت تقطنها قبيلتا الهلفيسيين والريسيين، وضمّها إلى الامبراطورية الرومانية. ولما تداعت دعائم هذه الامبراطورية اجتاحت هاتين القبيلتين قبائلُ جرمانيةٌ آتيةٌ من الشمال. وفي القرن الثامن باتت هذه البلاد جُزءاً من الامبراطورية الرومانية، ثم أضحت فيما بعد تحت حكم آل هابسبورغ.

وكان يحكم هذه السلالة الملكية النمساوية الملك رودولف، فلما توفي قرر سكان أودية أوري وشفيز ونيدفالدن أن يتحرروا ويستقلوا. فانضم بعضهم إلى بعض في أول آب ١٢٩١ في عصبة دعوها «العصبة الدائمة»، الغاية منها الدفاع المشترك، ومنها حققت الأمة السويسرية ببطء وبصعوبة الاستقلال التام السنة ١٦٤٨.

١٢٩٨
هزيمة والاس

كانت اسكتلندا تواجه اياماً مظلمة حقّاً. فقد جرّد ملك انكلترا ادوارد الأول الملك الاسكتلندي باليول من كل سلطاته. وأجبرَه مع نبلائه، على اعلان ولائهم له. وبعد ذلك، لما بدا أن مصير البلاد بات مهدداً، ظهر مواطنٌ يُعرف باسم السر وليام والاس. فقد جمع على جناح السرعة جيشاً قوامه الشعبُ، صنع منه قوةً محاربة يُعتمد عليها، وبه هاجم القلاع، الواحدة بعد الأخرى.

وخاض معركة لدى جسر سترلنغ السنة ١٢٩٧، مُنزلاً هزيمةً منكرة وكاملة بالانكليز، وحكم مدة سنة واحدة اسكتلندا كنائب للملك باليول.

واضطر الملك ادوارد الأول إلى قيادة جيش آخر إلى اسكتلندا. والتقى والاس في فولكريك في ٢٢ تموز السنة ١٢٩٨، وهزمه. ونجح والاس في الهرب، ولكنه سُلِّمَ خِدْعةً إلى ادوارد الذي أعدمه السنة ١٣٠٥.

١٣٠٦
روبرت بروس يتوّج في سكونْ

بعد وفاة والاس بستة أشهر التقى روبرت بروس ودجون كومن ـ المعروف

بـ « الأحمر » ـ ليقرّرا من سيتسلّم مقدِّرات اسكتلندا . وحدث بينهما خلاف ، فطعن بروس خصمه في سَوْرة غضب. وجمع أتباعه والذين كان يُقطعهم الأراضي لقاء تقديم المساعدة العسكرية إليه ، وأكّد حقوقه في العرش ، وتُوِّج ملكًا في سكون السنة ١٣٠٦ .

وإثر تورطه الكلّي الآن شرع بروس في تعبئة جيشٍ لمحاربة الانكليز الذين بقوا في اسكتلندا بعد معركة فولكريك. ولكن في آذار ١٣٠٦ هُزم هزيمةً نهائية في مثفن... ولم يُقبل ربيعُ السنة ١٣٠٧ حتى كان قد عبّأ جيشًا آخر. واضطُر ادوارد مجددًا إلى الزحف شمالاً ، إلّا انه توفي في الطريق فتسلَّم القيادة بدلًا منه ابنه الملك ادوارد الثاني (١٢٨٤ ـ ١٣٢٧) .

وتقابل الجيشان الانكليزي والاسكتلندي في ٢٤ حزيران ١٣١٤ ، في بانوكبرن ، فانهزم الانكليز هزيمة منكرة . وقد اعترفت معاهدة نورثامبتون باسكتلندا بلدًا مستقلاً في السنة ١٣٢٨ ، ولكن الملك بروس توفي في السنة التالية في ٧ حزيران بمرض البَرَص. ودُفن جثمانه في دنفرملاين ، وقلبه في ملروز .

١٣٠٩
البابوية تنتقل إلى أفينيون

مدينة أفينيون الفرنسية الجميلة التي تشرف من عَلُ على نهر الرون يقوم فيها القصر الكبير الذي احتله طوال سنوات الباباوات بدلاً من اقامتهم في روما التي كانت موطنهم قرونًا عدة. وقد حدث ذلك عندما سعى ملكٌ فرنسي جديد هو فيليب الملقّب بالجميل (١٢٨٥ ـ ١٣١٤) ، مؤسس فرنسا الحديثة ، إلى جعل البابوية تحت سلطته ، وكان يتربع على سدتها في ذلك الوقت البابا بونيفاس الثامن .

وقد اعتقل عملاء الملك هذا البابا الذي ما لبث أن توفي بعد ذلك بقليل ،

وباتت أفينيون من السنة ١٣٠٩ موطن الباباوات حتى السنة ١٣٧٨ ، وقد عُرفت تلك المرحلة باسم « الأسرُ البابلي ». وبعد ذلك حكم البابا أوربان السادس وخلفاؤه من روما كالسابق، في حين جعل البابا اكليمنضوس السابع قصره في أفينيون. وعُرف ذلك الحدث تاريخياً باسم « الانشقاق الكبير »، ودام حتى السنة ١٤١٧.

١٣١٠
لوحة « الصعود » لجيوتو

كان جيوتو دي بوندوني رسامًا ايطاليًا من مواليد بلدة بالقرب من فلورنسا السنة ١٢٦٦. وقد قدّر رسام عصره الشهير شيمابو مهارة جيوتو الفنية، وهو بعد في أول عهده، وجعله تلميذه. إلّا أن الكثير من نتاجه فُقد، ولكن بقي برج الجرس في فلورنسا، وجدرانياته الجصّية في أسيزي وبادوى، ولوحته الرائعة « صعود المسيح » تنطق بعبقريته.

١٣١٤
دانتي يكتب « الكوميديا الإلهية »

وفي فلورنسا وُلد دانتي أليغييري السنة ١٢٦٥ ، وقضى السنوات الثماني عشرة من أواخر حياته في كتابة رائعته الخالدة « الكوميديا الالهية »، التي تروي رحلة روح، يقودها فيرجيل ممثلًا الفلسفة وبياتريتشي (بياتريس) - حبيبة دانتي المثالية - ممثلةً الدين. وكانت وفاة هذا الشاعر الكبير الذي عُرف بلقب « صوت القرون الوسطى » السنة ١٣٢١.

حوالى ١٣٢٧
شعب الأزتيك يؤسس تينوكتيتلان

إن الأمة العظمى التي أصبحت فيما بعد أمة الأزتيك جاءت في الأصل من مكان ما في أميركا الشمالية. ونظرًا لوجوه الشبه اللغوية الكثيرة مع لغة القبيلة الهندية الحمراء المعروفة باسم بيمان، يُستنتج أنها ربما جاءت مما هو اليوم ولاية آريزونا. وقد انضمت قبائل عدة بعضها إلى بعض للبدء بهجرة كبيرة نحو الجنوب حوالى السنة ١١٠٠، فلما بلغت مملكة التولتكيين استقرَّت فيها.

في البدء كان هذا الشعب سعيدًا لكونه يتعاطى الصيد البحري والزراعة ويدين بالولاء لأسياده التولتكيين. غير أنه لما راحت سلطة هؤلاء تضعف بدأت قوة الأزتيك تتضاعف. وحوالى السنة ١٣٢٧ أنشأ عدد منهم مستعمرة في جزيرة مستنقعية بالقرب من بحيرة تدعى تينوكتيتلان، وهي حيث تقوم اليوم مدينة مكسيكو الجديدة. وقد عجز التولتكيون عن زحزحتهم منها. ومن هذه المستعمرة الأولى نمت أمة الأزتيك القوية والعظيمة. وفي غضون خمسين سنة انتخبوا ملكًا خاصاً بهم، علمًا بان أعظم ملوكهم هو ايتزكوتل الذي ظهر حوالى السنة ١٤٣٠، وجعل هذه الأمة أول الأمم في المكسيك حتى برزخ تيهوانتيپك في أقصى الجنوب.

وقد احتل الرحالة الاسباني هرناندو كورتيس هذه الدولة عندما احتل المسكيك السنة ١٥٣١، فانتهى بذلك وجودها كإمبراطورية كبرى.

١٣٣٨
بداية حرب المائـة سنـة

هذا الصراع الطويل بين انكلترا وفرنسا، الذي يُعرف في التاريخ باسم

« حرب المائة سنة » ، بدأ السنة ١٣٣٨ ولم ينتهِ إلّا في السنة ١٤٥٣ ، مع فترات الهدنة القصيرة التي تخللته.

كان ملوك انكلترا دوقات آكيتين الفرنسية أيضًا بالوراثة، وطوال قرنين من الزمن كانوا يدينون بالولاء لملك فرنسا بسبب هذه الدوقية. وكانوا يكرهون ذلك الوضع. وبلغت الامور ذروتها عندما استولى الملك فيليب الرابع الفرنسي على أراضي الملك ادوارد الثالث الانكليزي في فرنسا وبدأت الحرب.

كان أول اشتباك رئيسي معركة بحرية في السنة ١٣٤٠ ، عندما اشتركت مئتان وخمسون سفينة انكليزية في حرب مع أسطول فرنسي عند مصبّ نهر سلايز، وفي نهاية ذلك اليوم لم تستطع النجاة سوى أربع وعشرين سفينة فرنسية.

وكسب الملك ادوارد الثالث فيما بعد (١٣١٢ - ١٣٧٧) معركة كريسي الشهيرة التي جرت في ٢٣ آب ١٣٤٦. فقد هاجمت جماعات كبيرة من الفرسان الفرنسيين المسلحين خطوط الجنود الرماة الانكليز، فوقعوا صرعى سهامهم. وبلغ عدد الفرنسيين الذين قضي عليهم نحو ستين ألفًا. وأثبتت تلك المعركة تفوّق القوس الطويل والسهم على السلاح الثقيل بطريقة حاسمة لا تقبل الجدل.

وخلال هذا العمل أحرز ادوارد - الأمير الأسود - أول انتصاراته وبنى لنفسه مجدًا وشهرة. ولكنه توفي شابًا السنة ١٣٧٦ في اسبانيا.

١٣٤٨
الطاعون يبلغ أوروبا من الشرق

منذ مطلع القرن الرابع عشر كانت مصر، والصين، والهند مسرحًا لوباء رهيب اجتاحها. وقد عُرف اليوم أنه كان الطاعون الدُبْلي - والطاعون الرئـوي،

إلّا انه بالنسبة إلى أوروبا كان لعنة الوثنيين الهمجيين في البلدان البعيدة جدًا .

وكانت انكلترا تنعم بفترة من السلام بفضل ملكيها المحارب ادوارد الثالث ، وتزدهر وتنمو بقوة على صادراتها الكبيرة من الصوف والأنسجة . حتى التقارير التي كانت تذكر ان وباء الطاعون انتقل إلى أوروبا مع القوافل حاملة الحرائر والتوابل من الأسواق الشرقية لم تُحدث أي اهتمام أو قلق .

ولكن في ذات يوم صيفي من السنة ١٣٤٨ نزل بحّار فرنسي إلى ساحل انكلترا الجنوبي . وكان يحمل ، دون أن يدري ، جرثومة الوباء الذي عُرف فيما بعد باسم « الموت الأسود » .

كانت الضحية التي تُصاب بهذا الوباء تقضي بعد قليل بعد أن تعاني عادة ألمًا مبرّحًا . ولا أحد يدري حقًا كم حصد الطاعون من الضحايا ، إلّا أن تقديرًا متحفظًا يعطي الرقم نصف مليون كحصيلة الوفيات التي حدثت في انكلترا وحدها ، وتلك نسبة كبيرة من عدد السكان .

وبلغ الوباء ذروة الانتشار في ربيع السنة ١٣٤٩ ، وتلاشى خلال الخريف بعد أن اجتاح أوروبا محطمًا المجتمعات ، ومدمّرًا التجارة .

١٣٥٠
السر غايوين والفارس الأخضر

القصيدة الطويلة التي تتميز بالجناس الاستهلالي ـ أي تكرار حرف واكثر في مستهل لفظتين متجاورتين ـ نظمها شاعر انكليزي مجهول من القرن الرابع عشر ، استعمل فيها لغة شمال غرب انكلترا . وهي تصف مغامرات غايوين ، أحد فرسان الملك آرثر الذي يمرّ بسلسلة من الاغراءات في سعيه للانتقام من عملاق يرتدي الملابس الخضراء .

١٣٥٣
بوكاتشيو يكتب «الديكاميرون»

« الديكاميرون » تعني باليونانية عشرة أيام، وقد كتبها القصصي الايطالي جيوفاني بوكاتشيو (١٣١٣ - ١٣٧٥) وهي مجموعة تضمّ أكثر من مئة قصة تُروى على مدى عشرة أيام على لسان جماعة من الشبان الذين غادروا مدينة فلورنسا ولجأوا إلى الهضاب خلال تفشّي وباء الطاعون. وكان للديكاميرون ـ على الرغم من بعض القصص الإباحية التي تضمّها ـ تأثير كبير جداً في الأدب الأوروبي.

١٣٥٦
امتداد عصبة الهانزا

خلال القرن الثاني عشر، وجد عدد من المدن الهامة في شمال أوروبا، وخصوصاً تلك الواقعة على ساحل بحر البلطيق، وعلى طول ضفاف نهر الراين نفسه في نزاع بعضها مع بعض حول التجارة.

وما لبث أن تبيّن بعضُ هذه المدن انه في تأليف نوع من الاتحاد فيما بين هذه المدن يمكن الحصول على الكثير من الامتيازات عندما تنمّى التجارة مع البلدان الأجنبية. وعُرف الأعضاء باسم « الهانزا ».

وفي السنة ١٣٥٦ اتحد عدد من « الهانزا » المختلفين من أجل قوة أعظم. وبقيادة مدن بحرية مثل لوبيك وهامبورغ وبريمن، تشكلت « عصبة الهانزا » التي أضحت أغنى وأقوى من الكثير من الدول الأوروبية الهامة.

واستوطن تجار عصبة الهانزا انكلترا، وما لبثوا أن باتوا أهم فريق من التجّار الأجانب في البلاد. وقد نعموا بامتيازات خاصة، أكّدها فيما بعد

الملك رتشارد الثالث، إثر بعض الصعوبات التي نجمت بسبب غَيْرة التجار الانكليز وحسدهم.

١٣٦٦
بترارك يكتب الكانزونييري

فرنشيسكو بتراركا، المعروف أكثر باسم بترارك (١٣٠٤ - ١٣٧٤) أديب ايطالي انتقل للإقامة في مدينة افينيون الفرنسية، حيث شرع السنة ١٣٢٧ بالكتابة بوفرة نثرًا وشعرًا، وخصوصًا في شكل السونيتة - أي القصيدة التي تتألف من أربعة عشر بيتًا - وقد أعطاها اسمه. وقد أُولع بحب فتاة تدعى لورا، ونظم فيها سلسلة من القصائد تُعرف باسم كانزونييري، ظهرت السنة ١٣٦٦، وثبَّتت شهرته الأدبية.

١٣٦٨
تأسيس سلالة مينغ

بعد عودة أسرة بولو من بلاط الخان الكبير أجبرت أخبارُ «الصين البعيدة» الآخرين على النسج على منوالها، وخصوصًا التجار والمبشّرين. ولما تداعت أركان الامبراطورية المغولية باتت الطرق التجارية محفوفة بالمخاطر. وعندما كانت الحملات المعادية للأجانب تبدأ في الصين، كان الأوروبيون الذين يجرؤون على العودة إليها قلةً، بالطبع.

اثر المغول، ظهرت سلالةُ صينية صرفٌ السنة ١٣٦٨، هي سلالة مينغ، وكان أول امبراطور هونغ وو، وقد دامت سلالته حتى السنة ١٦٤٤. واستقرت الأوضاع في البلاد وازدهرت، وجُعلت نانكنغ العاصمة. وكان ثالث امبراطور

يونغ لو أحد أعظم البناة في الصين، ومعظم القصور والهياكل والمعابد القائمة في الصين اليوم ـ شيّدت في عهده، وزمن حكم من خَلَفَهُ على العرش الامبراطوري. وخلال حكم هذه السلالة ظهر نوع جديد من الآنية الخزفية الصينية الزرقاء والبيضاء اللون، فضلاً عن ارتفاع مستوى المنسوجات، والتطريز، والقماش المقصّب، وخصوصًا السجاد الصيني الجميل. ومع معرفتهم باستقرار طبيعة سلالة مينغ راح الأوروبيون يعودون إلى الصين. وكان البرتغاليون في الطليعة، وقد دخلوها السنة ١٥١٤.

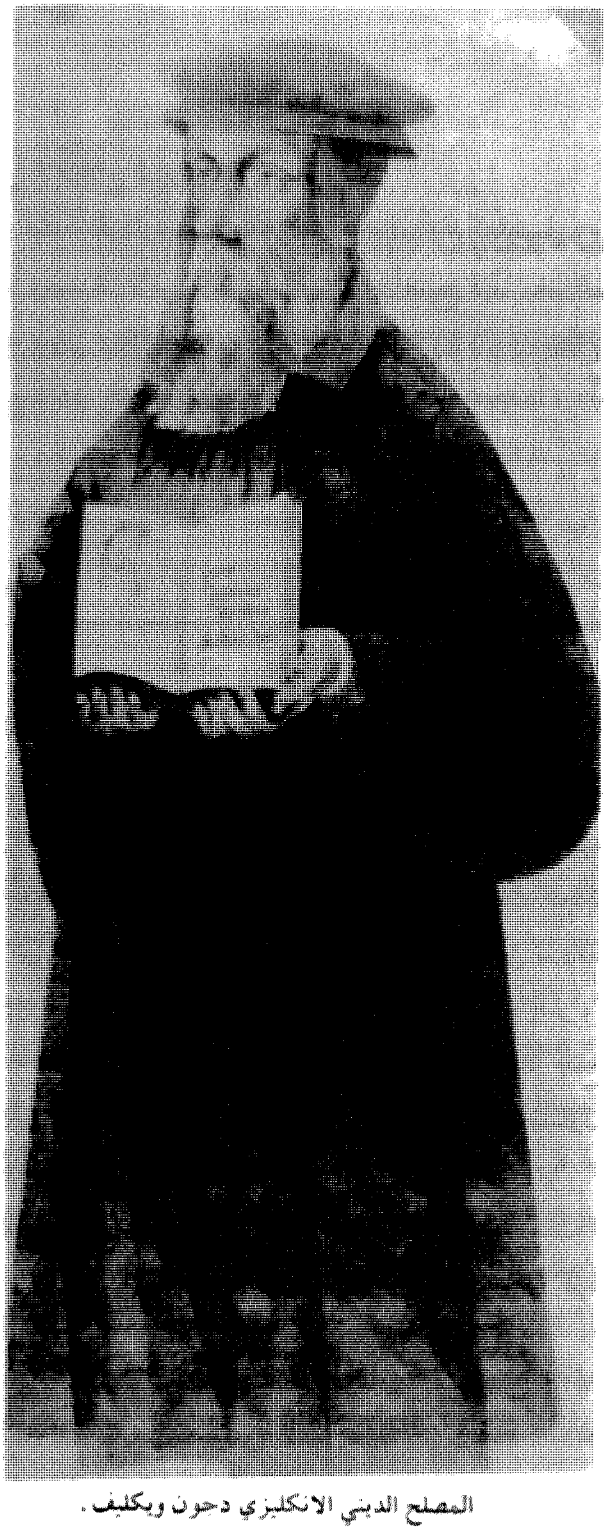


إناء برونزي من عهد سلالة مينغ الصينية.

١٣٧٧
ويكليف واللولارديون

كان دجون ويكليف مصلحاً دينياً انكليزياً أبصر النور بالقرب من هيسويل في اقليم يوركشر حوالى السنة ١٣٢٤. وأصبح مديرًا لكلية باليول في اوكسفورد حوالى السنة ١٣٦٠. وبعد ذلك بأربع عشرة سنة، أصبح كاهناً في لاذرويرث حيث بقي حتى وفاته السنة ١٣٨٤.

أمضى الشطر الأخير من حياته في مهاجمة السلطة الزمنية لدى رجال الدين وأسلوبهم في الحياة البعيدة عن التعاليم السماوية. وما لبث أن جمع حوله عددًا من الأتباع عُرفوا باسم اللولارديين ـ من اللغة الهولندية التي تعني الإنشاد بصوت خافت. ويُعزى إلى ويكليف أول ترجمة للكتاب المقدس. وكان له



المصلح الديني الانكليزي دجون ويكليف .

تأثير كبير في الاصلاح البروتستانتي المعروف.

وقد تولّى قيادة اللولارديين مكانه السر دجون أولدكاسيل، وكان في الأصل جندياً وصديقًا لامير ويلز هنري الذي أصبح فيما بعد الملك هنري الخامس. وقد سُجن ويكليف بتهمة الهرطقة السنة ١٤١٣، واستطاع الهرب من سجنه في برج لندن الشهير، ولكن أُلقي القبض عليه مجدداً، وأُحرق حتى الموت.

١٣٨١
ثورة الفلاحين

يُزعم أن اللولارديين، أتباع ويكليف، فعلوا الكثير لمضاعفة النقمة في صفوف الفلاحين والصنّاع بتعاليمهم. وقد وجدوا أرضًا خصبة لذلك لأن الفلاحين لم يكونوا أفضل كثيرًا من العبيد الارقاء، في حين كان العمّال يُجبرون على العمل حسب القانون بأجور لا تُسمن ولا تُغني من جوع.

وفي السنة ١٣٨١، بلغت هذه النقمة الذروة عندما فرضت الحكومة ضريبة الرؤوس - وهي ضريبة تفرض على كل شخص من البالغين - وذلك لتمويل الحرب الفرنسية - حرب المائة سنة. وبرز قائد يدعى وات تايلر، من اقليم كِنت، كان عاملًا في آلاجرّ وسبق أن قتل أحد الجباة. وقد جمع جيشًا من الفلاحين السيئي التسليح للزحف إلى لندن. فأحرقوا منازل الموظفين والمسؤولين، وأسروا الملايين في طريقهم.

وانضمّ اليهم الكثيرون في زحفهم، إلى أن بلغوا سميثفيلد حيث التقوا الملك الشاب رتشارد الثاني (١٣٦٧ - ١٤٠٠)، وكانوا قد أصبحوا قوة هائلة تُعَدُّ بالآلاف.

ومنحهم رتشارد كل ما طالبوا به، فتفرّقوا بهدوء، ومع ذلك بقي تايلر حتى اليوم التالي من أجل لقاء آخر، قتله أثناءه المحافظ بحجة أن تايلر شتم الملك.

١٣٨٨
تشوسر يكتب «حكايات كانتربري»

«حكايات كانتربري» هي آخر عمل للشاعر الانكليزي دجيفري تشوسر (حوالى ١٣٤٠ ـ ١٤٠٠) وأطوله، وأشهره؛ ويصف التقديم للحكايات ثلاثين حاجّاً يتفقون على رواية الحكايات بعضهم لبعض وهم في الطريق من لندن إلى كانتربري، وهي حكايات تراوح بين القصة الرومنطيقية كحكاية الفارس، والحكاية الجريئة الصريحة مثل حكاية الطحّان. ويتفق النقّاد على ان هذا التقديم للحكايات رائع حقّاً.

١٣٩٧
اتحاد كالمار الاسكندينافي

اقترن الملك هاكون السادس النرويجي (١٣٨٠ ـ ١٣٥٥) بالأميرة مرغريت الدانمركية، وأصبح ابنهما أولاف الخامس الذي اعتلى عرش الدانمرك السنة ١٣٧٥ ملك النرويج السنة ١٣٨١. ولكنه توفي بعد سبع سنوات وحسب عن ثمانية عشر عامًا. وأصبحت امه الأرملة مرغريت، إذ ذاك الملكة الشرعية على الممالك الاسكندينافية الثلاث، مع انه لفترة من الوقت كانت السلطة الحقيقية في أيدي النبلاء. ومع ذلك فقد أجبرتهم السنة ١٣٩٦ على تدمير قلاعهم وحصونهم، والتنازل عن الامتيازات التي حصلوا عليها حديثًا، بما في ذلك الاعفاء من دفع الضرائب.

وأتاح انتصارُ الملكة مرغريت هذا أن تقدّم حفيد أخيها اريك البوميراني (١٣٨٩ ـ ١٤٤٠) خليفة لها وحاكم الممالك الثلاث باسم «اتحاد كالمار» الشهير السنة ١٣٩٧. ولكنها بقيت مع ذلك وصية على عرش النرويج والسويد والدانمرك، حتى وفاتها السنة ١٤١٢.

غير أن اريك الثالث أُطيح به السنة ١٤٣٦، وجعل النبلاء النرويجيون ابن اخيه كريستوفر البافاري ملكًا عليهم السنة ١٤٤٢.

١٣٩٨
تيمورلنك يحتل شمال الهند

كان تيمور السمرقندي (١٣٣٦ ـ ١٤٠٥) يُلقّب تيمورلنك ـ أي تيمور الأعرج. وسواء أكان اعرج أم لا، فقد اشتهر بأنه محارب باسل، وأعظم فاتح عرفه العالم منذ الاسكندر الكبير. كان ابن قائد قبلي، حارب عددًا من الخانات المغول، وساند آخرين إلى أن احتلت قواته موسكو السنة ١٣٨٠، وغنمت الأراضي الفسيحة المترامية الأطراف. وفي السنة التالية ١٣٨١ زحف بجيش إلى بلاد فارس وسحق كل مقاومة. وبعد ذلك بسبع سنوات غزا الهند، وعبر نهر الأندوس، وهاجم دلهي التي خلّفها دمارًا وخرابًا.

١٣٩٩
هنري أوف لانكستر يغتصب العرش

طوال فترة طويلة كان تاج انكلترا يُسلّم من الأب إلى الوارث دون انقطاع. ثم توقف فجأة تقليدُ البُكورة ـ أو حق البكر في الإرث كله دون سائر الابناء ـ عندما أظهر الملك رتشارد الثاني أنه ملك ضعيف ولا يُعتمد عليه.

وبات أقوى باروناته هنري بولنغبروك ايرل أوف لانكستر (١٣٦٧ ـ ١٤١٣) ودوق نورفوك عدوّين له، فأمر الملك بأن يتلاقيا في مبارزة مميتة. واحتشد جمعٌ غفير لمشاهدتها، غير أن رتشارد أوقفها في اللحظة الأخيرة، وأرسل دوق نورفوك إلى المنفى مدى الحياة، وهنري لمدة عشر سنين فقط، وصادر ممتلكاتهما.

وذُعر سائر النبلاء الكبار من تصرُّف الملك وهبّوا يساندون لانكستر، فأُجبر رتشارد السنة ١٣٩٩ على التنازل عن العرش لمصلحة ابن عمه لانكستر مردِدًا: «إني أُقدم إليك هذا التاج الذي توِّجتُ به ملكًا على انكلترا، وأمنحك معه كل الحقوق التابعة له». وقد توفي بعد بضعة شهور في قصر بونتفراكت.

وكان حق لانكستر في العرش من خلال والده دجون اوف غونت، ثالث ابناء الملك ادوارد الثالث، ومع أنه كان حقًا ضئيلاً، إلّا أنه أظهر انه تجري في عروقه دماء ملكيّةٌ. وبدأ حكمُه عهد اسرة لانكستر.

١٤٠٠
حرب ويلز الاستقلالية

ولد اوين غلاندُوَار في أسرة نبيلة في إقليم ويلز السنة ١٣٥٩، ودرس الحقوق في وستمنستر، ثم حارب السنة ١٣٨٥ إلى جانب الملك رتشارد الثاني ضد الاسكتلنديين. وقد شجعه اشتراكه مع الملك المخلوع، بصورة جزئية، على رفع رايات الثورة إثر اعتلاء الملك هنري الرابع العرش. وقد جمع جيشًا بعد أن ادّعى أن أصله يعود إلى أمراء ويلز القدامى.

وبدوره قاد الملك هنري جيشًا ضده في مناسبات عدة، سوى أن التوفيق لم يحالفه في محاربته. وما لبث اوين أن راح يتآمر مع ثائر آخر يدعى هنري هوتسبر، على أمل أن يطيح عصيان متزامن يحدث في الوقت نفسه بالملك الانكليزي الجديد. سوى أن شيئًا من ذلك لم يحدث، وهُزم الثائران، فانسحب غلاندوار إلى ويلز لاستئناف القتال الذي واصله مدة عشر سنوات أخرى، ومات ميتة طبيعية السنة ١٤١٥، وكان آخر أمراء ويلز المستقلين.

١٤٠١
احراق الهراطقة

بعد أن أصبح هنري الرابع ملكًا سعى وراء دعم الكنيسة له في تثبيت شرعية مطالبته بالعرش. وعلمًا منه بأن اللولارديين كانوا يعارضون الكنيسة بعنف، جعل البرلمان يصدر قانونًا يسمح للسلطات المدنية بإحراق الهراطقة، وحتى رجال الدين الذين يعتنقون آراءً وأفكارًا «تناقض حقيقة الكنيسة»، بعد أن يُدانوا في محكمة روحية.

١٤٠٣
معركة شروزبري

كان أقوى النبلاء في انكلترا خلال حكم الملك هنري الرابع هنري برسي، الملقب هوتسبر (١٣٦٤ ـ ١٤٠٣)، وقد مثَّل دورًا هامًا في الثورة التي أطاحت الملك رتشارد، وجعل من نفسه بطلًا بإنزاله الهزيمة بالاسكتلنديين في معركة هوملدون هلْ في نورثمبرلند. ولكنه تشاجر مع الملك، وبمساعدة والده ايرل اوف نورثمبرلند، أعلنا الثورة على الملك ونعتاه بالمغتصب، وألمحا إلى أن الملك رتشارد الثاني اختُطف من قصر بونتفراكت، وما يزال حيًّا. وعبّأ هوتسبر جيشه الكبير، وعقد اتفاقًا مع اوين غلاندوار من أجل الثورة ضد الملك بعد توحيد قواتهما. ولكن قبل أن يتم الاتصال بين الجيشين، كانت قوات هنري أسبق إلى الوصول. وجرت معركة شروزبري في ٢١ تموز ١٤٠٣، وكان الجيشان متكافئين تمامًا، ولكن هوتسبر وُجد مقتولًا عند حلول الظلام في ساحة المعركة، وقد شُتّت جيشُه.

١٤١٥
معركة آجانكور

عندما اعتلى الملك هنري الخامس (١٣٨٧ - ١٤٢٢) العرش الانكليزي السنة ١٤١٣ كانت بلاده ما تزال تئنّ من ذيول السنوات المضطربة التي خلّفها حكم والده. ولصرف اهتمام رعاياه بالمعضلات الداخلية أبحر شطر فرنسا وحاصر مدينة هارفلور. ثم زحف نحو كاليه بجيش أضعفه المرض، إلّا أن جيشًا فرنسياً يبلغ تعداده أربعة أضعاف جيشه صَدَّ زحفه.

وفي صباح ٢٥ تشرين الأول ١٤١٥ تجابه الجيشان. ولما بدأ الفرسان الفرنسيون المثقلون بالدروع والسلاح تَقَدُّمّهم امتلأ الجو فجأة بسهام الانكليز القاتلة. وكما جرى في معركة كريسي السنة ١٣٤٦، ومعركة بواتييه بعدها بعشر سنين، فإن الرماة الانكليز اثبتوا تفوّقهم على الفرسان الفرنسيين الذين سقط بعضهم في ساحة القتال، وانسحب الآخرون مهزومين.

وبموجب معاهدة تروى في السنة ١٤٢٠ عيِّن الملك هنري الخامس وصيّاً على عرش فرنسا، واقترن بكاترين، ابنة الملك الفرنسي.

١٤٢٧
الهوسيون يظهرون في بوهيميا

ولد دجون هوس حوالى السنة ١٣٧٠، وكان مصلحًا دينيّاً من بوهيميا. التحق بالسلك الكهنوتي، ثم أصبح في السنة ١٤٠٢ رئيسًا لجامعة براغ. وشرع في التبشير بنظريات مماثلة لنظريات ويكليف من قبله، واتهِم بالهرطقة، وكان قد تسنّى له أن يجمع حوله عددًا كبيرًا من الاتباع، فواصل نشر أفكاره على رغم رميه بالحرم.

وفي السنة ١٤١٢ انسحب من العمل الفعلي لوضع قطعته الموسيقية «دو إكليزيا»، وبعد سنوات ثلاث، وعلى الرغم من وعده بعدم التعرّض له، فقد أُلقي القبض عليه أثناء حضوره مجمعًا كنسيّاً، وأُحرق بتهمة الهرطقة.

وقد جعل استشهادُهُ أتباعه أكثر تمسكًا بأفكاره، فشنّوا طوال سنين الحرب على الامبراطور سيجيزموند (١٣٦٨ - ١٤٣٧) المسؤول عن موت هوس، وانتصروا عليه في عدد من المعارك منها أوسيس، وتاخاو، في المانيا. وقد عُقد الصلح في السنة ١٤٣١، من قبل حزبٍ واحدٍ من الحزبين الهوسيين، ولم ينسج الحزبُ الآخر على هذا المنوال إلا بعد مرور بضع سنين.

١٤٣١
احراق جانّ - دارك

كانت حرب المائة سنة التي بدأت السنة ١٣٣٨ تقارب نهايتها، وكان هنري الخامس الملك الانكليزي والمحارب الكبير قد رحل عن هذا العالم في السنة ١٤٢٢، ولحق به بعد بضعة أشهر ملكُ فرنسا شارل السادس. وكان يحكم فرنسا إذ ذاك المستشارون الذين دبت بينهم الغيرة والحسد، فضلاً عن وجود جيش ضعيف المعنويات.

وفجأة تقدمت إلى القصر الملكي صبيةٌ فلاحة، آتيةٌ من قرية صغيرة في مقاطعة اللورين، وادّعت أنها سمعت أصواتًا سماوية تطلب إليها الذهاب إلى أورليان لتحريرها من الانكليز الذين يحاصرونها. ومع أن معظم النبلاء سخروا منها، إلا أن الجيش تبعها إلى المعركة بعد أن دبّت فيه الحماسة بفضل شجاعتها. وطردت الانكليز من أورليان، ووقفت بجانب ولي العهد الذي تُوِّج باسم شارل السابع في كاتدرائية رانس.

وعلى الرغم من أنها وقعت فيما بعد ضحية الخيانة، وسُلِّمت إلى الانكليز،

ووجدت متهمة بالشعوذة والهرطقة، وأُحرقت عقابًا لها، فقد أسهمت في توحيد فرنسا، تاركة وراءها رمزًا للأمل والشجاعة.



جانّ ـ دارك، تُتهم بالهرطقة، وتُحرق حية.

١٤٣٤
فان آيك والرسمُ الواقعي

في القرن الخامس عشر، وعبر أعمال الرسام يان فان آيك (حوالى ١٣٨٥ - ١٤٤١)، ارتـدى فن الرسم الفلمنكي شكلًا واقعيًا جديدًا بطريقة عفوية؛ وتمثّل لوحة «جيوفاني ارنولفيني وزوجته» اهتمام فان آيك بالتفاصيل والملاحظة السيكولوجية. ومن لوحات هذا الرسام الكبير التي تُعتبر من روائع الفن الفلمنكي هناك لوحتا «عبادة الحَمَل» و «البشارة».

١٤٣٤
ظهور آل ميدتشي

ظهر اسم ميدتشي للمرة الأولى في تاريخ فلورنسا في القرن الثاني عشر، إلّا أن من ينبغي أن يُعتبر مؤسس ثروة هذه الأسرة الطائلة هو جيوفاني دي ميدتشي (١٣٦٠ - ١٤٢٩). كان في الأصل تاجرًا، وأوجد ثروة أسرته بفضل عدد من المصارف التي فتحها في ايطاليا، وفي سواها من البلدان.

ولدى وفاته تقاسم تجارته وأعماله أبناه لورنتسو وكوزيمو (١٣٨٩ - ١٤٦٤). ولما نفي خصوم كوزيمو، بات في الواقع، وليس بالاسم، حاكم فلورنسا السنة ١٤٣٤. ولم يكن تاجرًا لامعًا وحسب، بل سياسيًا داهية. وقـد ألحَّ على أن يُعتبر مواطنًا عاديًا، ورفض قبول أي منصب عام. إلّا أنّه بثروته، ونفوذه، وعلاقاته، كان بالفعل الحاكم المطلق لبلد جمهوري إلى أبعد الحدود.

وكان كوزيمو راعيًا كبيرًا للفنون، وعمرانيًا، ترك الكثير من القصور والكنائس والفيلات الرائعة. وأنقذ مخطوطات يونانية ولاتينية لا تُقدَّر بثمن

لتُفيد منها الأجيال، وافتتح المكتبات العامة حيث يستطيع الطلاب والباحثون الانصراف إلى الدراسة.

وتوفي السنة ١٤٦٩ تاركًا ولديه لورنتسو وجيوليانو لمواصلة أعمال آل ميدتشي ومضاعفة ثروتهم.

١٤٣٧
هنري البحّار يؤسس معهداً بحرياً

كان الأمير هنري (١٣٩٤ ـ ١٤٦٠) ابن خوان، ملك البرتغال، وفيليبيا، ابنة دجون اوف غونت الانكليزي. اكتسب في البدء شهرته كجندي شجاع، ولكنه أثناء حربه في أفريقيا راح يهتم بالقارة الأوروبية، وتثير اهتمامَه احتمالات وجودِ أراضٍ مجهولة وراءها. فلما عاد إلى البرتغال السنة ١٤٣٧ أسس معهدًا بحرياً في مدينة ساغريس يستطيع فيه الشبان دراسة شؤون الملاحة والرياضيات، والتدرّب على رسم الخرائط.



الأمير هنري البحّار.

ثم راح يوفد الحملات التي كان من شأنها أن تكتشف، مع مرور الزمن، جزر الآزور، وماديرا، وجزر الكناري. وقد دار حول الرأس الأخضر الرحالة البرتغالي برنيل دياز السنة ١٤٤٥، واستكشف ألفارو فرنانديز بعده بسنة الساحل الافريقي حتى سييراليونـي، وكان أحد طلابه السابقين برتولوميو دياز، أول أوروبي يدور حول رأس الرجاء الصالح السنة ١٤٨٨.

١٤٣٢
ألبرت يصبح رأس الامبراطورية الرومانية المقدسة

استمدت أسرة هابسبورغ الامبراطورية النمساوية اسمها من القصر الذي غاشت فيه بالقرب من نقطة اتصال نهري الرون وآر. وكان مؤسس هذه السلالة ألبرت، كونت هابسبورغ، الذي جعل، مع ابنه، هذه الأسرة الأقوى والأبعد نفوذًا في شفابيا.

وفي السنة ١٢٧٣، أصبح رودولف هابسبورغ ملكًا علـى المـانيـا، ورأس الامبراطورية الرومانية بعد أن انتزع كلاً من النمسا العليا والسفلى، وشتيريا، وكارينولا من الملك أوتوكار البوهيمي. وضاعف ذلك سلطات هذه الأسرة.

وفي السنة ١٣٥٦ أصدر الامبراطور شارل الرابع إرادة امبراطورية تُعرف باسم «الارادة الامبراطورية الذهبية»، تجعل العرش الامبراطوري منصبًا انتخابيًا، فيُختار الأباطرة بالاقتراع بغالبية الأصوات، من قِبَلِ سبعة من الأمراء الألمان المؤهلين لاختيار رأس الامبراطورية الرومانية. ومع ذلك في السنة ١٤٣٨ أصبح ألبرت، ارشيدوق النمسا، وهو من آل هابسبورغ أيضًا، امبراطورًا. ومع أن السلطة الامبراطورية بقيت انتخابية، إلا أنها كانت تمر دائمًا من أمير إلى آخر من أسرة هابسبورغ. وقد ظلت محصورة بها حتى نهاية الامبراطورية نفسها السنة ١٨٠٦.

١٤٤٨
فرا انجيليكو يرسم لوحات الفاتيكان الجصية

الرسام الايطالي غيدو دا فيوسوله (١٣٨٧ ـ ١٤٥٥) دخل الدير فسمِّيَ فرا ـ ومعناها «الأب»، وانجيليكو ـ وتعني الملائكي ـ نظرًا لطبيعته المحببة، وتواضعه. وقد انتج الكثير من الأعمال الفنية الرائعة في روما، والفاتيكان ـ في كنيسة القديس نقولا ـ كما رسم لوحات جصيّة في كل من فلورنسا واروفيتيو، وسواها من المدن الايطالية.

١٤٥٣
العثمانيون يحتلون القسطنطينية

في السنة ١٤٥٣ تربّع على عرش سلاطين بني عثمان السلطان الجديد محمد الثاني الذي صمم على احتلال القسطنطينية. فدرّب جيشًا من المحاربين والانكشارية ـ أو الجنود الجدد ـ واستقدم مهندسًا مجريًا كلّفه صنع مدافع برهنت على أنها كانت أكبر المدافع التي عرفها العالم، حتى ذلك الحين. وكان أحدُها بطول حوالي ثمانية أمتار، ويُطلق قنبلة زنتها ٥٤٥ كيلوغرامًا. وما هما الا سنتان حتى بات على أتم الاستعداد. وفي نيسان أصبحت قواته العسكرية متأهبة للهجوم.

داخل جدران القسطنطينية كانت الحامية قد ضَعُفَتْ وافتقرت، ولا يسعها أن تدفع إلى المعركة بأكثر من سبعة آلاف رجل، في حين كان قوام جيش السلطان العثماني أكثر من ثمانين ألفًا.

وراحت المدافع التركية الضخمة تضربُ دون هوادة على مدى ستة أسابيع دون توقّف. وصمدت الحامية، وحارب جنودها ببسالة، فكانوا يسدّون



السلطان محمد الثاني الذي استولى على القسطنطينية.

الثغرات في الأسوار، ويصدّون الهجمات الواحدة بعد الأخرى. غير أن النهاية كانت محتومة. وكان الهجوم العنيف الأخير في ٢٩ أيار ١٤٥٣، فراحت

موجات الجنود العثمانيين، تتدفق إلى داخل المدينة، فمات الامبراطور قسطنطين الحادي عشر ميتة الأبطال، ومع هبوط الليل كانت القسطنطينية قد سقطت بأيدي مهاجميها. وكان احتلالها نقطة تحوُّل في التاريخ، ذلك بأن علماءها ومفكريها كانوا قد هربوا حاملين معهم مخطوطاتهم، ووثائقهم لينشروا اهتمامًا جديدًا بالمعرفة عبر أرجاء أوروبا الغربية.

١٤٥٤
غوتنبرغ يبتكر الطباعة بالأحرف المتحركة

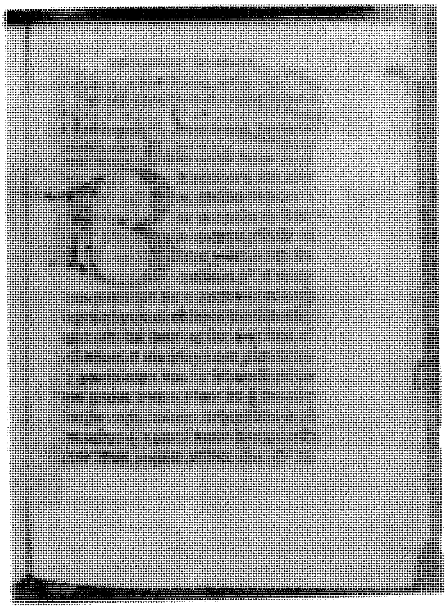
لا ريب أن الطباعة هي أعظم اختراع عرفته البشرية. وقد كان القرن الخامس عشر حقًا عصرًا عظيمًا. كانت الرغبة في التزود بالمعرفة تجيش في الصدور، فيلبيها الرهبان والكتبة الناسخون بتوفير هذه المعرفة بواسطة النَّسْخ واصدار الكتب البدائية، وذلك ببطء شديد، فضلًا عن أنها كانت كتبًا ضخمة جدًا، ومحدودة الانتشار، الأمر الذي حدا البعض إلى التفكير في وسيلة أفضل لصناعة الكتاب.

ويقال إن أول من اخترع الطباعة بالحروف المتحركة امرؤ هولندي، من مدينة هارلم، يدعى لورنس يانسن كوستر، وكان صاحب نُزُل.

أما مايانز، المدينة الألمانية الواقعة على نهر الراين، فتدّعي أنها مهد الطباعة لأن مخترعها غوتنبرغ هو أحد أبنائها. وقد أقامت السنة ١٩٠٠ مهرجانًا كبيرًا لتكريم غوتنبرغ، ولإثبات حقها في هذا الاختراع العظيم الذي قلب الأوضاع رأسًا على عقب.

ليس ثمة ادنى شك في أن الطباعة قد حُسِّنت في مايانز، وانه كان لغوتنبرغ اليد الطولى في ذلك، وأن غوتنبرغ كان شخصاً حقيقيّاً، عاش وتنقّل بين مايانز وستراسبورغ.

فقد عرض غوتنبرغ على أصدقائه صباح ذلك اليوم ٢٣ شباط ١٤٥٤ حروفًا مصنوعة من الرصاص، وراح يجمع منها كلمات كان يضعها الواحدة بعد الأخرى، بحيث تتوفر له صفحة مكتوبة. ومن ثم حبّر الحروف بحبر من صنعه، ووضع قصاصة ورق تحت مكبس، فلما سحب الورقة كانت الجمل والعبارات قد انطبعت عليها مقروءة بوضوح وجلاء... وهكذا أبصرت النور الطباعة الحديثة. وستبقى الحروف المتحركة إلى الأبد وإلى الحد الذي تحتمله الحضارة.



صفحة من توراة غوتنبرغ.

وقد اجتيحت مايانز السنة ١٤٦٢، فهرب عدد من الطابعين إلى مدن أخرى. وفي غضون خمسين سنة انتشرت الطباعة في أكثر من مئتي مكان في أوروبا، وباتت الكتب والكراريس أكثر توفرًا لأعداد أكبر من البشر.

١٤٥٥
ألفونسو يصبح البابا كاليكستوس الثالث

كان بورجيا اسم الأسرة النبيلة القديمة التي جاءت في الأصل من اسبانيا ومن مقاطعة فالنسيا، وهبطت ايطاليا السنة ١٤٤٣. وقد حققت شهرة عريضة، وباتت ذات نفوذ كبير في القرن الخامس عشر.

وفي السنة ١٤٥٥ بات الاسقف ألفونسو بورجيا (١٣٧٨ - ١٤٥٨) البابا

كاليكستوس الثالث. وقد عيَّن ابن أخيه رودريغو (١٤٥١ - ١٥٠٣) كاردينالاً، اعتلى السدة البابوية السنة ١٤٩٢ باسم البابا الكسندر السادس.

أما ابعد آل بورجيا قوة ونفوذاً فكان سيزاري بورجيا (١٤٧٦ - ١٥٠٧)، ابن الكسندر الذي مارس السلطان الملكي، وادار مقدّرات بلاده في ذلك الزمان. وكانت شقيقته لوكريتسيا، (١٤٨٠ - ١٥١٩) من أفراد الأسرة الذين اشتهروا أيضًا، وقد اتُهمت بشتى أنواع الشرور، بما في ذلك الاغتيال ودس السُمّ. ولكنها في أواخر حياتها أصبحت راعية للفنون والمعرفة ونصيرة الأعمال الخيرية.

١٤٥٥
حروب الوردتين

ان أسوأ الحروب الأهلية التي عرفتها بريطانيا عُرفت باسم « حروب الوردتين » التي بدأت السنة ١٤٥٥ ودامت حتى السنة ١٤٨٥. وقد سمِّيت كذلك لأن كلّاً من الجانبين المتخاصمين كان شعاره وردة: جماعة يورك كانت وردتهم بيضاء، وجماعة لانكستر كانت وردتهم حمراء. وقد نشبت هذه الحروب عندما أُصيب الملك هنري السادس (١٤٢١ - ١٤٧١) بالجنون، وادّعى رتشارد، دوق يورك حقه بالعرش.

وأعقب ذلك عدد من المعارك، كانت أولاها معركة سنت اولبانز السنة ١٤٥٥، تخللتها فترات من الهدنة بين الفريقين المتحاربين. وفي معركة نورثمبتون السنة ١٤٦٠ أُسر هنري في ويكفيلد في السنة التي تلت، وقُتل يورك. وهُزم اللانكستريون في توتون في السنة نفسها، وبدا موقفهم يائسًا حتى بدّل ولاءه ايرل اوف وورويك القوي الذي كان يُعرف بلقب « صانع الملوك »، فانحاز إلى اللانكستريين بعد أن كان حتى ذلك الحين يوركيّاً.

وأُطلق سراح هنري من السجن، واعيد إلى العرش مجددًا، ولكن اللانكستريين هُزموا في بارنيت السنة ١٤٧١، حيث قُتل وورويك. ووضعت معركة تيوكسبيري ادوارد على العرش بثبات وهو ابن يورك، ملكًا باسم ادوارد الرابع، وقد خلفه رتشارد الثالث بعد أن توفي ادوارد الخامس ابن الملك السابق بطريقة غامضة في برج لندن. وحكم رتشارد مدة سنتين فقط، وقضى في ساحة القتال في بوسويرث حيث كان يحارب أميرًا من أسرة تيودر، الذي أصبح فيما بعد الملك هنري السابع (١٤٥٧ - ١٥٥٩).

١٤٦٠
نشوء مسرح «نو» الياباني

حوالى منتصف القرن الخامس عشر، نشأ في اليابان طراز من التمثيل والموسيقى ما يزال إلى يومنا هذا يُشاهد على المسارح اليابانية دون أن يطرأ عليه أي تبديل. ومنذ حوالى السنة ١٤٦٠ كانت اللغة والملابس والموسيقى، كما ظهرت في البدء. وتقترن المسرحية مع الموسيقى لتشكّل مسرح «نو».

تُقدَّم المسرحيات على مسرح مربَّع، والجمهور يجلس على الجوانب الثلاثة، بينما يؤدي الجانب الرابع إلى غرف الملابس. والممثلون جميعًا من الذكور، ويرتدي الممثل الرئيسي سلسلة متعاقبة من الأقنعة لإبراز أمزجته المتبدّلة التي تنعكس بحركات تقليدية بالمروحة. وتتألف الفرقة الموسيقية عادة من ثلاثة عازفين بالطبول، وعازف بالناي أو الفلوت. ويقوم كورس يتمركز في شرفة عليا بالتعليق على احداث المسرحية، في حين يرقص الممثلون، ويُنشدون بأسلوب رسمي وتقليدي.

١٤٦١

الشاعر فيّون يكتب «الوصية الكبيرة»

عاش الشاعر الفرنسي فرنسوى فيّون (١٤٣١ - حوالى ١٤٦٥) حياة مغامرات صاخبة، واختلف في شبابه إلى المجتمعات السيئة السمعة. وكادت أعماله الطائشة تقوده إلى أعواد المشنقة غير مرة. فلما قتل أحد رجال الدين، اضطُر إلى مغادرة باريس حيث كان وضع قصيدته «الوصية الصغيرة». وقد كتب فيما بعد قصيدته الحزينة «الوصية الكبيرة» التي يراجع فيها الشاعر حياته، وخيبات أمله، وندمه. وبفضل قصائده، وبخاصة «قصيدة المشنوقين» وتُعرف أيضًا بعنوان «شاهد قبر فيّون»، يبدو هذا الشاعر بقوة إلهامه، وصدق نبراته، في طليعة الشعراء الغنائيين الفرنسيين في العصر الحديث.

١٤٦٩

مالوري يكتب «وفاة آرثر»

كان عالَمُ الملك آرثر التاريخي الذي تميَّز بالإبهام قليل الشبه بالملاحم الشعرية الرائعة الكثيرة التي ظهرت في العصور الوسطى. أما ملحمة مالوري الكلاسيكية، فتقدّم أساطير الملك آرثر الكاملة مع فرسان المائدة المستديرة مرلن، ولانسيلوت، وغينيفير. وقد توفي السر توماس مالوري السنة ١٤٧١، ونشر ملحمته «موت الملك آرثر» للمرة الأولى الطابع الانكليزي الرائد وليام كاكستون.

١٤٦٩

لورنتسو العظيم يحكم فلورنسا

خلف كوزيمو دي ميدتشي أبناه لورنتسو وجيوليانو، وسرعان ما تبيَّن أن

صاحب الشخصية الأقوى كان لورنتسو، الذي تشاجر مع أسرة باتسي القوية أيضًا.

واتفق أن كان هذان الاخوان يحضران قدّاسًا في كاتدرائية فلورنسا، فهاجمهما بعض المجرمين، وطعنوا جيوليانو في ظهره، فخرّ صريعًا. وتمكن لورنتسو من الهرب، وجمع رجاله. والهجوم على قصر باتسي، وقد فتك ببعض خصومه وأعدائه بشنقهم في نوافذ القصر، ونفى البعض الآخر.

وما إن تخلّص لورنتسو من أسرة باتسي حتى غدا الرجل الأقوى في فلورنسا التي حكمها حتى مماته السنة ١٤٩٢، مع أنها كانت في الواقع جمهورية. وكان حكمه خيرًا وبركة عليها، إذ في عهده ازدهرت التجارة، والفن، وكان هو شخصيًا كاتبًا وشاعرًا.



وليام كاكستون يستقبل الملك ادوار الرابع داخل مطبعته.

١٤٧٦
كاكستون يؤسس مطبعته

تدرّب وليام كاكستون المولود في اقليم كِنْت، في الأصل، في لندن لدى أحد تجار الأقمشة، ولكنه في السنة ١٤٤١ رحل إلى القارة الأوروبية لدراسة فن الطباعة. وأسس في السنة ١٤٧٤ مطبعة في وستمنستر، فكانت أول مطبعة تُنشأ في بريطانيا، وفيها طبع ستة وتسعين كتابًا، بما في ذلك «حكايات كانتربري»، و«موت آرثر».

١٤٧٩
آراغون تتحد مع قشتالة

منذ السنة ٧١١ والعرب يواصلون التقدّم بغير انقطاع نحو جنوب اسبانيا، وكان يبدو أحيانًا انهم سيجتاحون البلاد بأسرها. وكان سبب ضعف اسبانيا، في الواقع، وفي معظم الأوقات، كونها أمة غير موحدة، بل عددًا من الممالك احتفظت باستقلالها في الجبال الشمالية. ذلك بأنه طوال مدة الثمانمائة سنة كان العرب يسيطرون على الجنوب، وكانت الممالك الرئيسية هي ممالك نافار، وقشتالة، وليون، وغاليسيا.

وحوالى منتصف القرن الثالث عشر، اتحدت كل من قشتالة وليون، بينما شكّل شرق اسبانيا مملكة آراغون. وفي السنة ١٤٦٩ تزوجت ايزابيلا، وارثة عرش قشتالة، فردينان، ابن ملك آراغون. ولدى وفاة الأب السنة ١٤٧٩ باتت آراغون وقشتالة مملكةً واحدةً قوية تحت ظل سلطان موحَّد، وقد اعتُرف آنذاك باسبانيا قوةً سياسية رئيسية في أوروبا.

١٤٨٠

محكمة التفتيش تصبح ناشطة في اسبانيا

تأسست محكمة التفتيش منذ القرن الثالث عشر، وكان مؤسسها البابا غريغوار التاسع في فرنسا بغية القضاء على الهرطقة، وكانت أصلاً تحت اشراف أعضاء الرهبنة الدومينيكانية. وأُولى محاكم التفتيش أُنشئت في مدينة طولوز. ومن فرنسا انتشر هذا النظام من المحاكمات فدخل ايطاليا، واسبانيا، وهولندا، والبرتغال، ثم انتقل فيما بعد إلى البلدان الكاثوليكية في العالم الجديد. وبلغت الذروة في سوء السمعة خلال القرن الخامس عشر في اسبانيا حيث كان يرئس المحكمة مفتش عام، ولعل أسوأ المتفشين العامّين الذين عرفهم تاريخها كان في سنة ١٤٨٣، توماس دو تـوركويمادا (١٤٢٠ - ١٤٩٨)، الذي شملت سلطته كل شبه الجزيرة الايبيرية، واشتهر بقسوته وتعصّبه الشديدين.

وكان المتهم يُستجوب في جلسات سرية، وغالبًا ما كان يجهل من ألصق به تهمة الهرطقة؛ وكان يُنزل به أبشع أنواع العذاب لانتزاع «الحقيقة» منه.

١٤٨٤

لوحة مولد فينوس لبوتيتشيللي

ساندرو بوتيتشيللي (١٤٤٨ - ١٥١٠) هو ابن دبّاغ، أبصر النور في فلورنسا، وحصل على وظيفة في محترف الرسام فرا فيليبو ليبي، وما لبث أن برهن عن تفوّقه على أستاذه المشهور، وحاز شهرة واسعة. وتوضع لوحاته بين أجمل اللوحات الفنية في العالم، وهي تضم «مولد فينوس»، و«عبادة المجوس»، و«العذراء ذات التفاحة».

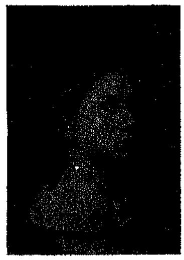
١٤٨٧
مطالبون بعرش انكلترا

ارتقى هنري السابع (١٤٥٧ ـ ١٥٠٩) العرش بعد معركة سهل بوسويرت التي جرت السنة ١٤٨٥، وقد حكم انكلترا طوال أربع عشرة سنة. وكان من أسرة لانكستر، وحقه في العرش غامض نوعًا ما، ويقوم على كون أمه من ذُرّية دجون اوف غونت. وكان ثمة حتمًا عددٌ من المطالبين بعرش انكلترا، واشهرهم اثنان هما لامبرت سيمنل (حوالى ١٤٧٧ ـ حوالى ١٥٣٤)، وپركن وورويك (حوالى ١٤٧٤ ـ ١٤٩٩).

ادعى سيمنل انه الايرل اوف وورويك، ابن صانع الملوك، وتوِّج في دبلن باسم الملك ادوارد السادس (١٤٨٧). ولكن سرعان ما سدَّد إليه هنري ضربة قاسية، ولكي يُظهرَ احتقارَه له جعله مساعدًا للطاهي في المطبخ الملكي، مهمته الرئيسية غسل الأطباق. ولكن وورويك (١٤٩٢) كان مطالبًا بالعرش اكثر خطرًا، فعومل معاملة حسنة في البدء، ولكنه لما قام بمحاولة أخرى السنة ١٤٩٩، حكم عليه هنري بالموت.

١٤٩٠
دورر: «محفورات الرؤيا»

لعل ألبريشت دورر (١٤٧١ ـ ١٥٢٨) كان أعظم فنّاني عصر النهضة في شمال أوروبا. وكانت موهبته الكبرى في التصوير، أكثر منها في الرسم، وقد خلّد حقًا بمحفوراته، والخمسة عشر رُوْسمًا خشبيًّا بعنوان «الرؤيا» التي نُشرت في كتاب السنة ١٤٩٨. وهي تُظهر التأثير القوي للفن القوطي في موطنه المانيا. أما أعمال دورر الفنية اللاحقة، فقد تأثرت كثيرًا بأفكار النهضة الايطالية.



هذه اللوحة معروضة
في متحف اللوفــر،
في باريس.



دورر، بريشته

١٤٩٢
كولومبس يكتشف جزر الهند الغربية

في السنة ١٤٩٢ أبحر كولومبس (حوالى ١٤٥١ - ١٥٠٦) القبطان البحري الايطالي في خدمة اسبانيا، عبر المحيط الأطلسي على ظهر سفينة لا يزيد حجمها على أي يخت حديث من يخوت السباق. وكان أول رجل يجتــاز «بحر الظلمة الأخضر» ـ كما كان العرب يسمون المحيط الأطلسي المجهول. ولم يكن البحارة حتى ذلك الزمان قد أبحروا طوعًا وعن طيب خاطر إلى أماكن لا تُرى من اليابسة، ولكن كولومبس كان يقامر ويغامر مغامرة خطرة حقًا.

وعلى نقيض معظم الناس في ذلك الحين، كان كولومبس يعرف أن الأرض مستديرة، وحَسِبَ انه بإبحاره باتجاه الغرب سيجد طريقًا تجارية ذات قيمة تؤدي إلى ثروات الشرق الأقصى، وكانت خطة جيدة، لولا تفصيلين اثنين:

أولاً، اعتقد كولومبس ان العالم اصغر مما هو حقًا. وثانيًا لم يعرف ـ ولم يكن بوسعه أن يعرف ـ ان قارتَي أميركا الشمالية والجنوبية الكبيرتين تقعان في طريقه. لذا، عندما أبصر اليابسة، بعد عشرة أسابيع من بدء رحلته

الاستكشافية، حسب أنه بلغ الأجزاء النائية من آسيا، وأطلق على الجزر التي اكتشفها اسم جزر الهند الغربية.

وقام كولومبس بثلاث رحلات أخرى إلى جزر الهند الغربية، وهو ما يزال يأمل ان تكون جزءاً من آسيا. وتوفي السنة ١٥٠٦ دون أن يدري أن الاسبان الذين تبعوه إلى العالم الجديد سيكتشفون عما قريب ثروات أعظم كثيرًا من تلك التي تأمل أن يكتشفها في آسيا.

١٤٩٧
دجون كابوت يكتشف نيوفاوندلاند

مثل كولومبس، كان كابوت بحّاراً ايطاليّاً في خدمة دولة أجنبية، وفي حين كان كولومبس يحاول الحصول على العون في اسبانيا لتمويل رحلته الاستكشافية، كان كابوت يقوم بالعمل نفسه في انكلترا. ولعل نبأ نجاح رحلة كولومبس كان صدمة قوية له. ولكنه في السنة ١٤٩٧ حصل على مساندة الملك هنري السابع، وأبحر من بريستول على متن السفينة «ماثيو» حاملًا معه ابنه سيباستيان الذي أصبح فيما بعد مستكشفًا كبيرًا.

وتبع كابوت طريقًا بحريّاً شماليّاً أكثر من ذاك الذي سلكه كولومبس، فكانت رحلته أكثر خشونة وصعوبة. فلما بدأت المياه التي كان يحملها تشحّ، والطعام ينفد، شاهد اليابسة فأسماها كابوت: نيوفاوندلاند ـ «الأرض الجديدة المكتشفة» ـ وقد احتفظت إلى اليوم باسمها هذا.

وخاب أمل انكلترا باكتشاف كابوت. ومع أن المصايد كانت وفيرة، إلّا أنه لم يكن في تلك البقاع، لا ذهب، ولا حرير، ولا بهارات. وعلى نقيض الاسبان الذين كانوا يبنون امبراطورية في أميركا الوسطى والجنوبية، فقد

انتظر الانكليز أكثر من مائة سنة قبل أن ينشئوا مستعمراتهم في أميركا الشمالية.

١٤٩٨
المصلح سافونارولا


جيرولامو سافونارولا

كان جيرولامو سافونارولا (١٤٥٢ - ١٤٩٨) راهباً ايطاليّاً حاول اصلاح شؤون السياسة والدين في فلورنسا. كان مبشرًا يشدّ مستمعيه إليه، كما السحر، فهاجم شرور الطبقة الحاكمة ومفاسدها، حتى انه لم يوفّر في تهجماته خصومه الأقوياء بمن فيهم البابا، وامراء آل ميدتشي، الذين كانوا يحكمون فلورنسا. ولم يكن يخشى أحدًا، كما لم يكن ليبالي بفقد شهرته بسبب تصرّفاته. فلما غزا الملك شارل السابع الفرنسي (١٤٧٠ - ١٤٩٨) ايطاليا استقبله سافونارولا على أنه اداة الله لإنزال العقاب بالايطاليين بسبب شرورهم وخطاياهم.

واحدث الغزوُ ثورةً ضد آل ميدتشي في فلورنسا، وبات سافونارولا الحاكم الحقيقي للمدينة، وحوّل هذه المدينة التي اشتهرت بحبها اللهو مدينةً على جانب كبير من الرصانة، يُنشد اهلوها المزامير بدلاً من انصرافهم إلى العربدة والقصف. ومنَحها أيضًا الكثير من القوانين الحكيمة، وكان حكمه

قاسيًا متشددًا، ولسانه مرّاً. واعتقادًا منه أنه ملهَمٌ من الله تعالى، لم يكن ليتساهل في أي نقد يوجّه إليه، حتى انتهى به الأمر إلى أن تحوّل عنه الناس العاديون الذين خاض من أجلهم ذلك الصراع، وانقلبوا عليه متناسين معاركه. وزُجَّ به في السجن، وسيمَ صنوف العذاب، وأُعدم شنقًا وحرقًا فوق صليب في الساحة العامة في فلورنسا.

١٤٩٨
ايرازموس يزور اوكسفورد

كان العالِم والباحث الهولندي ديزيديريوس ايرازموس روتيرودامـوس (١٤٦٦ - ١٥٣٦)، مَثَلُه سافونارولا ناقدًا قاسيًا وعنيفًا. هاجم الجهل والخرافات والطمع، ومهّدت كتاباته، وخصوصًا ترجمته «العهد الجديد» من الكتاب المقدس، الطريق أمام الاصلاح الذي قام به من بعد الألماني مارتن لوثر، وآخرون.

لم يعتنق ايرازموس قط شخصياً العقيدة البروتستانتية الجديدة مع أنه عاش قرابة عشرين سنة مع لوثر نفسه، وهو الذي علّق حججه الشهيرة على باب كنيسة فيتنبرغ. فقد اتّهم المصلحين بأنهم متصلبون وضيقو الأفق والتفكير، مثلهُم في ذلك مَثَلُ رجال الكنيسة الذين هاجموهم.

وزار ايرازموس الكثير من مراكز العلم والمعرفة عبر أرجاء أوروبا الغربية. وكان امرأً حكيمًا، ولطيفًا، وقد جمع الكثير من الأصدقاء في أوساط العلماء والباحثين في مختلف البلدان. وفي السنة ١٤٩٨ قام بزيارة انكلترا، ولكنه رفض عرضًا للتدريس في أوكسفورد. وفي زيارة لاحقة أقام في منزل صديقه توماس مور، وهناك وضع كتابه الشهير «مَدْحُ الجنون» السنة ١٥٠٩.

١٤٩٩
فاسكو دو غاما يبلغ الهند

كان البرتغاليون، أعظم البحّارة في القرن الخامس عشر، أول من بحث عن طريق تجارية إلى آسيا. وقد سلكوا طريقًا إلى الجنوب، على طول الساحل الافريقي. وطوال سنين عدة كانت السفن البرتغالية تغامر بالتوغل أكثر فأكثر جنوبًا، وتدور حول نتوء غرب افريقيا الكبير، فإذا بها ترى أن الساحل يستدير جنوبًا من جديد. واجتاز لوبو غونثالفيز خط الاستواء، واكتشف ديوغو كاو زئير، وأخيرًا عبر بارتولوميو دياز رأس افريقيا الجنوبية السنة ١٤٨٨.

وما هي إلا تسع سنوات حتى أنجز هذا العمل البحّار والمستكشف فاسكو دو غاما. غادر لشبونه بأربع سفن في تموز ١٤٩٧، فأبحر جنوبًا عبر المحيط الأطلسي، فوفّر في الوقت بعدم اتّباعه الساحل. وبعد أن دار حول الرأس المعروف بالكايب، أبحر صعدًا على الساحل الشرقي لجنوب أفريقيا، وزار المدن الغنية التي أنشأها التجار العرب من موزامبيك حتى مومباسا. ومن ساحل كينيا عبر إلى المحيط الهندي، وفي نيسان ١٤٩٩، نزل إلى اليابسة في الهند، في ميناء كاليكوت التجاري.

ومع أنها كانت رحلة طويلة، فإن الكثير من السفن البرتغالية ما لبثت أن سلكت الطريق التي سلكها الرائد فاسكو دو غاما، وأسست مراكز تجارية برتغالية، وفيما بعد، مستعمرات في افريقيا الشرقية، وعلى الساحل الغربي للهند. وأضحت غووا مستعمرة البرتغال الرئيسية، وبقيت تحت السيطرة البرتغالية حتى استولت عليها الهند السنة ١٩٦١.

١٤٩٩
رحلة آميريغو فسبوتشي إلى أميركا

بعد كولومبس، أبحر الكثيرون من القباطنة البحريين عبر المحيط الأطلسي في



أميريغو فسبوتشي

رحلات استكشافية. وكانت إحدى أهمها رحلة آميريغو فسبوتشي، وآلونزو اوجيدا السنة ١٤٩٩.

كان فسبوتشي تاجرًا ايطاليًا استقرّ في ميناء اشبيلية الاسباني السنة ١٤٩٢، وربما وظّف أموالًا في رحلة كولومبس الثانية السنة ١٤٩٢. وكان عضوًا في حملة استكشافية اكتشفت ساحل أميركا الوسطى السنة ١٤٩٧. وفي السنة ١٤٩٩ - ١٥٠٠ استكشف مع أوجيدا مئات الأميال من السواحل الشمالية في أميركا الجنوبية. وفي رحلة لاحقة السنة ١٥٠٣ ابحر فسبوتشي أبعد إلى الجنوب، على طول ساحل البرازيل.

وكان آميريغو فسبوتشي أول من عرف أن كولومبس قد اكتشف

« عالمًا جديدًا » ضخمًا، منفصلًا تمامًا عن أية قارة معروفة. أما اسمه فلن يُنسى أبدًا لأن العالم الجديد هذا سُمِّيَ على اسمه « أميركا ».

١٥٠٢
تأسيس سلالة الصَفَويّين

بنو صَفَوي، أو الصَفَويّون، سلالةٌ من سلالات ملوك فارس بعد الفتح الاسلامي، ومؤسسها هو الشاه اسماعيل صفوي في أواخر القرن الخامس عشر، وقد دام حكم هذه السلالة من أوائل القرن السادس عشر حتى منتصف القرن الثامن عشر. وأبرز ملوكها وأقدرهم كان عباس الأول الملقب بالكبير (١٥٨٦ - ١٦٢٨)، الذي أحسن سياسة البلاد. وقد خاض عددًا من المعارك التي حالفه فيها النصر، واستولى على جزيرة هرمز من البرتغاليين، وشيّد المساجد والجسور والمباني الرائعة، وشجع التجارة والعلم والفنون، وبخاصة فن صناعة السجاد. إلّا أنه سمل عيون أبنائه خِشْية أن يصبحوا خصومه.

أما الحكام الذين خلفوه، ويلقّبون بالشاه، فلم ينجحوا النجاح الذي حققه عباس الأول، وما عتمت هجمات الأفغان، والأتراك، والروس، وسائر الأعداء القدامى ان حملت الفوضى إلى فارس. وكان آخر ملوك الصفويين الشاه طهماست الثاني، وقد توفي صغيرًا، السنة ١٧٣٦.

١٥٠٤
الرسام رافاييل ولوحة « زفاف العذراء »

كان رافاييل (١٥٨٣ - ١٥٢٠) أحد أعظم رسامي عصر النهضة الايطالية. انجز لوحته « زفاف العذراء » السنة ١٥٠٤، وهي تشكل نقطة تحوّل في حياته.

ففي تلك السنة ذهب إلى فلورنسا حيث تأثر بليوناردو دا فنتشي، وميكيل انجيلو. وبعدها بأربع سنوات انتقل إلى روما حيث أقام حتى وفاته، منتجًا بمساعدة عدد من المعاونين أعمالًا كثيرة من الرسوم واللوحات للبابا يوليوس الثاني.

١٥٠٤
جيورجيوني ولوحة «العذراء»

مثل بيلليني وتيسيانو، كان جيورجيوني (حوالى ١٤٧٨ - ١٥١١) من أعظم الرسامين في عهد النهضة، في مدينة البندقية ـ أو فينيسيا. وهو صاحب الأثر، جزئيًا، في الألوان التي تتميز بها اللوحات الفينيسية، فضلًا عن الاختيار الحر للموضوعات. إلا أننا لا نعرف الكثير عن حياته، باستثناء وفاته بسبب داء الطاعون في مستهل العقد الثالث من عمره. ولا يقترن باسمه سوى خمس لوحات أو ست فقط منها لوحة «العذراء» التي رسمها السنة ١٥٠٤.

١٥٠٤
ليوناردو دا فنتشي: الموناليزا

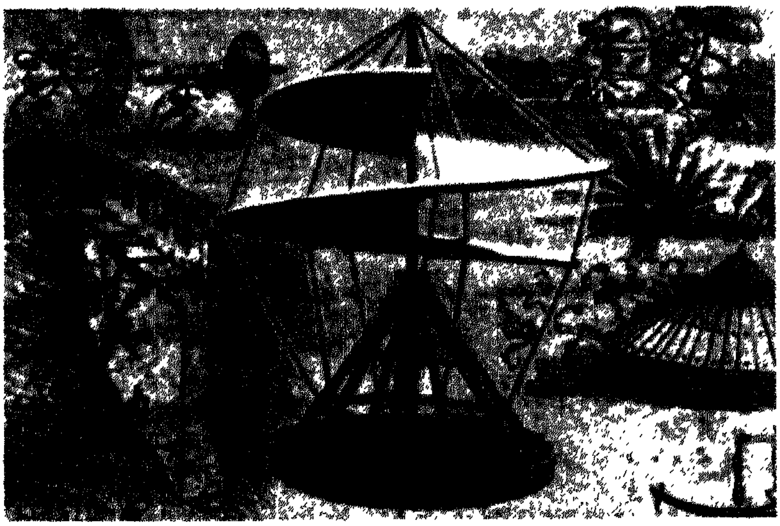
إن أشهر لوحة فنية في العالم تتدلى من على أحد جدران متحف اللوفر في باريس. إنها رسم امرأة صبية ترتسم على شفتيها ابتسامةٌ خفيفة، صنعها الرسام ليوناردو دا فنتشي (١٤٥٢ - ١٥١٩). للوهلة الأولى تبدو للناظر أنها لوحة بسيطة، ولكن لدى التدقيق وإمعان النظر في ملامحها يبدو غريبًا جدًا سرُّ ملامح هذه المرأة. ويصعب التصور كيف استطاع ليوناردو أن يترك مثل هذا التأثير بالألوان على صفحة مسطحة. ومن سوء الطالع أن لوحات قليلة من صنع

ليوناردو خلدت، ربما لأنه كان يقوم باستمرار باختبار موادّ جديدة لم تكن تدوم، من جهة، ومن الجهة الأخرى لأنه على ما يبدو، ترك أعمالًا كثيرة غير منجزة.





ليوناردو دا فنشي،
مقتطفات من متحف
[illegible]
[illegible]
على التشريح والميكانيكا [illegible] كما،
واختراعات [illegible]



كان دا فنتشي حقًا « رجل عصر النهضة »، وقد صرف اهتمامه إلى كل شيء، فمرةً صنع أسدًا ميكانيكيًا لإحدى المسرحيات، وصمم ملابس الممثلين أيضًا. وكان رأسه يضجّ بالأفكار. ومفكرته ملأى بالرسوم والمخططات المتعلقة بآلات حربية، وتصميم غواصة، وجهاز طائر. وقليل من ذلك صُنع، وربما كان يمكن ألّا تعمل فيما لو صُنعت. ولكن يبقى أن ليوناردو كان حقًا عبقريًا مبتكرًا، يسبق عصره بأشواط كثيرة.

أمضى ليوناردو حياته الأولى في فلورنسا، ثم انتقل فيما بعد إلى ميلانو حيث كان يقيم عدد قليل من الرسامين المنافسين. توفرت له فرص طيبة لدراسة الرياضيات. وقضى سنواته الأخيرة في فرنسا حيث كان ينعم بالحظوة لدى مليكها فرنسوى الأول، أحد رعاة الفنون المعدودين.

١٥٠٥
أول كتاب عربي يُطبع في أوروبا

من الثابت تاريخيًا ان أول أبجدية عربية كاملة ظهرت مطبوعة في كتاب من كتب الرحلات وضعه برناردو برايدنبوخ باللاتينية، وصف فيه رحلة له إلى الأراضي المقدسة في فلسطين بعنوان « رحلة إلى ما وراء البحار لزيارة القبر المقدس في مدينة القدس ». وقد أرفق بهذه الأبجدية طريقة النطق بها بحروف لاتينية. ويضمّ هذا الكتاب خريطة لمدينة القدس.

إلا أنه لم يُطبع كتابٌ عربي في أوروبا إلا في ٢ شباط ١٥٠٥، وتم ذلك على يد الملك الاسباني فردينان وزوجته الملكة ايزابيلا الشهيرة التي كان لها الفضل الأكبر في تجهيز حملة البحّار الجنوي الايطالي كريستوف كولومبس الاستكشافية البحرية التي أسفرت عن اكتشاف العالم الجديد. فقد راح هذان الملكان يعملان على دعوة الاندلسيين إلى النصرانية، فكلّفا جماعة من

المبشرين القيام بهذه المهمة، وظهرت الحاجة إذ ذاك إلى استعمال اللغة العربية لبلوغ الغاية المنشودة.

وكلّف مطران غرناطة الجديد رجلاً من مدينة سلامنكا الجامعية أن يطبع له كتابين وُضِعا للمبشرين الذين يجهلون اللغة العربية. فصدرا في غرناطة أحدهما في ٢ شباط ١٥٠٥ والثاني في السنة نفسها. وكان عنوان الأول «وسائل تعلّم اللغة العربية ومعرفتها»، وعنوان الثاني «معجم عربي بحروف اسبانية أو قَشْتالية». وكانت الصفحات الإحدى والعشرون الأولى من الكتاب الأول تدور على قواعد اللغة العربية والصرف والنحو، كما كانت الصفحات السبع والعشرون التالية تشتمل على صلوات كاثوليكية باللغة العربية، وصلوات القداس بالعربية. ومن ميزات هذا الكتاب أنه أول محاولة لنقل الحروف العربية إلى حروف أوروبية. أما الأبجدية الواردة على ظهر الورقة العشرين فهي الأبجدية الافريقية.

١٥٠٨
ميكيل انجيلو يزيّن كابيلا سيستين

بينما كان رافاييل يرسم لوحاته الجصّية في أجنحة البابا، كان ميكيل انجيلو (١٤٧٥ - ١٥٦٤) يقف غير بعيد على منصة مرتفعة وينهمك في رسم مشاهد من الكتاب المقدس على سقف كابيلا سيستين. ويغطي هذا العمل الضخم الذي يُعتبر من أجمل اللوحات الدينية على الاطلاق مساحة ١٥٠٠ متر مربع.

وظل ميكيل انجيلو يشكو ألمًا في عنقه من جراء إحناء رأسه إلى الخلف، طوال سنين عدة، بعد انجازه هذا العمل. وبعد ذلك بفترة طويلة رسم لوحته الرائعة «يوم الحساب» الأكثر تجهّمًا، على الجدار وراء المذبح.

لم يكن ميكيل انجيلو أعظم فنان في عصره رسامًا وحسب، بل كان مهندسًا، وشاعرًا، وفوق ذلك كله نحاتًا أو مثَّالاً. ومن أجمل منحوتاته تمثال العذراء مريم حاملة الطفل يسوع، ويقوم في كنيسة القديس بطرس في روما، وهو الذي صمَّم قبتها الكبيرة.

ان عبقرية ميكيل انجيلو التي امتدت حياته الطويلة على معظم سني عهد النهضة في فلورنسا وروما، لتنبثق من قدرة طبيعية خارقة تقترن بالدافع فوق البشري لبلوغ الكمال، وعندما كان ينهمك في عمله لم يكن حتى البابا يستطيع سماع كلمة مهذبة منه. سوى أن عمله العظيم كان فاشلًا. فقد قضى أربعين سنة في صنع ضريح لراعيه البابا يوليوس الثاني، ولكنه لم ينجزه على الصورة التي يرضى عنها.

١٥٠٩
وصول هنري الثامن إلى العرش

في شبابه كان الملك هنري الثامن (١٤٩١ - ١٥٤٧) رفيع التربية، وسيمًا، وينعم بحب شعبه الذي يقرب من العبادة، وقد ترك ادارة شؤون المملكة بين يدي وُلزي، ولكنه لما أراد ان يطلّق زوجته الملكة كاترين داراغون، فشل وُلزي في الحصول على الاذن بذلك من البابا. وقد حدد ذلك بداية العهد الذي منح انكلترا كنيسة قومية.

لفظ توماس كرانمر (١٨٤٩ - ١٥٥٦) أسقف كانتربري، الحكم بالغاء زواج الملك هنري، وسمح له بالاقتران بآن بولين. وعلى الفور رمى البابا بالحرم الملك هنري الذي أعلن نفسه رأس الكنيسة الانكليزية. وهكذا بات له الآن، كملك، السلطتان الروحية والزمنية في آن معًا.

لم يكن هنري الثامن قاسيًا، لا يرحم بالنسبة إلى زوجاته، بل كان كذلك

بالنسبة إلى النبلاء، وكان له ست زوجات وهن كاترين داراغون، آن بولين، دجين سيمور، آن دو كليف، كاثرين هاوارد، وكاثرين بار.

وفي شيخوخته أصبح بدينًا، ومزعجًا في شكله، وعلى الرغم من الدعم الذي كان يلقاه من شعبه، فإن كل انكلترا تنفست الصعداء لما توفي.

١٥١٣
بيلليني يرسم لوحة «وليمة الآلهة»

كان جيوفاني بيلليني (حوالى ١٤٣٠ - ١٥١٦) من أسرة فنانين تعيش في فينيسيا. وفي عصره لم يكن بشهرة أخيه جنتيلي. كان له عدد كبير من المساعدين والتلاميذ بمن فيهم جيورجيوني وتيسيانو، ويعتقد النقاد الفنيون ان تيسيانو ربما ساعده في رسم لوحة «مأدبة الآلهة» (١٥١٣)، وهي إحدى لوحات بيلليني الأخيرة.

١٥٠٣
ماكيافيللي يكتب «الأمير»

نيقولو ماكيافيللي (١٤٦٩ - ١٥٣٧) كان كاتبًا حكومياً في فلورنسا، وقد وضع كتابه «الأمير» كدليل وموجّه للحكام في عصره. كان كتيبًا علمياً، لا يهتم بالأفكار والمبادئ، ولا بقضايا الصواب والخطأ، ولكن يهتم بالوسائل التي تستخدمها الحكومات لتقوّي نفسها. ويناقش ماكيافيللي السياسة كما هي في الواقع، وليس كما ينبغي أن تكون. ومع أن كتابه «الأمير» يتضمن الكثير من الفهم والحس السليم، فإن الكثيرين أصيبوا بصدمة من جراء نصيحته القائلة بأن الحكام يجب أن يقترفوا الكذب ويلجأوا إلى العنف عند الضرورة.

١٥١٤
كاستيغليوني يكتب «إل كورتيجيانو»

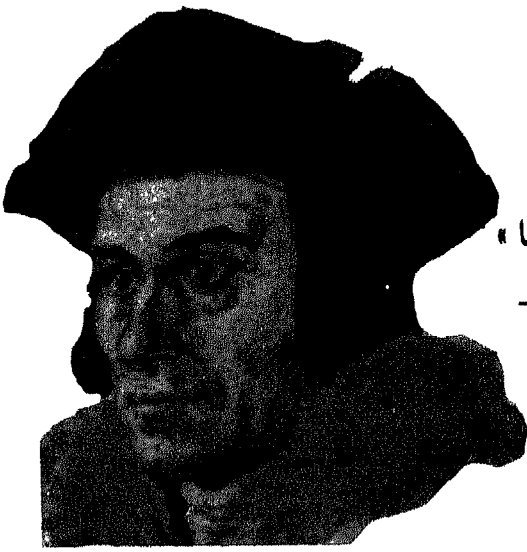
أبصر الكونت بلداساري كاستيغليوني (١٤٧٨ - ١٥٢٩) النور بالقرب من بادوى، والتحق ببلاط دوق اوربينو، وهو بعد شاب. وكانت أولى المهمات التي أُسندت إليه أن أوفده الدوق رسولاً إلى الملك هنري السابع السنة ١٥٠٦. وفي السنة ١٥١٤ كتب «إل كورتجيانو» - أي الحاشية - وهو كناية عن محاورات حول الأفكار والعادات في البلاد.

١٥١٦
آريوستو يكتب «أورلندو فوريوزو»

انفق الشاعر الايطالي لودوفيكو آريوستو (١٤٧٤ - ١٥٣٣) معظم سني حياته في خدمة اسرة ايسلاي، حكام فيرارا. وتقوم شهرته على قصيدته الطويلة التي وسَّعها في طبعات لاحقة. إنها ملحمة من الفروسية والشهامة والحب والمغامرات، ولعلها احدى أعظم الملاحم الشعرية العالمية.

١٥١٦
توماس مور يكتب «يوتوپيا»

كلمة «يوتوپيا» اليونانية تعني «ليس أي مكان»، وكتاب «يوتوپيا» هذا، للكاتب



توماس مور.

الانكليزي توماس مور (١٤٧٨ - ١٥٣٥) كان وصفًا لدولة مثالية تقوم فيها الحياة على أساس العقل والتسامح. وقد احدث هذا الكتاب الكثير من الجدل، وما يزال يدرَّس إلى اليوم.

ما إن نشر كتاب «يوتوپيا» حتى بات مور باحثًا انسانيًا بارزًا، وخاض معركة كلامية مع المصلحين أمثال تندايل، وتولى مناصب ثانوية في حكومة الملك هنري الثامن.

ولما سقط الكاردينال ولزي من السلطة السنة ١٥٢٩، أصبح تـومـاس مـور رئيس مجلس اللـوردات ورئيس مجلس القضـاء الأعلـى. ومـع أنـه كان يتعاطف مع بعض أفكار الحركة الاصلاحية الدينية، ظل يعتنق العقيدة الرومانية الكاثوليكية، ورفض الاعتراف بالملك رأس الكنيسة الانكليزية، وقد حوكم على موقفه هذا بتهمة الخيانة، وأُعدم السنة ١٥٣٥، وقد طوّبه البابا بيوس الحادس عشر قديسًا بعد اربعمائة سنة.

نشر «يوتوپيا» السنة ١٥١٦ باللاتينية بإشراف الفيلسوف ايرازموس في لوفان، في بلجيكا، وكان أول ترجمة انكليزية له السنة ١٥٥١. وله ترجمات فـي عدد من لغات أوروبا. وفيه كتب مور هجاءً لطيفًا للحكومة والمجتمع. وفيه يسرد المحادثة التي تجري بينه وبين بيتر دجايلز، ومع بحّار خيالي رافق اميريغو فسيوتشي في رحلته إلى العالم الجديد، ويدعى رالف هيثلوداي. وقد زار هذا البحّار انكلترا، ولديه الكثير من الأقوال عن شرور الفقر وفخفخة الأغنياء. ويقارن هذا الوصف مع وصف جزيرة يوتوپيا حيث يصنع مجتمع السلع، والنظام القومي للتربية، وحكمُ العمل للجميع، والفلسفة التي تقضي بتضحية خير الفرد في سبيل الخير المشترك العام - ، كلٌ ذلك يصنع الدولة المثالية. ولكن مع ذلك، فإن للنخاسة والملكية مكانهما في يوتوپيا. والكتاب هذا منشـأه افلاطون، وقد ظهر بعدُه الكثير من الكتب المشابهة له، ولكنه يبقى اكثرها مرحًا وسخرية.

١٥١٧
حجج مارتن لوثر الخمس والتسعون

كان مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦) راهبًا سكسونيًا غليظ الرقبة، فلما علّق على باب كنيسة فيتنبرغ بغضب حججه الخمس والتسعين، لم تكن تلك المرة الأولى يوجه فيها النقد إلى الكنيسة والبابا. فقد نعى آخرون على بعض رجال الدين اعطاءهم الغفران لقاء مبالغ مالية، وقد أُحرق البعض بتهمة الهرطقة.



مارتن لوثر يعلّق مبادئه على باب كنيسة فيتنبرغ.

سوى أن عمل لوثر كان حاسمًا في بدء الأحداث التي أدت إلى حركة الاصلاح الديني، عندما انفصل نصف أوروبا عن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وانشأ كنائس بروتستانتية منفصلة.

كان بعض النقاد السابقين قد هاجموا تصرّف الكنيسة الرومانية، ولكن لوثر هاجم معتقداتهم. قال إن الإنسان يخلّصه ايمانه الديني لا شهادات الغفران؛ ودان لوثر سلطة البابا وثروته، ونفوذ الكهنة على الشعب.

ودان البابا بدوره لوثر، ولما رفض نبذ معتقداته في برلمان فرمز السنة ١٥٢١ كاد يجابه خطر الموت بتهمة الهرطقة. إلا أن السياسة انقذته. فحماه أمراء أقوياء بفضل موافقتهم على أفكاره من جهة، ومن أجل رغبتهم في مضاعفة قوتهم وسلطانهم بإضعاف سلطة الكنيسة من جهة أخرى.

وشاء الكثيرون من أنصار لوثر الذهاب إلى أبعد مما ذهب. وقد أمضى معظم وقته في السنوات اللاحقة في لجم حماستهم من أجل التحطيم. وفي هذه الأثناء ساعد هذا المصلح على تقريب الله أكثر فأكثر من الناس بترجمته الكتاب المقدس كله إلى الألمانية.

١٥١٨
تيسيانو يرسم لوحة «الصعود»

هذه اللوحة تُعتبر من أجمل اللوحات الدينية التي رسمها تيسيانو (حوالى ١٤٩٠ - ١٥٧٦) أعظم أسياد مدرسة البندقية الفنية، الذي أصبح رسام البلاط لدى الامبراطور شارل الخامس، أو - شارلكان - وفيليب الثاني الاسباني. وبلغ تيسيانو من العمر عِتِّياً دون ان يتوقف قط عن تطوير تقنيته في الرسم. وقد حقق الكثير من التأثيرات الفنية الباهرة باستعماله كثيرًا من طبقات اللون الشفافة بعضها فوق بعض.

١٥٢١
احتلال المكسيك

بعد اكتشاف كولومبس العالم الجديد السنة ١٤٩٢، رحل الكثيرون من المغامرين الاسبان إلى جزر الهند الغربية سعيًا وراء جمع الثروة. وكان أحدهم هيرناندو كورتيز (١٤٨٥ ـ ١٥٤٧) الذي عُيّن السنة ١٥١٨ قائدًا لحملة هدفها المكسيك.

كان حكّام هذه البلاد الشعب المعروف بالأزتيك، وهو شعب من المحاربين الذين سيطروا على سكان تلك المنطقة بالقوة. وكان مجتمع الأزتيك خليطًا غريبًا: صنعوا الأنسجة الجميلة والخزف، ولكن لم يكن عندهم من الأدوات المعدنية إلا القليل. شيدوا المدن الكبيرة بقصورها وهياكلها الضخمة، إلا أن التوكيد في مهرجاناتهم الدينية كان يقوم على التضحية بتقديم القرابين البشرية.

وعندما نزل كورتيز إلى اليابسة في سان خوان دو اولوى السنة ١٥١٩ لم تكن سلطة الأزتيك قد ترسّخت بعد تمامًا، وقد كسب مساندة بعض رعاياهم الثائرين. وكان لديه الكثير من المميزات المجهولة في المكسيك مثل المدافع والخيول. واستولت قوّته العسكرية الضئيلة على العاصمة تينوكتيتلان ـ مدينة المكسيك اليوم ـ وأسر ملك الأزتيك مونتيزوما الثاني. وفيما بعد ـ وأثناء غياب كورتيز ـ حدث عصيان في المدينة فعاد وسُمح للاسبان بدخولها. ولكن ما لبث القتال أن نشب. فقُتل مونتيزوما، ونجت جماعة كورتيز من الهلاك بأعجوبة. وما لبث الاسبان أن عبّأوا جيشًا من السكان الأصليين. وفي نيسان ١٥٢١ جددوا الهجوم على عاصمة الأزتيك. وبعد حصار دام أربعة أشهر دمرت خلاله المدينة الرائعة، تحطمت امبراطورية الأزتيك، وأصبح كورتيز القائد والزعيم لمقاطعة اسبانيا الجديدة.

١٥٢٢
رحلة ماجيلان حول العالم

ظل البحث عن طريق تجاري جديد إلى الشرق متواصلاً بعد اكتشاف كولومبس، فتطوع فردينان ماجيلان (حوالى ١٤٨٠ - ١٥٢١)، وكان رحالةً برتغاليّاً سابقًا فقد حظوته في بلاده، لإيجـاد طريق للحكومة الاسبانية.

أبحر في آب ١٥١٩، في خمس سفن عتيقة بعد أن جمع بحّارة لهـا مـن مختلف البلدان. وفي نهاية السنة بات في عرض البحر قبالة أميركا الجنوبية حيث تمرَّد رجاله بعد أن عرفوا بخطته الرامية إلى البحث عن مضيق في أقصى جنوب القارة. فسحق ماجيلان العصيان، وفي تشرين الأول وتشرين الثاني ١٥٢٠ أبحر عبر المضيق الذي سُمِّي اليوم باسمه، وانتقل إلى المحيط الهادئ.

بعد رحلة رهيبة عبر المحيط الهادئ نفدت خلالها المؤن لديه، بلغ ماجيلان الفيليبين، حيث قُتل في حرب محلية. وبقيادة سيباستيان دل كانو عادت سفينة ماجيلان الوحيدة الباقية «فيكتوريا» سالمة إلى البرتغال في أيلول ١٥٢٢، بعد أن كانت أول سفينة تدول حول العالم.

١٥٢٥
إصلاح تسفنغلي في سويسرا

كان اولريخ تسفنغلي (١٤٨٤ - ١٥٣١) الكاهن في كاتدرائية زوريخ زعيم الاصلاح الديني في سويسرا التي تتكلم الألمانية. وبتأثير من ايـرازموس ولوثر، أثَّر تسفنغلي بدوره في حركة الاصلاح الانكليزية. ويُعزى سبب نجاحه بخاصة إلى رغبته في التعاون مع الحكومة المحلية ما دامت تقرّ بالحاجة إلى اصلاح الكنيسة وسلطات «الكتاب المقدس». ويعتبره الكثيرون أكثر المصلحين تحررًا وانفتاحًا.

١٥٢٦
ترجمة الكتاب المقدس إلى الانكليزية

أيّد المصلحون البروتستانت سلطة « الكتاب المقدس » تجاه قـواعـد رومـا وطقوسها. وقد أتاح مارتن لوثر قراءته للمواطنين العاديين الذين يجهلون اللاتينية بترجمته إلى الالمانية. وأصدر وليـام تِنْدايل ترجمته الانكليزية للعهد الجديد من الكتاب المقدس، وهو في المنفى السنة ١٥٢٦ . وفيما بعد ترجم قسمًا من العهد القديم أيضًا، وقد حُكم بالموت بتهمة الهرطقة في المانيا السنة ١٥٣٦ .

١٥٢٦
حملة بيزارو إلى البيرو

من بناما، انطلق فرنشيسكو بيزارو (١٤٧٥ ـ ١٥٤١) لاحتلال امبراطورية الإنكا، وهي بلاد أكبر من البيرو الحديثة. وبمئة وسبعين رجلاً وثلاث بنـادق من طراز المَسْكيت نجح وأسر الإنكا ـ أو الملك آتاهواليا، وقتله خدعةً، واستولى على كنوز ضخمة، واستعبد الشعب للعمل في مناجم الفضة، وقُتل بيزارو نفسه فيما بعد خلال شجار حدث بين الغزاة الفاتحين.

١٥٢٦
بابار والامبراطورية المغولية

خلال القرن الثالث عشر غزا المغول أفغانستان، وقد أصبح الشطرُ الأكبرُ من البلاد، فيما بعد، جزءاً من امبراطورية تيمورلنك المترامية الأطراف.

وفي السنة ١٥٠٤ طُرد بابار (١٤٨٣ ـ ١٥٣٠)، وهو من ذرية تيمورلنـك وجنكيزخان، من بلاده الصغيرة في أفغانستان، على يد جيران أقوى منه واضطر



بابار، مؤسس الامبراطورية المغولية في الهند. كان محارباً لامعاً، ولكن أكبر العظيم، من ذريته، هو الذي أسس الحكم المغولي الدائم.

للجوء إلى الجبال. وكان له مطمح كبير واحد، هو استعادة امبراطورية تيمورلنك، والتربّع على عرش سمرقند المذهب.

ومُنيَ بهزائم كثيرة، ولكنه في النهاية، وفي السنة ١٥٢٦، قاد جيشًا عَبْرَ ممر خيبر وحقق فرسانه انتصارًا عظيمًا. وفي معركة تالية بالقرب من بانتا سحق زعماء أفغان آخرين. تمامًا وبعد أن قضى على كل مقاومة، حاول انشاء امبراطورية مغولية، ولكنه لم يعمّر سوى سنتين اثنتين وحسب، فلم يتسنَّ له أن يثبّتها ويقوّيها.

١٥٣٠
وفاة ولزي

كان الملك هنري الثامن يجد عونًا كبيرًا في توماس ولزي (حوالى ١٤٧١ ـ ١٥٣٠) في مستهل حكمه. وقد أصبح ولزي قسيسًا ملحقًا بالبلاط السنة ١٥٠٦، ثم ارتقى بسرعة خلال حكم الملك فأضحى اسقف يورك. ثم في السنة ١٥١٥ عُيِّن كاردينالاً ورئيسًا لمجلس اللوردات والرئيس الأعلى للقضاء.

وكان إداريًا ممتازًا، وأحد أبرز الدبلوماسيين في أوروبا، فوازن بدقة بين القوتين المتنافستين فرنسا واسبانيا، وجمع ثروة شخصية طائلة، استخدم بعضها لبناء كلية كرايستشيرش في اوكسفورد، وبناء هامبتون كورت، وبدأ سقوطه عندما أخفق في الحصول على طلاق سيده الملك من الملكة كاترين داراغون. وفي السنة ١٥٢٩ جُرِّدَ من كل مناصبه، ثم أُلقي القبض عليه بتهمة الخيانة. وقد توفي وهو في طريقه إلى المحاكمة.

١٥٣٢
رابليه يكتب «غارغنتوى»

وُلد الأديب الفرنسي فرنسوى رابليه حوالى السنة ١٤٩٤ في شينون، فكان راهبًا، ومارس التعليم وأصبح استاذًا لعلم التشريح، وانتهى به المطاف إلى أن أصبح كاهنًا. أما مخيّلته الخصبة النابضة بالحيوية فتتجلّى بأبرز مظاهرها في كتابيه، اللذين وضعهما بين السنة ١٥٢٢ أو ١٥٦٤ ـ وهما غارغنتوى وبونتاغرويل ـ وكلاهما يكشف حبًا للإنسانية، والثقافة، ويُبرزان معًا، بما يحتويان من الذكاء والمرح، المقامَ الرفيعَ الذي يحتله رابليه بين أدباء العالم الساخرين.

١٥٣٢
كالفان يعتنق البروتستانتية

كان جان كالفان (١٥٠٩ ـ ١٥٦٤) عالمًا دينيًا أبصر النور في نويون في فرنسا. درس في البدء ليصبح من رجال الدين، الاّ انه في السنة ١٥٣٢ اصبح بروتستانتياً. وعاش في جينيف حيث اصبح مصلحاً دينياً نشيطاً. وفي السنة ١٥٣٨ نفته سلطات هذه المدينة السويسرية، فانتقل الى ستراسبور. ولكن لما استدعي الى جينيف السنة ١٥٤١ قبل بالعودة للاقامة فيها والتبشير. وقد صمّم على جعل المدينة مكاناً للاستقامة التامة، وكل الذين كانوا يرتكبون الخطايا كانوا يُعاقبون. وقد أُحرق احدهم بعد ان دانه كالفان.

ومع ذلك حسَّن المدينة كثيراً، وشجّع التعليم. فازدهرت التجارة وتضاعفت، وكان اعظم اعماله «معهد الدين المسيحي» الذي كتبه باللغة اللاتينية، وقد تُرجم فيما بعد الى الانكليزية وأصبح مرجعاً دينياً، بالنسبة الى البروتستانت في بريطانيا، وخصوصًا في اسكتلندا.

١٥٣٣
وصول ايفان الرهيب الى العرش

بدأ ايفان الرهيب (١٤٤٠ ـ ١٥٠٥) نموَّ مسكوفيا، الامارة الصغيرة حول موسكو، التي تطورت فأصبحت روسيا عندما وسّع اراضيه شمالاً وشرقاً حتى المحيط المتجمد الشمالي وجبال اورال. حتى انه شرع في تشييد الكرملين الذي كان مقر حكومة روسيا طوال قرون.

وفي السنة ١٥٣٣ اصبح حفيد ايفان الرهيب، واسمه ايفان أيضاً ـ وهو ايفان الرابع (١٥٣٠٦ ـ ١٥٨٤) دوق مسكوفيا، وتُوِّج السنة ١٥٤٧ اول

امبراطور ـ أو قيصر ـ على روسيا. وطوال سنتين كان تحت سيطرة النبلاء الاقوياء المعروفين باسم «البويار» ـ وقد ألغى بطرس الاكبر فيما بعد هذه الطبقة. وسرعان ما تولى شؤون الحكم، وجعل نفسه رأس الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية.

وصمّم ايفان على ادخال ما امكن من التأثير الاوروبي الى بلاده، ومع ذلك فإن معاملته القاسية والبربرية لرعاياه والبويار التي اكسبته لقب «ايفان الرهيب» ارعبت البلدان الغربية التي رفضت الاتجار معه. فلما توفي هذا القيصر الطاغية وقعت روسيا في فوضى لا مثيل لها.

١٥٣٤
كارتييه يسكتشف كندا

أول رحالة ومستكشف يحاول الاستيطان في كندا، كان الفرنسي جاك كارتييه (١٤٩١ ـ ١٥٥٧) المولود في مقاطعة بريتاني الفرنسية. وفي السنة ١٥٣٤ تأهب للقيام برحلة استكشافية على امل العثور على ممر شمالي غربي الى الهند.

أبحر كارتييه على طول الساحل الشمالي لنيوفاوندلاند، ودخل ما يُعرف اليوم باسم خليج سنت لورنس، مستولياً على البلاد باسم الملك فرنسوى الاول الفرنسي. وبعد قضاء خمسة اشهر بعيداً عن موطنه عاد الى مسقط رأسه. وفي السنة التالية قام كارتييه مجدداً باستكشاف نهر سنت لورنس، فمخره صعداً حتى قرية هندية تقوم على هضبة سمّاها مون ريال ـ او الجبل الملكي. وفي السنة ١٥٤١ قرر فرنسوى الاول استعمار فرنسا الجديدة ـ كما دعاها ـ فقام كارتييه بحملته الثالثة. غير أن أحدًا من المستعمرين لم يشأ التوطن فيها لأنهم كانوا يكرهون برد الشتاء القارس والمجاهل البرية. وبعد خمسين سنة أُوفدت حملة فرنسية اخرى لاستعمار فرنسا الجديدة ـ أي كندا.

١٥٣٤
لويولا يؤسس جمعية اليسوعيين

كان اغناطيوس لويولا (١٤٩١ ـ ١٥٥٦) نبيلاً اسبانياً قضى شبابه في بلاط الملك فردينان والملكة ايزابيلا. وقد اصبح جندياً عظيماً، حتى كان حصار بامبلونا (١٥٢١) الذي حطمت فيه ساقَه قذيفةُ مدفع.

وبينما كان في طور الشفاء من جراحه، راح يقرأ سيرة القديسين، فلما تماثل الى الشفاء حوّل حياته ونشاطه الى خدمة السيد المسيح.

وعلى الرغم من الكثير من المشقات والمصاعب، بما في ذلك السجن بحكم من محكمة التفتيش، فقد ثابر، ونذر مع ستة من رفاقه السنة ١٥٣٤ في احدى كنائس مونمارتر، في فرنسا، لتأسيس جمعية يسوع ـ او اليسوعيين.

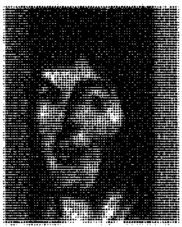
وما هي الا ست سنوات حتى نعمت جمعيته ببركة البابا الذي عيَّن لويولا أولَ قائد لها. فقضى البقية الباقية من حياته في روما، منظماً جمعيته التي اصبحت في غضون بضع سنوات بعيدة النفوذ. وكانت وفاته السنة ١٥٥٦، وطُوِّب قديساً السنة ١٦٢٢.

١٥٣٧
فيزاليوس يصبح استاذاً للتشريح في بـادوى

وضع جالينوس، احد رواد الطب الكبار، وقد نشط السنة ١٦٤ في روما، أُسُساً ومقاييس لم تعرِف مثيلاً طوال ١٣٠٠ سنة. وخلال القرون الوسطى كان لدى من يُعرفون بالاطباء القليلُ من المعرفة. وكـان الكثيرُ من فن الشفاء الذي كانوا يمارسونه يتوقف على جالينوس، والعَلَق، وحتى السحر والشعوذة.

اما ابو الطب الحديث فكان بلجيكياً يدعى آندرياس فيزاليوس (١٥١٤ ـ

١٥٦٤). وقد عاونته في بحوثه معاونةً كبيرةً الأوبئة التي عرفها ذلك الزمن، اذ وفّرت له الكثير من الجثث التي كان يعمل عليها. وقد عُيّن استاذاً للتشريح في بـادوى، وعكف على كتابة عمله الرئيسي «حول بناء الجسم البشري». وقد حوّل التشريح الى علم صحيح، واجتذبت حماستُه الكثيرين الى بـادوي التي ما لبثت ان أصبحت مركز البحوث الطبية في اوروبا.



١٥٤٠
كوبرنيكوس ينشر رسالته

كان نيكولاوس كوبرنيكوس (١٤٧٣ - ١٥٤٣) احد اكثر المفكرين أصالةً وابتكاراً في عصره. ولد في تورن، في بولونيـا، ودرس الريـاضيـات والبصريات والرسم المنظوري في كراكوفيا، ثم درس علم الفلك والقانون في مدينة بولونيا الايطالية، فالطب في بـادوى.

ومن السنة ١٥٠٧ حتى السنة ١٥١٣، عمل في رسالته حول دوران الأجسـام السماوية التي اظهرت العلاقة بين الارض والسماء والكواكب السيارة. وفي البدء كان متردداً في نشر نظرياته، ولكن خلاصتها اثارت الكثير من الاهتمام، بحيث انه في السنة ١٥٤٠ وافق على نشر مؤلّفه بكامله.

وناقضت نظريةُ كوبرنيوكس النظريةَ التي كانت تعتمدها الكنيسة. فقد كان بطلميوس يعتقد ان الارض هي وسط الكون، ولكن كوبرنيكوس في رسالته بيّن ان الشمس نجمة، وان الكواكب السيارة تدور حولها، وان الارض ليست سوى كوكب من هذه الكواكب.

١٥٤٠
اعدام كروموِيل

خلف ولْزي إثر سقوطه توماس كارلايل (١٤٨٥ - ١٥٤٠) وكان امينَ سره. وقد عيّن في مجلس شورى الملك، وبات المستشارَ الرئيسيَّ للملك هنري الثامن.

وأصبح كروموِيل مهندس الاصلاح الانكليزي، فساند الملكَ في خلافه مع روما، ودبَّر امر طلاق كاترين داراغون من مليكه، وحلّ الاديرة الانكليزية. وقد انهمك في هذه القضية الاخيرة الى حد انه عُرف بلقب « مطرقة الرهبان ».

ومثّل ايضاً دوراً مهماً في البروتستانتية، بتشجيعه ترجمة « الكتاب المقدس » وطبعه، وبعمله هذا الذي عُرف باسم « قانون السيادة » (١٥٣٤) ثبّت الملكَ على رأس الكنيسة الانكليزية.

ودبّر امر زواج هنري من آن دو كليف (١٥٤٠)، ولكن لما تراجع الملك عن اختياره، باتت ايام كورمويل معدودة، فأُلقي القبضُ عليه في ١٠ حزيران ١٥٤٠، واتُهم بالخيانة العظمى دون أي سبب، ووُجد مذنباً، وأُعدم بعد ستة اسابيع. وسرعان ما عرف هنري غلطته، وحتى السنة ١٥٤٧ ظل يتحدث عن « خسارة افضل من خدمه بإخلاص على الاطلاق ».

١٥٤٣
كتاب « فابريكا » في علم التشريح لفيزاليوس

أندرياس فيزاليوس (١٥١٤ - ١٥٦٤) جرّاح بلجيكي، ومؤسس علم التشريح الحديث. كان أول خبير في علم التشريح، وله النفوذ الكافي لتحطيم

تقليد جالينوس. وكأستاذ في جامعة بـادوى، في إيطاليـا، درّس هـذا العلـم بواسطة تشريح الأجساد البشرية، ووضع كتابه « فابريكا » في ذلـك فـي السنـة ١٥٤٣، وقد قام بعملية التقيّح لدون كارلوس الاراغوني فكانت ناجحة. وقام بعدد من عمليات نزع الأثداء، حالفها جميعاً النجاح.

١٥٥١
سليمان القانوني يحتل فارس

اثبت سليمان الاول العثماني (١٤٩٤ ـ ١٥٦٦) منذ طفولته انه كان سعيد الطالع. فمن والده الذي خلفه السنة ١٥٢٠ ورث جيشاً مدرَّباً احسن تدريب، ومنظَّماً، وخزينةً ملأى، وبلاداً مزدهرة، ومكتفية. وكان كذلك محاطاً بمستشارين حكماء، ومع انه كان يصغي اليهم الا انه كان يفضّل صحبة قادته العسكريين. وبمساعدتهم قام بعدد من الحملات الحربية، قاد بنفسه ثلاث عشرة حملةً منها.

وهكذا استولى تدريجيًا على بلغراد، ورودس، وبودابست، وبغـداد، وعــدن، والجزائر. وما لبثت امبراطوريته العثمانية ان أضحت أقوى الدول في أوروبا. ومع انه يُعتبر محاربًا كبيرًا، الا أنه كان أيضًا رجلًا عادلًا، وقد نظّم عددًا من القوانين الجديدة التي منحتـه لقـب سليمـان القـانـونـي، أو المشترع.



سليمان الأول

١٥٥٣
حكم اللايدي دجين غراي القصير

ابصرت اللايدي دجين غراي النور السنة ١٥٣٧، وبموجب وصية الملك هنري الثامن عمّها الاعلى، وُضعت على لائحة الخلافة بعد ابنتيه ميري واليزابيث. فأكرهها عمها العديم الضمير دوق نورثمبرلاند على الاقتران بابنه اللورد غلدفورد دادلي، على أمل ان يواصل هو شخصياً الحكم بعد وفاة الملك ادوارد السادس المريض.

وتوفي الملك في ٦ تموز ١٥٥٣، وأُعلنت اللايدي دجين غراي على الفور ملكةً على انكلترا في ١٠ تموز. غير أن انصار ميري تيودر ومؤيديها اثبتوا انهم أقوياء. وما إن اقبل يوم ١٩ تموز حتى كانت اللايدي دجين في سجن برج لندن، بعد اقصر حكم في تاريخ انكلترا، وأبعثِه على الأسى. وقد حوكمت فيما بعد، وحُكم عليها بالموت بتهمة الخيانة العظمى. وقد سارت هذه الملكة السيئة الطالع، يسبقها زوجها الشاب الى «تاور هِلْ» حيث لاقت حتفها السنة ١٥٥٤.

١٥٥٤
تشيلليني: فرساوس ورأس المِدُوزة

يُعتبر الفنان الايطالي بنفينوتو تشيلليني (١٥٠٠ - ١٥٧١) امهر مثّال عرفه العالم. درس في روما وباريس، ثم انتقل الى فلورنسا. وتشمل منحوتاته التمثال البرونزي الذي يمثّل البطل الاسطوري الاغريقي فرساوس حاملاً رأس المدوزة، احدى الغرغونات الثلاث - والغرغونة في الميثولوجيا الاغريقية مكسوة الرأس بالافاعي بدلاً من الشعر، فكان كل من ينظر اليها يتحوّل الى

حجر. أما ترجمته الذاتية فيضمّها كتاب صريح في اسلوبه، وساذج، ويُظهر لنا الفنّان صيّاد ثروات، ومغامراً، يسعى وراء المشاحنات دائماً، ولكن دون ان يؤثر كل ذلك في مهارته الفنية التي لا تُنازع.

أقام تشيلليني سنة ١٥١٩ في روما، ودخل في خدمة البابا الذي كان يقدّر مواهبه حق قدرها. وقد صنع له «بروشًا» تحليه ألماسة، وهو يمثّل عرشًا يجلس عليه الله يحيط به الملائكة.

إلى جانب أعماله الفنية الرائعة التي أتلف الكثير منها، وضع تشيلليني ترجمة لحياته بدأها في فلورنسا سنة ١٥٥٨، يظهر فيها بمظهر الفنان الدعيّ، والوغد الجذاب. ووضع كذلك رسائل مطوّلة في فن الصياغة، والنحت، والتصميم. وكان تشيلليني شديد الاعجاب بميكيل انجيلو.

١٥٥٤

بالسترينا يؤلف الموسيقى الدينية

خلال القرن السادس عشر، كان عدد من الموسيقيين يضعون الموسيقى الدينية للقداديس الرسمية، وكان من اكثرهم موهبة الموسيقي الايطالي جيوفاني دي بالسترينا (١٥٢٩ - ١٥٩٤) الذي كرّس حياته لوضع موسيقى جديدة وجميلة، بما فيها موسيقى للقداديس، لم يسبقه اليها احد من الموسيقيين.

١٥٥٥

نوستراداموس يكتب «القرون»

نوستراداموس (١٥٠٣ - ١٥٦٦) هو الاسم الذي اتخذه ميشيل دو نوتردام، المنجم والفلكي الفرنسي. وفي السنة ١٥٥٥، وضع كتاباً سمّاه «القرون»، حمل اسمَهُ الى مسامع الملكة ماري دو ميديسيس القوية، فدخل بلاطها. وطوال ردح من الزمن غير قصير، كانت مهمته كشف الطالع بالاستناد الى البروج - الاوروسكوب - واصبح طبيباً لابن كاترين، شارل العاشر.

١٥٥٥
إحراق لاتيمر وريدلي

عندما تربعت على العرش الملكة ميري الأولى (١٥١٦ ـ ١٥٥٨) ابنة الملك هنري الثامن، في السنة ١٥٥٤، كانت المشكلة الرئيسية قضية زواج الملكة. فعلى الرغم من احتجاجات الأمة تشبثّت بعناد باختيارها الملك فيليب الأسباني. وجعل زواجها السنة ١٥٥٤ البروتستانت يتحوّلون عنها الى أختها اليزابث التي اعتبروها بطلتهم.

وأبطلت ميري تيودر الكثير مما تمَّ على عهد والدها، واهتمت بنوع خاص بقمع الحركة البروتستانتية الجديدة، وبإعادة الكنسية الرومانية الكاثوليكية. ثم راحت تضطهد رجال الدين الجدد، فأصدرت الأمر الى المتزوجين منهم لكي يطلّقوا زوجاتهم، نافية أولئك الذين لا يذعنون لأوامرها، ومعيدة الكهنة الكاثوليك الى منابر الوعظ.

وارسلت ميري زعيمين من زعماء كنيسة انكلترا هما لاتيمر وريدلي الى السجن في برج لندن في نيسان ١٥٥٤. فحوكما، وعُرض عليهما اطلاق سراحهما فيما لو شجبا علناً معتقدهما، ولكنهما رفضا، وفي ١٥ تشرين الاول من سنة ١٥٥٥ أُحرقا معاً.

١٥٥٥
تنتوريتو يرسم القديس جاورجيوس والتنّين

ولد جاكوبو روبوستي السنة ١٥١٨ في مدينة البندقية، ودرس على يد الرسام الشهير تيسيانو. ثم غيّر اسمه الى تنتوريتو ـ او «الصبّاغ الصغير» ـ وهو اسم استقاه من مهنة ابيه. وشرع في رسم عدد من الروائع الفنية، ذات الموضوعات الدينية والتاريخية، وتضمّ في جملة ما تضمّ لوحات «القديس جاورجيوس والتنّين» (١٥٥٥)، و«مأدبة بلثازار» و«العشاء الأخير». وكانت

وفاته السنة ١٥٩٤.

وتتميز روائعه بالحميّا المبدعة والخلاقة، والبراعة في الصور المصغّرة والإضاءات. وتُعرض لوحاته الرئيسية في قصور الدوجات (= دوج قاضٍ أول في جمهوريتي جنوى والبندقية قديمًا)، ومدرسة سان روكو في مدينة البندقية.

١٥٥٥

تأسيس «الثريا» ـ لا بلياد

امضى بيير دو رونسار (١٥٢٤ ـ ١٦٨٥) صباه في البلاط الفرنسي، ولكنه فيما بعد أُصيب بالصمم، فتحوّل إلى الكتابة، وبخاصة نظم الشعر. وألّف جماعة بالاشتراك مع يواكيم دو بيلي (١٥٢٢ ـ ١٥٦٠)، وسواهما من الشعراء، الهدفُ منها تحسين الشعر الفرنسي. وسمّيت هذه الجماعة «لا بلياد» ـ او الثريا، وكانت صاحبة الفضل في مضاعفة التأثر الكلاسيكي في شعر بلادهم.

١٥٥٦

أكبر يؤسس امبراطورية

عندما توفي بابار السنة ١٥٣٠ كان قد حاول انشاء امبراطورية، ولكنه اخفق، فترك هذا الامر لخليفته اكبر (١٥٤٢ ـ ١٦٠٥).

كان اكبر ابن همايون، ملك دلهي، وكانت مملكة صغيرة، فلما اصبح ملكاً صمم على إكمال ما بدأه بابار، وشرع في انشاء امبراطورية مغولية عظيمة. فقاد جيشاً ضد جيرانه السنة ١٥٥٦. وفي غضون ستة اشهر كانت مملكته تتألف من البنجاب، ومناطق كبيرة اخرى من الهند، بما في ذلك كابول، في افغانستان.

انشأ امبراطوريته، لكنه لم يكن راضياً. واعقبت ذلك اربع عشرة سنة من

الحروب المتواصلة، حتى بات حاكم شمـال الهند بأسره. ثم انه زحف الى ديكان وأضاف مزيدًا من الأراضي الشاسعة الى امبراطوريته المترامية الأطـراف، التي تألفت من خمس عشرة مقاطعة واقليماً كبيراً. وكان اكبر اكثر من محارب، مع ذلك. كان حاكمًا عظيمًا، وعادلاً حاول إنشاء هند متحـدة علـى الرغم من اختلاط أجناسها ومعتقداتها المتصارعة بعضهـا مـع البعـض الآخـر. وبصفته «المغولي العظيم» كانت بينه وبين ملكة انكلترا، اليزابث الاولى، مراسلات.

١٥٥٨
وصول اليزابث الاولى الى العرش

من الأمور التي يصعب تصديقها وصول اليزابث الاولى (١٥٣٣ - ١٦٠٣) الى العرش الانكليزي. فبعد مولدها بقليل، أعدم والدها الملك هنري الثامن، امها آن بولين، وأعلن عدم شرعية ابنته. وفيمـا بعـد، وبصفـة كـونهـا أميـرة صغيرة، حاول كثيرون ان يجتذبوها الى مؤامرات ضد اختها من ابيها ميري. وخلال حكم دجين غراي الذي لم يتعدَّ الايام التسعة، تظاهرت بالمرض حتى أُلقيت دجين السيئة الطالع في السجن.

ومع صعود ميري الى العرش، كانت اليزابث على الدوام امل البروتستانت، وخصوصاً عندما عُلم ان ميري تنوي الزواج من الملك فيليب الاسباني الكاثوليكي. ومع انه لم يكن لها أي دور في العصيان الذي تبع ذلك، فقد زُجّ باليزابث في سجن برج لندن. وأُفرج عنها لاحقاً بفضل برودة اعصابها ورباطة جأشها.

إلّا أنها في البلاط كانت تعلم تمامًا ان لحظة طيش واحدة يمكن ان تعيدها الى البرج، وربما لتركع حيث سبق لوالدتها ان ركعت تحت فأس الجلاد. ثم ما لبثت ان انقشعت من فكرها سحابة قاتمة عندما علمت ان ميري توفيت في

١٧ تشرين الثاني ١٥٥٨ ، وأنها ، وهي في الخامسة والعشرين ، الملكة الجديدة التي لا ريب انها ستتربع على عرش انكلترا .



الملكة إليزابث الأولى .

١٥٦١
ميري ،ملكة الاسكتلنديين ، تعود من فرنسا

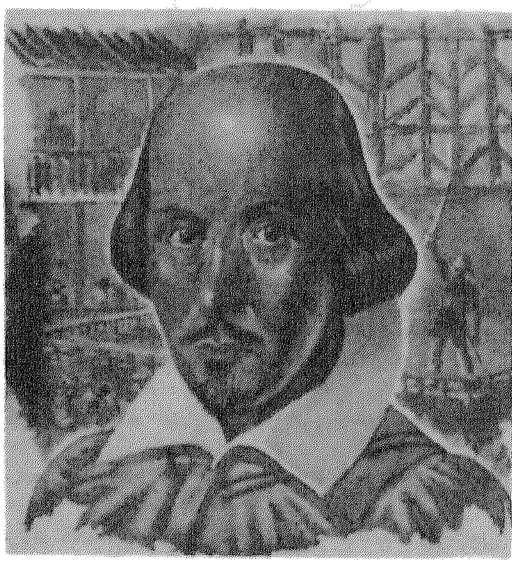
اصبحت ميري ستيوارت (١٥٤٢ - ١٥٨٧) ، ابنة الملك دجيمس الخامس الاسكتلندي (١٥١٢ - ١٥٤٢) ، ملكة تلك البلاد بعد قتل والدها العجوز في معركة سولواي موس (١٥٤٢) ، وهي ما تزال في الاسبوع الاول من عمرها . وذهبت الى البلاط الفرنسي وهي فتاة صبية ، وتزوجت الملك فرنسوى الثاني ،

واصبحت ملكة فرنسا أيضاً. وكانت في الوقت نفسه وارثة العرش الانكليزي، بصفتها اقرب الانسباء الى اليزابث.
وبُعيد وفاة زوجها، عادت إلى اسكتلندا كملكة. ولما كانت كاثوليكية، فقد عارضت حركة كالفان البروتستانتية، وخصوصاً زعيمها دجون نوكس. واقترنت بنسيبها لورد دارنلي الذي كان شديد الغيرة من امين سرها الايطالي ريتسيو، فقتله على مرأى منها ومشهد، السنة ١٥٦٦. وما عتّم الامر ان قُتل دارنلي بدوره. ثم اقترنت بلورد بوزويل، فانقلب عليها النبلاء واجبروها على الهرب من انكلترا.

١٥٦٢
هوكنز يباشر النخاسة

دجون هوكنز (١٥٣٢ ـ ١٥٩٥) المولود في ديفون، يتمتع بسمعة لا يُحسد عليها ابداً، وهي انه كان اول انكليزي يشتغل في تجارة الرقيق ابتداء من السنة ١٥٦٢. فكان ينقل السلع الى الساحل الافريقي، ويقايض عليها بالملونين المخطوفين الذين كان يحملهم الى المستعمرات الاسبانية في اميركا لقاء اللآلىء، والسكّر، والتوابل.
وفي احدى الرحلات التي كانت تقوم بها سفن القرصنة المفوضة والممولة من قِبل الملكة نفسها، اليزابث الأولى، بمهاجمة سفن العدو والاستيلاء عليها، اصطدم هوكنز بسفينتيه بالاسطول الاسباني في خليج سان خوان دو اولواي. وبعد معركة شرسة أغرقت السفينتان الانكليزيتان، ونجا هوكنز بأعجوبة. وقد رقّي فيما بعد الى منصب عالٍ في البحرية الانكليزية، وتوفي في البحر في تشرين الثاني ١٥٩٢.
غير انه يتمتع أيضاً بسمعة مشرّفة مع ذلك، وهي انه كان اول انكليزي

يُدخل البطاطا الى انكلترا السنة ١٥٦٣ . وقد عرضها السر ولتر رالي للملكة بعد ذلك بحوالى عشرين سنة .


وليام شكسبير .

١٥٦٤
مولد شكسبير

وليـام شكسبير (١٥٦٤ - ١٦١٦)، أحد أعظم الروائيين المسرحيين في العالـم، أبصر النور في بلدة ستراتفورد - اون ايڤن ،في إنكلترا ، في ٢٣ نيسان ١٥٦٤ ، او حوالى ذلك اليوم، فلما بلغ الثامنة عشرة تزوج آن هاثاوي، ورُزق ثلاثة أولاد .

وفي السنة ١٥٨٧ ، غادر أسرته ومسقط رأسه، وهبط لندن حيث اجتـذبـه المسرح من فوره. فمارس في البدء اعمالاً وضيعة - كان يقوم بتمثيل ادوار قصيرة، وككاتب كان يصلح نصوصًا تمثيلية قديمة. ولكن مع مرور الايـام، بات الكاتبَ المسرحي الأساسي، والشريك في مسرح « غلوب »، في بانكسايد ، في ساوثوورك. ولم تقبل التسعينات من القرن الخامس عشر المشرف على نهايته، حتى كانت شهرة شكسبير ككاتب تنمو بثبات، فكتب بعض اجمل القصائد الانكليزية المعروفة بالسونيت، وتتألف الواحدة منها من اربعة عشر بيتاً . وكان قد وضع حتى نهاية حياته سبعاً وثلاثين مسرحية، بما فيها المسرحيات التاريخية، والهزلية، والعاطفية، والمأسوية. وتروق مسرحياته لجميع الاذواق لأنها تشمل الشعر، والحركة، والحب، والاثارة، والمرح، وروح النكتة .

إن غِنَى شاعرية شكسبير في مسرحياته يتيح لشخصياته ان تتكلم بحيوية وتنوّع، ربما لم يسبق لهما مثيل. انها تكشف عن الافكار الاعمق لدى شخصياته، وتخلق جوّا، وتصنع مشاهد. ومن أشهر مسرحياته هاملت، وحلم ليلة صيف، وماكبث، والعاصفة، وروميو وجولييت، وكما تريدها... الخ.

١٥٦٦
بروغل يرسم لوحة «رقصة الزفاف»

كان بيتر بروغل (حوالى ١٥٢٥ - ١٥٦٩) ابن فلاّح فلمنكي، ومع انه قُيّض له ان يجوب ارجاء فرنسا، وايطاليا، ويزور روما ونابولي، فإنه لم ينسَ قط المشاهد التي عاشها في شبابه. ولوحاته، من مثل لوحة «رقصة الزفاف» مفعمة بالفلاحين المرحين، المرتفعي المعنويات، وكلهم يستمتعون بالحياة. وقد اصبح بيتر ويان، ابناه، كذلك رسامَيْن معروفَيْن.

١٥٧٠
رسالة بالاديو حول فن العمارة

كان اندريا بالاديو (١٥١٨ - ١٥٨٠) الايطالي المولد، أحد اشهر المهندسين المعماريين في عصره. وقد دلّل منذ طفولته على مهارة فائقة، وعلى أنه فتى واعد. وقد اتاح له راعيه الكونت تريسينو مجالَ دراسة الفن والهندسة المعمارية في روما. وفي السنة ١٥٤٧ رجع إلى فيتشنتزا، مسقط رأسه، حيث صمّم عدداً من المباني الجميلة، بما فيها قصور مزخرفة لنبلاء ايطاليين. وفيما بعد شيّد بعض الكنائس الفخمة في البندقية، وعدداً من القصور، على القناة الكبيرة، في مدينة القنوات والغوندولات. كان بالاديو تلميذاً للأعمال الكلاسيكية، والكثيرُ مما صمّمه يعكس ذلك الاعجاب الذي اعطى وصفَ

« البالادي » لنمطه الفني المتكلف العظمة والجلال. وقد تُرجمت كتبه الأربعة في فن العمارة الى الكثير من اللغات، ونَشر الترجمة الانكليزية منها المهندس المعماري الشهير اينيغو دجونز، وانتشر تأثيره عبر اوروبا بأسرها.

١٥٧٢
كاموينس يكتب «أوْس لوسيادوس»

كان لويز فاز دو كاموينس (حوالى ١٥٢٤ ـ ١٥٨٠) شاعراً نُفي من موطنه الاصلي البرتغال السنة ١٥٤٦. واصبح من الجنود المرتزقة، فحارب الاتراك العثمانيين، وارتحل الى جزر الهند الشرقية. واثناء اقامته هناك وضع ملحمته الشهيرة «اوس لوسيادوس» او اللوزيتانيون ـ التي تروي شعراً تاريخ الشعب البرتغالي.

١٥٧٥
تاسو يؤلف رواية مسرحية ريفية

كان توركاتو تاسو شاعراً ايطالياً وُلد في سورنتو السنة ١٥٤٤. وقد التحق ردحاً من الزمن ببلاط دوق فيرارا، وخلال وجوده في خدمته وضع قصيدة رائعة حول بيت المقدس، ورواية مسرحية ريفية بعنوان «آمِنْتا». ولكنه ما لبث أن أُصيب بمسّ، وأُدخل المستشفى، وكانت وفاته السنة ١٥٩٥.

١٥٧٥
تأسيس جامعة لايدن

جامعة لايدن الهولندية، هي جامعة رسمية حكومية، أسسها السنة ١٥٧٥

الملك وليـام الصامت، من اسرة اورانج، مكافأة لسكان هذه المدينة الهولندية على دفاعهم البطولي ضد الاسبان. كان مقرّها في الاصل في دير القديسة بربارة، ثم نُقلت السنة ١٥٨١ الى دير الراهبات البيض حيث ما يزال الى اليوم قائماً المبنى الرئيسي والمباني التي اضيفت لاحقـاً. وهناك مبانٍ اخرى موزعة عبر المدينة. وفي غضون قرن من الزّمن اصبحت هذه الجامعة الهولندية الاولى أحد أشهر المراكز الاوروبية للعلوم الانسانية، وبخاصة بفضل وجود علماء وباحثين كبار امثال يوستوس سكاليغر، وهـوغـو غـروشيـوس، ويـاكـوبس آرمينيوس، ودانيال هينسيوس. وخلال القرن الثامن عشر احرزت جامعة لايدن شهرتها العالمية كمركز علمي وطبي بوجود هرمان بيرهافه (١٦٦٨ ـ ١٧٣٨) رئيساً لها طوال ربع قرن.

وما تزال هذه الجامعة محتفظة بمستواها الرفيع وبخاصة في حقول القانون، والثقافة الشرقية، والفلسفة، والطب. ومن المعاهد والمؤسسات ذات الصلة بجامعة لايدن، نذكر مكتبتها العامرة التي تضمّ رفوفها اكثر من مليون مجلد ـ بينها ١٤ الف مخطوطة، واربعون الف خريطة ـ ومرصداً فلكيًا، وحديقة نبات رائعة، ومجموعة من نماذج الاعشاب المجففة مرتبّة ترتيبًا نظاميًا، ومستشفى مع عدد غير قليل من المختبرات، ومعهداً للطب الاستوائي، وعدداً من معاهد البحوث المختلفة، ولا سيما في حقل الفيزياء، ومتحفًا للآثار ابرز ما فيه الاقسام الاوروبية، والمصرية، واليونانية، والرومانية، فضلاً عن مؤسسات فيها مجموعات قيّمة من النماذج الجيولوجية، والمعدنية، والنقود، والمطبوعات.

وقد اقفل الالمان المحتلون السنة ١٩٤٠ جامعة لايدن إثر اضراب اعلنته الهيئة التعليمية والهيئة الطلابية. ولم تُفتح ابوابها الا بعد زوال الاحتلال النازي في نهاية الحرب العالمية الثانية. ومما يذكر انه في السنة ١٩٥٥، كان عدد الطلاب فيها ٤٣٠٠ طالب، ربعهم من النساء.

١٥٧٦
تيخو براهه يشيّد مرصد اورانيبورغ

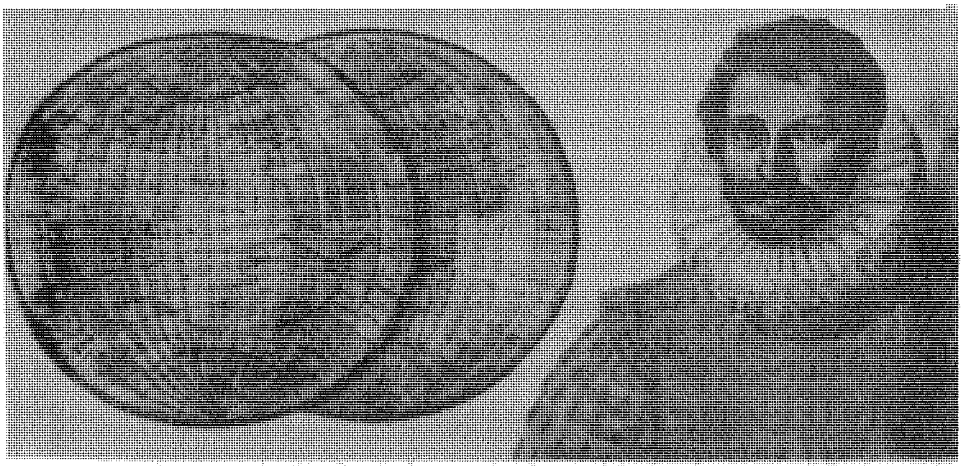
تخصص تيخو براهه (١٥٤٦ ـ ١٦٠١) الدانمركي المولد في علم الفلك. وقد دعاه الملك فريديريك الثاني الدانمركي إلى تشييد مرصد ضخم في اورانيبورغ. ومع انه كان فلكياً لامعاً ـ اكتشف النجمة المعروفة باسم ذات الكرسي ـ فقد عارض كوبرنيكوس، مؤكداً ان الارض هي وسط الكون، ولا تتحرك، في حين ان سائر الكواكب السيارة تدور حول الشمس.

وقد اشتمل عملُه الفلكي الرئيسي على تحسينات في فن رصد الكون، وعلى جدول بالنجوم الثابتة وضعه السنة ١٥٧٦. وحدّد مواقع ٧٧٧ نجمة، علماً بأن هذا العدد زاده يوهانس كبلر، الفلكي الالماني، في السنة ١٦٠٥ الى ١٦٢٧ نجمة ثابتة.

ونشر براهه أيضاً عدداً من الكتب، في جملتها «النجمة الجديدة»، الذي سجل فيه ارصاده للمُسْتَسْعَر المِجَرّي الذي شاهده السنة ١٥٧٣ ـ والمُسْتَسْعَرُ هو نجم يتعاظم ضياؤه فجأة ثم يخبو في بضعة أشهر أو سنين.

١٥٧٧
درايك يُبحر على متن «بيليكان»

في ١٥ كانون الاولى ١٥٧٧ ابحر فرنسيس درايك (حوالى ١٥٤٠ ـ ١٥٩٦) البّحار من ديفون على رأس اسطول من خمس سفن، على متنه ستة وستون رجلاً من ميناء بليموث. فبلغ الساحل البرازيلي في ٦ نيسان ١٥٧٨. وفي ٢١ آب دخل مضايق ماجيلان. وانفصلت سفنه بعضها عن بعض بسبب العاصفة، فحملته بسفينته بيليكان وحده التي اعاد تسميتها باسم «الأيّلة



السر فرنسيس درايك، أول انكليزي يدور حول العالم. وقد أصبح بطلًا زمن الارمارادا الاسبانية. وإلى اليسار تبدو مداليتسان سُكّتا لتخليد هذه الرحلة الملحمية.

الذهبية»، فاستولى على الكثير من السفن الاسبانية غير المشبوهة.

وفي تموز ١٥٧٩ بلغ جزر مولوك، وبعد احد عشر شهراً كان يدور حول رأس الرجاء الصالح، وهو في طريق عودته الى انكلترا. وعاد فدخل ميناء بليموث دخول الفاتحين في ٢٦ ايلول ١٥٨٠، فكان اول قبطان بحري انكليزي يقوم بجولة حول العالم استغرقت سنتين وعشرة اشهر. وما لبثت الملكة اليزابث ان صعدت الى متن «الايلّة الذهبية» واكرمته بلقب «سر» على انجازاته البحرية.

١٥٧٨
هيليارد يرسم الملكة اليزابث

رسم نيكولاس هيليارد (حوالى ١٥٣٧ - ١٦١٩) بمهارة فائقة الشخصيات التي كان يعجّ بها بلاط الملكة اليزابث. تدرّب لدى صائغ في لندن، واستطاع

منذ البداية ان يصنع الرسوم الصغيرة الجميلة التي تدلّ على براعته الفنية. ويعود تاريخ اول رسومه المنمنمة هذه الى السنة ١٥٧٢، وهو للملكة نفسها. وخلال نصف قرن كان قد انتج بعض اروع ما عرف هذا الفن من الرسوم الممتعة.

١٥٧٩
اتحاد اوتريخت

خلال العصور الوسطى، كانت ما تُعرف اليوم ببلجيكا وهولندا كونتيّات ودوقيات اقطاعية صغيرة جداً، وتدريجياً راحت تقع تحت سلطة الدوقات البورغنديين. وقد سعى شارل الجسور (توفي السنة ١٤٧٧) دون جدوى الى صهرها في بلد واحد موحّد. وتزوجت ابنته ماري مكسيميليان النمساوي فباتت هولندا ـ وكانت تُعرف باسم «الاراضي المنخفضة»، بكل بساطة وهدوء في جملة ممتلكات آل هابسبورغ.

ولما تنازل شارل الخامس عن العرش السنة ١٥٥٥ اصبحت تابعة للملك فيليب الثاني الاسباني، في حين ان المقاطعات الشمالية اندلعت فيها الثورة. وفي السنة ١٥٧٩ شكلت المقاطعات السبع هذه اتحاداً مستقلاً سُمّي «اتحاد اوتريخت»، ويدعى أحيانًا «الاتحاد الهولندي» او «المقاطعات المتحدة» ويسيطر عليه وليام، امير اورانج، وبموجب عصبة آراس (١٥٧٩) اعترفت المقاطعات الجنوبية العشر بالملك فيليب الثاني ملكاً عليها، ولكنها ظلت محتفظة باستقلالها.

١٥٨٢
استعادة الوقت الضائع

«الوقت الضائع لا يمكن استعادته ابداً!» هكذا يُقال. الا ان رجلاً واحداً

في التاريخ استطاع، مع ذلك، ان يقوم بهذه المعجزة فيستعيد بنجاح، حقاً، عشرة أيام متأخرة. ولكن لكي يثور مثل هذا الرجل على النظام الطبيعي، كان ينبغي ان يكون حامل لقب قداسة البابا، وان يدعى غريغوار الثالث عشر.

تم ذلك الحدث السنة ١٥٨٢ . لم يكن التقويم اليوليوسي يطابق تماماً حركة الشمس، بحيث ان مدة اعتدال الليل والنهار في الربيع متأخرة عشرة أيام عن موعدها، ومهددة بأن تقترب من فصل الصيف شيئاً فشيئاً. وعلى ذلك، أمر البابا غريوريوس الثالث عشر بأن يسمّى الخامس من تشرين الاول ١٥٨٢ الخامس عشر من تشرين هذا. ولكي يخفف وطأه في التقويم بالنسبة إلى حركة الشمس، حذف السنوات الكبيسة في نهاية القرن، باستثناء سنة واحدة كل اربع سنوات. وهناك الآن فارق يوم واحد كل اربعة آلاف سنة بين التقويم والواقع.

١٥٨٦
انشاء مسرح كابوكي الياباني

المسرح الياباني التقليدي الذي كان يقوم كلياً على الممثلين من الذكور وحسب، ويُعرف باسم كابوكي، تؤرَّخُ بدايتُه السنة ١٥٨٦، عندما قدمت امرأة تدعى أو ـ كونـي محاكاة موسيقية للطقوس البوذية بطريقة تهكمية. فكانت بفرقتها المؤلفة من راقصين وراقصات اول عرض مسرحي من نوعه يُقدَّم خصيصا إلى الجمهور. ذلك بأنه كانت مثل هذه العروض المسلية وقفاً على الأغنياء، في التمثيليات المأساوية التي كانت تقدَّم على مسرح نو المعروف، والتمثيليات الهزلية التي كانت تُعرف بمسرح كيوجين.

وفي السنة ١٦٢٩ مُنع مسرح كابوكي لاعتباره مبتذلاً وخفيفاً، ولكنه استطاع ان يستمر باسم جديد هو واكاثوكـان يمثّل فيه الصبيان كلَّ الادوار، بما فيها ادوار النساء. وحتى هذا اللون لم تنظر اليه السلطات بعين الرضا، وما

لبثت ان منعته. وعندها استمر المسرح الذي عُرف باسم يارو كابوكي في كفاحه من اجل البقاء، وكان قِوامُه الممثلين الذكور وحسب. وهذا الشكل من المسرح القائم على الممثلين من دون الممثلات، الرفيع النمط، التقليدي، هو الذي ما يزال شعبياً حتى يومنا هذا.

١٥٨٦
إل غريكو يرسم لوحة «دفن الكونت اورغاز»

الرسام اليونانيُّ المولد دومينيكو ثيوتوكوبولي (حوالى ١٥٤١ - ١٦١٦) يُعرف اكثر بلقبه الاسباني إل غريكو. ويُعتقد انه هبط في السنة ١٥٧٠ روما حيث درس على يد تيسيانو، ورسم الكثير من الموضوعات الدينية. الا انه بعد سبع سنين استقرَّ في اسبانيا. ومن اروع اعماله اللوحات: «صعود العذراء»، و«دفن الكونت اورغاز»، و«السيد المسيح والصيارفة».

١٥٨٧
مارلو يؤلف «تمبرلين»

كريستوفر مارلو (١٥٦٤ - ١٥٩٣) كاتب مسرحي شهير عُرف بلقب ابي المسرحية الانكليزية، ومبتكر المسرحية المرسّلة، او غير المقفّاة. ابصر النور في كانتربري، ولكنه ما لبث ان انتقل الى لندن حيث اشترك مع شكسبير وبن دجونسون، وسواهما من كتّاب حلقتهما المعروفة.

وبين السنة ١٥٨٧ والسنة ١٥٩٣، وضع أربع مسرحيات هي: تمبرلين الكبير، والدكتور فاوستوس، ومسرحية اليهودي الغني من مالطة، وادوارد الثاني؛ اما المسرحيات الثلاث الاولى فتتعلق بالقوة وتأثيرها في البشر، وأما

ابطالها فشخصيات مأساوية، واشقياء يصارعون قدرهم. واما مسرحيته تمبرلين الكبير فهي اول قصيدة انكليزية غير مقفاة.

قليلة هي المعلومات التي وصلتنا عن حياة مارلو، غير انه عُرف بتفكيره الحر، واشتُبه بأنه ملحد. وقد طُعن في السنة ١٥٩٣ في دبتفورد اثناء شجار في احدى الحانات، وربما كان قاتله عميلاً سرياً في خدمة الملكة اليزابث الاولى.

١٥٨٧
اعدام ميري، ملكة الاسكتلنديين

فرّت الملكة ميري ستيوارت من فرنسا الى انكلترا فوقعت في أسر نسيبتها الملكة اليزابث الاولى طوال تسع عشرة سنة. وقد لزمت ردحاً من الزمن جانب الهدوء، ثم تشجعت وسمحت لنفسها إثر وعود بالمساندة من الخارج، بأن تتورط في مؤامرة لانقاذ نفسها مما هي فيه. في حين يكون جنود من اسبانيا وانصار من الكاثوليك في انكلترا مستعدين لضرب كل معارضة ومواكبتها الى حفلة تتويجها.

عُرفت هذه المؤامرة باسم مؤامرة بابنغتون نسبةً الى احد المتآمرين. الا انها كُشفت بسهولة، وكان بطل فضحها ولسينغهام، وزير الملكة اليزابث. وحوكمت ميري ستيوارت، وأُنزل بها حكم الاعدام الذي وقّعته الملكة اليزابث في أول شباط ١٥٨٧. ونقلت ميري الى قلعة فوذيرينغاي، حيث نُصبت خشبة الاعدام المرتفعة في ردهتها الفسيحة وأُلبست الملابس السوداء، فركعت امام الجلاد لتلقى مصيرها المحتوم.



ميري، ملكة الاسكتلنديين، تتأهب للقاء جلادها في فوذيرنغـاي.

١٥٨٨
هزيمة الأرمادا الاسبانية

كانت انكلترا في السنة ١٥٨٥ في حرب مع اسبانيا، فقاد فرنسيس درايك اسطولاً انكليزياً الى البرّ الرئيسي الاسباني حيث اغرق عدداً كبيراً من السفن

الاسبانية، ونهب الكثير من المدن الاسبانية الغنية. وبعد سنتين اثنتين ابحر شطر خليج قادش، وأغرق أيضاً عدداً من السفن كانت متجمعةً فيه. وقد دعا درايك هذه المهمة « سفع لحية ملك اسبانيا ».

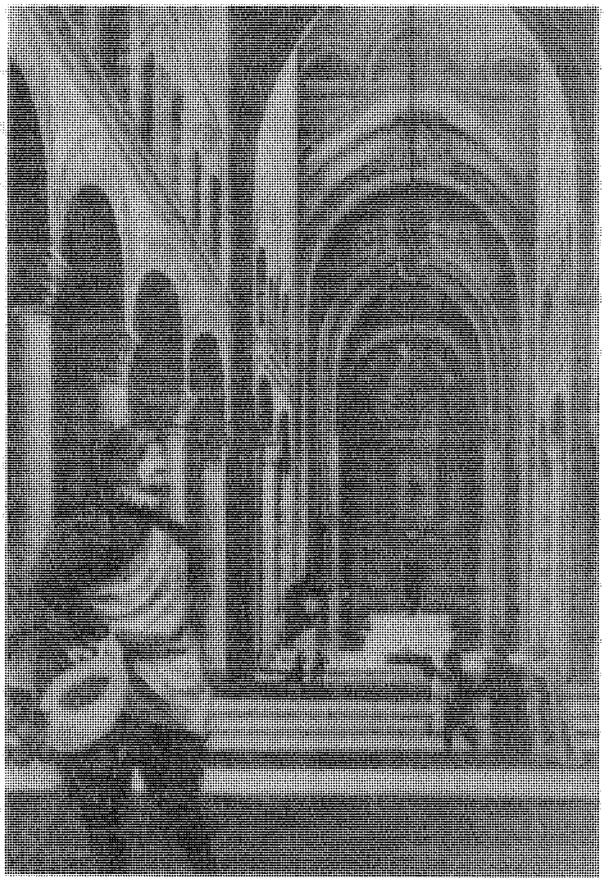
وفي السنة التالية، كان هذا القائد الانكليزي في ميناء بليموث عندما بلغته وسائر زملائه القباطنة انباء عن مشاهدة اسطول اسباني ضخم في القناة الانكليزية - بحر المانش. وقد عُرف هذا الاسطول فيما بعد بالارمادا الاسبانية التي لا تُقهر. غير ان النتيجة كانت الدمار الشامل الذي نزل بهذه السفن الضخمة التي كانت تطاردها سفن الاسطول الانكليزي الاخفُّ وزناً والاكثر فعاليةً على طول ساحل الفلاندر والى بحر الشمال حيث تُركت وسط عاصفة عاتية. ولم يعد من هذه الارمادا الكبيرة الى اسبانيا الا قِلّةٌ من السفن.

١٥٩٠
سبنسر يكتب « ملكة الجن »

ولد ادموند سبنسر (حوالى ١٥٥٢ - ١٥٩٩) في لندن، من ابوين متواضعين، وتلقّى دروسه بصفة طالب فقير في كلية مرتشانت تيلور، ثم في كيمبريدج. وبدأ الكتابة فكانت اولى قصائده الشهيرة « تقويم الرعاة » (١٥٧٩). ثم عيّن في وظيفة في ايرلندا، فواصل الكتابة، ووضع الكثير من الشعر، لعلّ ابرَزَهُ قصيدتُه الرمزية « ملكة الجن » التي مجّد فيها بلاده وابرز تصرّف رجل البلاط المثالي.

١٥٩٠
غاليليو ينشر « دو موتو »

ابصر غاليليو غاليليي (١٥٦٤ - ١٦٤٢) النور في بيزا، في إيطاليا. ولما بلغ


مصباح مترجّح في كاتدرائية بيزا، أوحى على ما يزعمون، إلى غاليليو، بملاحظاته حول الرقّاص.

التاسعة عشرة من عمره، اكتشف انتظام رقّاص الساعة. وفي السنة ١٥٨٧ صاغ قانون الاجسام الساقطة، مثبتاً نظريته القائلة بأن إسقاط كرتين من الرصاص والخشب بالحجم نفسه يضربان الارض في الوقت نفسه. ونُشرت نظريته هذه في كتاب يُعرف باسم « دو موتو » السنة ١٥٩٠.

وفي السنة ١٥٩٢، اصبح أستاذاً للرياضيات في بادوى حيث أجرى بعض

الاختبارات الهامة، وجزم بقوة بأن نظرية كوبرنيكوس عن دوران الكواكب السيّارة حول الشمس صحيحة. وقد سُجن بسبب ذلك. الا ان البابا اطلق سراحه، فواصل وضع الاساس للعلم الاختباري الحديث.

وفي السنة ١٦٥٩ صنع أول تلسكوب فلكي اكتشف بواسطته اودية القمر، واطوار كوكب الزُهَرة، واقمارَ كوكب المشتري الاربعة. ومع ذلك ظلت السلطات الكنسية تفرض عليه الاقامة الجبرية حتى وفاته.

١٥٩٠
يانسِنْ يخترع المجهر

زكرياس يانسن هو صانع مناظير هولندي، يُعزى اليه اختراع المجهر - الميكروسكوب، حوالى السنة ١٥٩٠. كان اداة ضخمةً وثقيلة وغير عملية نوعاً ما، تقارب بحجمها حجم التيليسكوب. إلا انه على الرغم من ذلك، ادى هذا المجهر الغايةَ من وجوده، حتى ان احد المراقبين في ذلك الزمن اورد الملاحظة التالية: «بهذا المِدفع الطويل يمكنك ان ترى الذباب يظهر بحجم الماشية».

١٥٩١
وفاة غرنفيل

في السنة ١٥٩١ كان اسطولٌ مؤلف من ست سفن انكليزية يتزود بالماء في خليج فلوريس، في جزر الآزور، عندما مرَّ مركب شراعي صغير وأعلن ان اسطولاً اسبانياً يقترب من هناك. فأمر السير رتشارد غرنفيل (حوالى ١٥٤٢ - ١٥٩١) سائر السفن بالهرب، بينما بقي هو لاستجماع نصف عدد بحارته الذين كانوا مرضى، وعلى اليابسة. ولم يكد يغادر الخليج حتى كان الأوان قد

فات، اذ وجد نفسه محاطاً بثلاث وخمسين سفينة شراعية اسبانية ضخمة من الطراز المعروف بالغاليون الذي يتميز بالطول.

وطوال الساعات الخمس عشرة التالية استطاعت سفينة غرنفيل « ريفنج » ان تصدّ سفن العدو وتمنعها من التقدم، حتى اصبحت هي حطاماً بعد ان كانت هدفاً للقصف من ست سفن اسبانية في آن معاً. وفي النهاية، ومع غوص سفينته في الاعماق، أكره غرنفيل على الاستسلام، ولكنه مات فيما بعد متأثراً بجراحه.

١٥٩٦
كارافاجيو يرسم لوحة «صبيٌ وسلة فاكهة»

ميكيل انجيلو آميريغي كارافاجيو (١٥٦٩ - ١٦٠٩) الرسام الايطالي، ابصر نور الحياة في مقاطعة لومبارديا، وأسس مدرسة ثورية في الرسم في نابولي، وعلّم تلاميذه رسم الموضوعات بطريقة طبيعية، لا مثالية، كما كان الاسلوب في السابق. وكان معظم الذين يجلسون امامه ليرسمهم من الفتيان والشبان. وتشمل روائعه الفنيةُ التي خلدته اللوحات الثلاث « صبيٌ وسلة فاكهة »، و« كاشف البخت »، و« حفلة موسيقية ».

١٥٩٨
مرسوم نانت

طوال سنين، مزّقت فرنسا الحروبُ الدينية والاهليةُ، فكان الكاثوليك يحاربون البروتستانت -ويُعرفون في فرنسا باسم « هوغـونو » -، وكانت الغلبة لهؤلاء حيناً، ولاولئك حيناً آخر. وفي النهاية، قرر الملك هنري الرابع السنة

١٥٩٨ وضع حدّ للصراع العديم الفائدة، المدمّر للشعب، فأصدر مرسوماً عُرف باسم « مرسوم نانت » منح فعلياً الحرية الدينية للهوغونو. فمنحهم حرية المعتقد في مختلف ارجاء فرنسا، وحرية اقامة الشعائر الدينية العامة حيث اعتادوا اقامتها في السابق. وبات في وسع طبقة النبلاء العليا ان يلجأ افرادها الى خدمات البروتستانت في قصورهم، وكذلك كان بوسع النبلاء الادنى درجةً ان يفعلوا. الا انه تحدّد عدد الاشخاص المسموح لهم بالتجمع بثلاثين شخصاً وحسب. ونعمَ البروتستانت بكل الحقوق المدنية، بما في ذلك شغْل الوظائف الرسمية كافة. وكثيرةٌ هي الامتيازات التي مُنحت للبروتستانت بموجب « مرسوم نانت »، في حين تألفت لجنة من عشرة من الكاثوليك وستة من البروتستانت لمعالجة اي خلافات دينية.

١٦٠٠

تأسيس شركة الهند الشرقية الانكليزية

طوال بضع سنين، احتكر الهولنديون تجارة التوابل مع اندونيسيا وجزر مولوك، فلما راحت الاسعار ترتفع بدأ تجار لندن يُبدون الاهتمام. وفي اليوم الاخير من القرن السادس عشر منحت الملكة اليزابث رخصة لشركة جديدة تسمح بالاتجار « في كل الارجاء والاماكن في آسيا، وافريقيا، واميركا بين رأس كود ومضيق ماجيلان ».

وأبحرت أربع سفن تابعة لهذه الشركة من نهر الثيمز في السنة ١٦٠١ متجهة شطر الشرق، من طريق رأس الرجاء الصالح. وسرعان ما تبعتها سفن اخرى، ومع مرور الوقت نمت شركة الهند الشرقية، فأصبحت منظمةً نافست البحرية البريطانية في ميدان السفن والرجال. واستمرت حتى السنة ١٨٧٤.

وقد ألهمَ نجاح هذه الشركة التي كانت تُسمّى « شركة دجون » شركات اخرى، بريطانية واوروبية، تألفت للاتجار مع اميركا الشمالية وكندا.

١٦٠٢
مونتيفردي يضع اوبرا «آريانا»

كلوديو مونتيفردي (١٥٦٧ - ١٦٤٣) مؤلف موسيقي ايطالي كان ينعم برعاية دوق مانتوى. وقد عُيّن السنة ١٦١٣ قائد الجوقة الموسيقية في كنيسة القديس مرقص، في مدينة البندقية، حيث اعادت مؤلفاته الموسيقية الدينية الشهرة الموسيقية التي كانت تنعم بها الكنيسة. ووضع السنة ١٦٠٢ اولى اوبراته «آريانا»، وفيها استخدم الموسيقى الموضوعة لقصائد غزلية غير المصحوبة بالغناء. وكان لاوبراه الثانية «اورفيو» تأثير اعظم من تأثير «آريانا»، وجعلته مؤلفاً موسيقياً كبيراً.

١٦٠٣
السلطة تتحول الى آل ستيوارت

كانت الملكة اليزابث الاولى في السنة ١٦٠٣ قد حكمت خمساً واربعين سنة من عمرها البالغ السبعين. ومع انها ايقنت انها لن تعمّر اطول من ذلك، فقد رفضت تسمية خلف لها حتى بضعة ايام قبيل وفاتها في آذار ١٦٠٤، عندما اوفد رئيس وزرائها روبرت سيسيل رسولاً عدا على صهوة جواده شمالاً لإبلاغ دجيمس ستيوارت انه سيكون الملك المقبل على انكلترا.

وكان في ذلك الوقت ملكاً على اسكتلندا باسم دجيمس السادس (١٥٦٦ - ١٦٢٥)، بعد ان اعتلى العرش السنة ١٥٦٧ وعمره سنة واحدة وحسب، عقب تنازل امه الملكة السيئة الطالع ميري الاسكتلندية. وكان والده لورد دارنلي التعبس، وهو شخصياً نسيب الملكة اليزابث.

وتربع على العرش في سلالة ستيوارت، وعُرف باسم دجيمس الاول

الانكليزي، بصفته من ذرية الملك هنري السابع. وكان يعتز بإتقانه سياسة الملك، في حين كان في الواقع، قليل الخبرة في الدبلوماسية، بحيث وصفه احد الساسة الفرنسيين بـ«أنه اكثر المجانين حكمةً في اوروبا». وترك بعد وفاته البلاد فقيرة بعد ان كانت غنية، فضلاً عن ان تبذيره اقلق الكثيرين من رعاياه. ومع ذلك كان اول ملك يحكم انكلترا واسكتلندا معاً، وقد أبرم هذا الاتحاد في السنة ١٧٠٧.

١٦٠٤
لوبه دو فيغا يضع مسرحية «حاجّ في وطنه»

خلال القرن السادس عشر، توقف الكتّاب الاسبان عن تقليد كتّاب فرنسا وايطاليا، وظهر اسلوب جديد من الكتابة الاسبانية. وكان لوبه دو فيغا مجدّداً عظيماً في هذا النمط الكتابي. وقد عاش بين السنة ١٥٦٢ - ١٦٣٥، ووضع حوالى ألفي مسرحية، وهو رقم قياسي لم يسجله اي كاتب من قبل او من بعد. اما مسرحيته «حاجٌ في وطنه» فهي قصة شعرية من نوع الرومانس، يغلب عليها الطابع البطولي أو المغامر، وتمثّل أصدق تمثيل شعر لوبه دو فيغا الموسيقي المتدفق، والسهل.

١٦٠٥
مؤامرة البارود

على الرغم من كون امه كاثوليكية، فان الملك دجيمس الاول تربّى تربية بروتستانتية صارمة. وعقب اعتلائه العرش مباشرة السنة ١٦٠٣ حيكت خيوط مؤامرة لاغتياله، كان ابطالها بعض الاشخاص المتعصبين لكاثوليكيتهم.



غاي فوكس.

وقد اقنع احدهم توماس ونتر شخصاً يدعى غـاي فوكس (١٥٧٠ - ١٦٠٦)، كان يحارب آنذاك في الفلاندر، بالانضمام اليهم. ووضعوا خطة تقضي بنسف مبنى البرلمان يوم التئامه في ٥ تشرين الثاني ١٦٠٥، فيقُضَى هكذا على الملك ووزرائه، فتؤول اذ ذاك السلطة الى المتآمرين إثر الفوضى التي ستنجم حتماً عن ذلك العمل.

وفي اللحظة الاخيرة، مع ذلك، اطلع احد المتآمرين صهره على المؤامرة، وهذا بدوره اطلع السلطات، ففتُشت الاقبية تحت المبنى المذكور في ٤ تشرين الثاني. واكتُشف فوكس نفسُهُ بالقرب من عدد من براميل البارود، وعثُر في جيبه على فتيل التفجير. وقد أُعدم فوكس وسبعة آخرون في ٣١ كانون الثاني ١٦٠٦، إلاّ أنه يُحتفل بذكراه سنوياً منذ ذلك التاريخ.

١٦٠٨
ليبرشي يخترع التلسكوب

يُعتقد ان اول تليسكوب في العالم صنعه ايضاً رجل هولندي من صانعي المناظير في مدينة ميدلبورغ يدعى هانس ليبرشي. فقد امسك بعدستي منظار معاً وصوّبهما نحو برج الكنيسة، فظهر له اقرب مما هو الواقع. فوضعهما في انبوب صنعه بنفسه، وباعد قليلاً بينهما... فإذا به يصنع التليسكوب ـ أو المقْراب، وقد أخذ العالم الايطالي غاليليو الفكرة وحسّنها.



١٦٠٩
كبلر والحركات الكوكبية

فتح يوهان كبلر (١٥٧١ ـ ١٦٣٠) عينيه للنور في بلدة فايل، في ألمانيا، وخلف الفلكي تيخو براهه كأستاذ للرياضيات وعلم الفلك في جامعة براغ، وكان قد نشر سابقاً، وهو بعد في الحادية والعشرين من عمره، كتابه المسمى «بروDوموس».

في البدء اعتمد كبلر كثيرًا على معلمه براهه، وقد نشر اكتشافه الهامّ السنة ١٦٠٩، والقائل إن كل كوكب يتبع مداراً إهليليجياً، لا دائرياً. وبيّن أيضاً ان خطاً يُرسم من وسط الكوكب الى الشمس يتطلب الوقت نفسه لينتقل الى مناطق متساوية في القطع الناقص، وأن تربيع مدة دوران الكوكب متناسبة مع تكعيب متوسط مسافته الى الشمس. وهذه القوانين هي اساسية في علم الفلك الحديث.

١٦١٢
دونّ ينشر «اغانٍ وسونيتات»

كان دجون دونّ (١٥٧٣ - ١٦٣١) اول الشعراء التجريديين الانكليز. فقد كان شعر الحب والغزل الذي نظمه مَنْ سبقة من الشعراء منهجياً ومتكلّفاً، ولكن دونّ كتب بنبرة عميقة وجافة، وناضجة. وقد عبّر عن عاطفته وعلاقة الانسان بالله في ديوانه «أغانٍ وسونيتات» بلغةِ الحديث العادية وأوزانها، سوى ان التشابيه والرموز المثيرة التي استعملها تزيد من عمق شعره وجماله.

١٦١٣
أولُ سلالة رومانوف

غزا البولونيون روسيا السنة ١٦٠٩، وفي السنة التي تلت نصّب فلاديسلاف، ابن ملك بولونيا، نفسَه قيصراً، في حين استولى السويديون على عدد من المدن الروسية. واتحد شعب روسيا معاً لطرد الغزاة، وفي تشرين الاول ١٦١٢ استعاد السيطرة على بلاده. واختير ميشال رومانوف، ذو الخمس عشرة سنة، ليكون قيصر روسيا، فتأسست بذلك سلالة مالكة روسية جديدة دام حكمها حتى السنة ١٩١٧.

١٦١٥
اينيغو دجونز يصبح مسّاحاً عاماً

كان اينيغو دجونز (١٥٧٣ - ١٦٥١) ابن صانع ألبسة، الا انه اصبح احد اعظم المهندسين المعماريين في بريطانيا. ظهرت موهبته الفنية في سن مبكرة،

فأوفده سيده وراعيه الايرل اوف آرنْدل للدراسة في ايطاليا، ولكنه تحوّل من رسم المناظر الطبيعية الى دراسة فن العمارة، وتأثر بصورة خاصة بالايطالي اندريا بالاديو.

وطارت شهرة دجونز الهندسية، فاستدعاه ملك الدانمرك كريستيان الرابع لوضع التصاميم للقصرين الملكيين في روزنبرغ وفريدريكسبورغ. وفي السنة ١٦٠٤ عيّن مهندساً معمارياً للبلاط الملكي في انكلترا، حيث صمم كذلك الملابس والزخارف للحفلات التنكرية التي كانت تقام فيه. وعُيّن فيما بعد مسّاحاً عاماً، فوضع الخرائط الهندسية لمبانٍ رائعة من مثل صالة المآدب، وهوايتهول، ومستشفى غرينتش. وفي زمن حكم كرومويل اضطُر الى دفع رسوم باهظة لأنه كان من رجال حاشية الملك تشارلز الاول، فقضى في فقر مدقع.

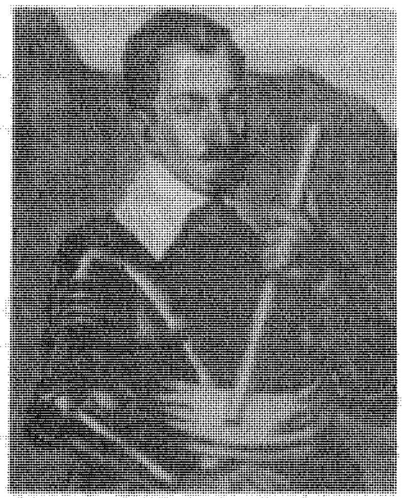
١٦١٧
بن دجونسون يصبح اول امير للشعراء

مكافأة له على خدماته للشعر والمسرحية، كوفيء الاديب الانكليزي بن دجونسون (حوالى السنة ١٥٧٣ ـ ١٦٣٧) في السنة ١٦١٧ بمعاش سنوي قرّره له الملك دجيمس الاول، فأصبح بذلك أول امير للشعراء في انكلترا فعلاً، وإن لم يكن اسماً. وتسجّل مسرحياته المشاهد المعاصرة، وتشكل نقداً لاذعاً للبشرية. ومن اشهر مسرحيات دجونسون نذكر «الخيميائي» و«معرض برثولوميو»، الموضوعتين في السنة ١٦١٠ و١٦١٤.

١٦١٨
اندلاع «حرب الثلاثين سنة»

منذ السنة ١٥٥٥ انقسمت المانيا إلى معسكرين: اللوثريين، وقد ألّفوا





معركة لوتزن: غوستافوس ادولفوس (فوق) هزم القائد اللامع فالنشتاين، (إلى اليمين) .

« اتحاداً » بروتستانتياً ، والكاثوليك الذي ألّفوا « عصبة » كاثوليكية . ثم جرى في بوهيميا حدث أطلق شرارة الحرب التي عُرفت باسم « حرب الثلاثين سنة » .

بدأت عندما احتجّ الزعماء التشيكيون في براغ على حكم آل هابسبورغ الكاثوليكي الصارم، فطردوا موظفيهم الحكوميين، وانتخبوا ملكاً عليهم فريديريك ، وهو امير من مقاطعة بالاتين ، وبروتستانتي ، ومن الامراء الجرمان المؤهلين لاختيار رأس الامبراطورية الرومانية المقدسة . ومع ذلك ، فقد جرت

بعد فترة قصيرة معركة في الجبل الابيض السنة ١٦٢٠ ، وهُزم فريديريك ، وبدا ان الثورة انتهت .

غير ان الحرب التي كانت ابتدأت في بوهيميا ما لبثت ان تحولت الى نزاع اوروبي . فتزعّم الملك كريستيان الدانمركي (١٥٧٧ ـ ١٦٤٨) قيادة اتحاد بروتستانتي ضد جيش قوي من عصبة الكاثوليك بقيادة الكونت تيلي والجنرال الامبراطوري فالنشتاين . وهُزم الملك كريستيان ، واستُبدل بالملك غوستافوس ادولفوس السويدي (١٥٩٤ ـ ١٦٣٢) . وجرت معركة اخرى في برايدنفيلد السنة ١٦٣١ كاد ادولفوس يدمّر فيها قوات تيلي ، وانتقم لنهبه مدينة ماغديبورغ قبل اربعة اشهر .

ثم فقدت الحرب بعد ذلك طابعها الديني ، لترتدي طابع الصراع السياسي . وتوالت المعارك الواحدة بعد الاخرى ، وغاصت اوروبا ، في معظمها ، في فوضى شاملة ونزاعٍ قاسٍ ، حتى انتهت تلك الحرب السنة ١٦٤٨ بموجب معاهدة فستفاليا .

١٦١٨

فان دايك يصبح عضواً في عصبة الرسامين

كان الرسام الهولندي المولد انطوني فان دايك (١٥٩٩ ـ ١٦٤١) ما يزال في التاسعة عشرة من عمره عندما اصبح عضواً كاملاً في عصبة انتويرپ للرسامين . فلما زار انكلترا اصبح رسامًا في بلاط الملك تشـارلـز الاول ، الذي منحه لقب « سر » . وتشمل لوحاته الفنية الشهيرة رسم الملك تشارلز على صهوة جواده ، واخرى للملك نفسه مع زوجته الملكة هنرييتا ماريا ، واولادهما .

١٦١٨

اعدام السر ولتر رالي

اصبح ولتر رالي المولود في السنة ١٥٥٢ من رجال بلاط الملكة اليزابث .

وعلى ما تروي الاسطورة لفت انتباه الملكة عندما بسط، بكل شهامة، رداءه امامها فوق وحول الطريق لتعبر عليه. وسرعان ما بات من اكثر افراد الحاشية حظوة لديها، ورجلها المفضّل. وفي السنة ١٥٨٥ ارسل اسطولاً الى اميركا لتأسيس مستعمرة فرجينيا، وقد أُطلق عليها هذا الاسم تيمنا بالملكة العذراء ـ وهو لقب الملكة اليزابث الاولى.

وقد حلّ محله في البلاط الايرل اوف ايسيكس ردحاً من الزمن، فارتحل الى ايرلندا في هذه الاثناء، ولكنه عاد فنعم بالحظوة السابقة لديها.

وعقب وفاتها، أيقن رالي ان لا مكان له تحت حكم ملكٍ من آل ستيوارت. وسُجن مدة من الزمن بتهمة الخيانة، فاغتنم تلك الفرصة لكتابة مؤلفيه «تاريخ العالم» و«مقالة حول الحرب».

وأُطلق سراحه للبحث عن «إل دورادو» ـ او ارض الذهب، ولكنه اخفق، فلما رجع من حملته الاستكشافية هذه، حُكم عليه بالموت، وأُعدم السنة ١٦١٨.

١٦٢٠

رحلة مايفلاور

«البيوريتانيون» هو الاسم الذي أُطلق في انكلترا على عهد الملكة اليزابث الاولى على جماعة في القرنين السادس عشر والسابع عشر طالبت بتبسيط طقوس العبادة وبالتمسك الشديد بأهداب الفضلية.

وكان الملك دجيمس ضدهم، وإثر عدد من حوادث الاضهاد، اضطُر الكثيرون منهم الى مغادرة انكلترا والاقامة في لايدن، في هولندا، السنة ١٦٠٨، الا أنهم ألفوا الحياة الصناعية التي ينبغي لهم ان يمارسوها لا تروقهم، فقرروا بداية حياة جديدة في العالم الجديد.

وحصلوا، في نهاية المطاف، على إذن من شركة فرجينيا، يسمح لهم بالاستيطان في اميركا الشمالية. وهكذا ابحرت سفينتهم «مايفلاور» في ٦ أيلول ١٦٢٠ وعلى متنها مئة وشخصان من الرجال، والنساء، والاولاد، كانوا يتطلعون الى حياة جديدة في اميركا. وكانت رحلةً شاقة وخطرة، فالطقس كان خشناً. ووصل هؤلاء المهاجرون الانكليز الذين انشأوا اول مستعمرة في نيو إنغلاند في الولايات المتحدة السنة ١٦٢٠ مرهقين وبائسين، لا يقويّهم على تجشم الصعاب الا ايمانهم الذي كان يشدّهم بعضهم الى بعض.

١٦٢٤
ريشيليو يصبح رئيساً للوزراء

اصبح ارمان دو ريشيليو (١٥٨٥ - ١٦٤٢) كاردينالاً السنة ١٦٢٢، ثم بعد سنتين اصبح رئيساً للوزراء في فرنسا على عهد الملك لويس الثالث عشر (١٦٠١ - ١٦٤٣). وكانت مطامحه واضحة، وهي مضاعفة عظمة فرنسا، وحصر كل السلطة بين يديّ الملك ويديه شخصياً. وقد حقق كل ذلك على الرغم من انه ظلم الشعبَ وأرهقه بالضرائب، وحرمه الكثير من حرياته المحلية. ويمكن اعتباره مؤسس المَلَكيّة المطلقة التي بلغت ذروتها في ظل حكم الملك الشمس، لويس الرابع عشر.

كانت أولى مهام ريشيليو كبح قوة النبلاء الذين كانوا يتمتعون باستقلال فعلي عن السلطان الملكي. وقد ادّت مؤامراتهم لإنزال لويس الثالث عشر عن العرش، وقتل ريشيليو الى اصدار هذا الاخير الامر بتدمير قصورهم وقلاعهم، ومنع الصراعات الشخصية. وفي السنة ١٦٣٠ أحبط محاولة قامت بها الملكة الام ماري دو ميديسيس، وكانت تقضي بأن يدبّر النبلاء الاطاحة به. ففرت هي الى بروكسل، وسُجن عدد من النبلاء او أُعدموا.

وفي سياسته الخارجية كان ريشيليو عدوانياً كذلك، ومصمّماً على محاربة التهديد الذي كان يشكله آل هابسبورغ، حكام النمسا. وبموجب معاهدة فستفاليا في السنة ١٦٤٨، جعل من فرنسا قوةً قادرة على السيطرة على مفاوضات الصلح.

١٦٢٤
دربْل الهولندي يخترع الغوّاصة

يعتبر الدكتور كورنيليوس فان دربل الهولندي، الطبيب الخاص لملك انكلترا دجيمس الاول، اول مخترع للغواصة. فقد بدأ اختراعه بغواصة صغيرة من خشب، وقطع بها المسافة القائمة بين وستمنستر وغرينتش، تحت الماء. وبذلك حقّق عملياً حلماً كان سيظهر، لا ريب، في مخيّلة جول فيرن في القرن التاسع عشر.

ويظهر ان اختراع فان دربل كان بهدف قومي، إذ كان يرمي من وراء هذا الاختراع إلى فك الحصار الذي كان قد ضربه الأسطول الفرنسي على الموانىء الهولندية آنذاك. وتبعت جهودَ فان دربل جهودٌ اخرى في القرنين الثامن عشر والتاسع عشرَ، تارةً مع بَشْنِلْ وفَلْتون الاميركيّين، وطوراً مع نوردنفلدت السويدي، ثم مع دجون هولاند الاميركي، الايرلندي الاصل.

١٦٢٥
الرسام روبنس ولوحة «عبادة المجوس»

لعلّ بيتر بول روبنس (١٥٧٧ - ١٦٤٠) اعظمُ الرسامين الفلمنكيين على الاطلاق. ذهب السنة ١٦٠٠ الى ايطاليا حيث درس اعمال تيسيانو وفيرونيزي.

وفي هذه البلاد التي اشتهرت بفنها وفنانيها من الرسامين الكبار، وُضعت أسُس اسلوبه في الرسم. ومن اشهر لوحاته الفنية الخالدة «عبادة المجوس» و«انتقال العذراء».



١٦٢٧
حصار لا روشيل

أثناء حملة ريشيليو على الهوغونو، بدأ حصارًا للمدينة البحرية الكبيرة لا روشيل، وكانت في الوقت نفسه مركز البروتستانتية الفرنسية. فلما ظهرت قواته لجأ الهوغونو الى فرنسا طالبين العون والمساعدة، فهرع على الفور الدوق بكنغهام على رأس اسطول بحري مؤلف من اثنتين وأربعين سفينة حربية، وجيش قوامه سبعة آلاف جندي من المشاة والخيالة لمعالجة الموقف. فلما وصل رفض، مع ذلك، سكان لا روشيل السماح له بالنزول الى اليابسة، معلنين انهم لا يودون ان يُظهروا أي عداء لمليكهم.

فحوّل الدوق بكنغهام، اذ ذاك، اهتمامه الى جزيرة ري، فألقى

الفرنسيون بقوة اكبر في الميدان، فنزلت به هزيمة نكراء، وقضى اكثر من نصف عدد رجاله في المعركة. وعاد الى انكلترا بعد قليل ليواجه نقمة الشعب واحتقاره.

١٦٢٨
عريضة الحقوق

خلال حكم الملك تشارلز الاول الانكليزي (١٦٠٠ - ١٦٤٩) غالباً ما لم يكن ينتظر البرلمان ليوافق على جمع المال، بل كان يلجأ الى لجنة للقيام بهذا العمل. فلما نفرت هذه اللجنة في النهاية من جمع المال دون موافقة الحكومة، أصدر امراً في ٢٨ شباط ١٦٢٨ يفرض فيه رسماً على السلع، مما اغضب التجار وجعلهم ضده، وجعل الشعبّ في انكلترا ينتخب ممثلين اقوياء عنه لاحتلال مقاعدهم في البرلمان في الانتخابات التالية. ولما التأم المجلس الجديد المؤلف من اربعمائة نائب، وبينهم اشخاص من امثال كرمويل، وهامبدين، وبيم، ظهر جلياً ان أمثال هؤلاء الرجال يمكنهم الوقوف في وجه الملك عندما يتصرّف بطريقة غير دستورية.

واصدر البرلمان عريضة تحدّد الحقوق، وأجبر الملك على توقيعها. الا انه في السنة ١٦٣٤ - ١٦٣٥ نقض الملك هذا القانون عندما أمر المدن غير البحرية بدفع «ضريبة السفن»، وهي ضريبة تفرض في أيام الحرب على المرافىء وغيرها لتعزيز الأسطول الوطني. وقد أصبح هذا العمل قضية مهمة بين الملك والبرلمان.

١٦٢٨
هارفي يكتشف الدورة الدموية

في السنة ١٦٢٨ نشر الطبيب الانكليزي وليام هارفـي (١٥٧٨ - ١٦٥٧)

كتابه عن حركات القلب والدم، وفيه وصفٌ للقلب كمضخّة تجعل الدم يدور في كل اجزاء الجسم.

لما بلغ هارفي العشرين من عمره، اوفده والده ليدرس الطب في مدينة بادوى الايطالية، فدرس علم التشريح. وبقي فيها خمس سنوات، عاد بعدها الى انكلترا طبيباً ماهراً. والواقع ان حركة القلب والدم عُرفت منذ ابعد الازمنة، فالطبيب والعالم العربي ابن النفيس (١٢١٠ - ١٢٨٨) كان أولّ من نفذ ببصره الى اخطاء جالينوس ونقدها. ثم جاء بنظرية الدورة الدموية قبل سرفيتوس الاسباني بثلاثمائة سنة وقبل هارفي الانكليزي باربعمائة سنة. وفي ايطاليا وبمساعدة غاليليو عُمل الكثيرُ في حقل النبض. وسرفيتوس كتب عن دورة الدم عبر الرئتين، كما اكتشف سِلْفيوس الصمّامات في الاوردة والعروق، ووصفها. اما مساهمة هارفي في هذا الحقل فهي انه واصل العمل الذي اضطر سرفيتوس ان يتركه، والعمل الذي لم يستطع سلفيوس ان يواصله، فقال ان الدم يجري في سيلٍ متواصل عَبْرَ كلِ اجزاء الجسم من القلب، ويعود من جديد الى القلب. وقال أيضاً إن تقلّص القلب يدفع الدم خارجاً، وعندما يسترخي هذا القلب يجري الدم اليه ويملأه. وقد دفن نظرية جالينوس عندما اظهر ان لا علاقة بين الجانبين الايمن والايسر من القلب إلاّ من خلال الرئتين: ومن ذلك ظهر علم الفسيولوجيا كله.

١٦٢٨

بيتر هاين يستولي على الاسطول الفضي

خلال القسم الاول من القرن السابع عشر، أضحت هولندا دولةً قوية ومزدهرة، تدرّ عليها مستعمراتها التجارية الكبيرة في جزر الهند الغربية والشرقية المداخيل الضخمة. وكانت قد عقدت هدنةً مزعزعة مع اسبانيا التي

حكمت هولندا ردحاً من الزمن، ولكن الحربَ ما لبثت ان نشبت مجدداً بين البلدين في السنة ١٦٢١.

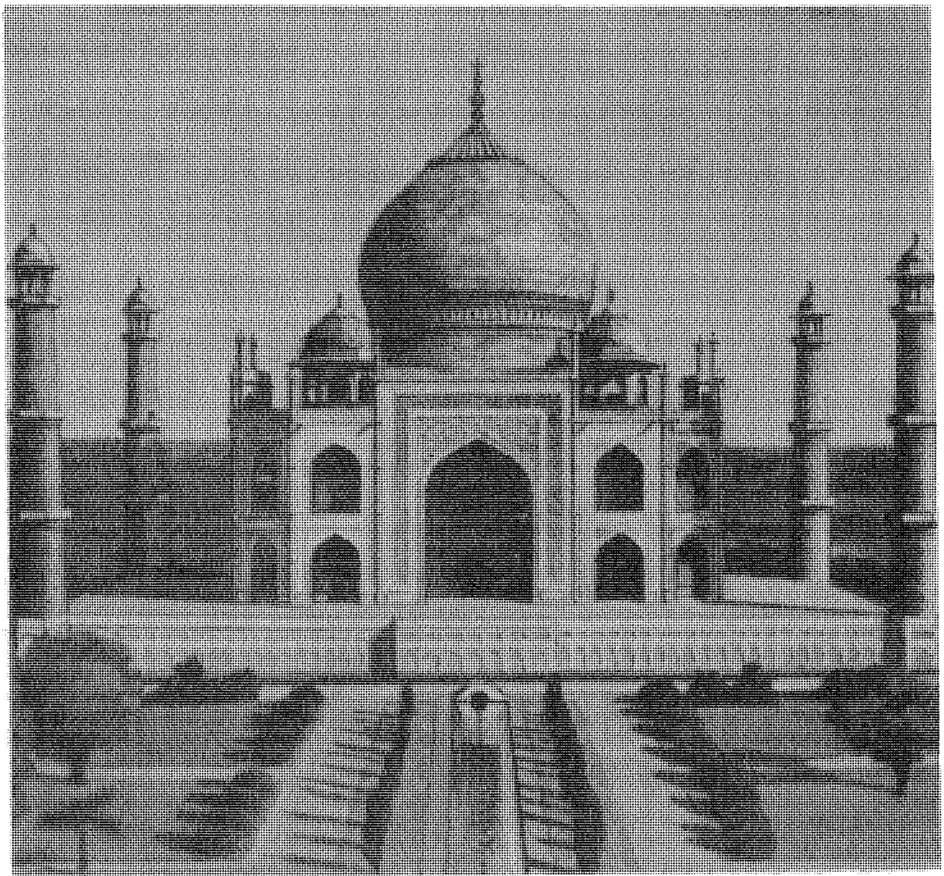
ونشطت الاساطيل البحرية الهولندية، وراحت تغرق كل سفينة اسبانية تصادفها، وكان اكبر نجاح حققته في ايلول ١٦٢٨ عندما استولى احد امراء البحر الهولنديين بيتر هاين الشهير ببيت ـ الاسطول الاسباني بأسره الذي كان يحمل سبائك من مناجم الفضة في اميركا.

ومن الانتصارات الاخرى في الحرب الهولندية ـ الاسبانية معركة داونز التي جرت السنة ١٦٣٩ عندما سحق اسطول هولندي بقيادة امير البحر الشهير مارتن فان ترومب (١٥٩٧ ـ ١٦٣٥) الاسطولَ الاسبانيَّ محققاً بذلك التفوق البحري الهولندي.

١٦٣٢
شاه جهان يشيّد تاج محل

يُعتبر ضريح تاج محل المبني بالرخام الابيض الذي ينتصب على ضفة نهر جومنا في ضواحي أكرا في الهند، اجمل مثال لفن العمارة الاسلامي. فهو يقوم على مستطيل بطول ٥٨٠ متراً وعرض ٣٠٤ امتار. وتقوم على جانبي القبة الرائعة الزخرفة، وهي على شكل بصلة، في هذا الضريح ذي الثماني زوايا واضلاع اربعُ قباب اصغرَ حجماً وعند كل زاوية من المستطيل تنتصب مئْذنة رفيعة. ويعكس المبنى بمجمله حوضُ ماء تحيط به أشجارُ السرو.

امر الامبراطور المغولي شاه جهان في السنة ١٦٣١ ببناء هذا الضريح الفخم الجميل ليضمّ جثمان زوجته الصبية الحسناء تاج محل التي ماتت وهي في حالة الوضع. وشُرع بالبناء في السنة التالية، فاستغرق العمل فيه اثنتين وعشرين سنة كاملة، وبلغ عدد العمال العشرين ألفاً. اما داخل الضريح فمزخْرَفٌ مثلَ



تاج محل.

خارجه، وقد أُنزلت في الرخام حجارة شبهُ ثمينة. ويقوم في وسطه قبر اجوف مزخرف، وتحته مدفن يرقد فيه شاه جهان وزوجته تاج محل.

١٦٣٣
برنيني وضريح القديس بطرس

كان جيوفاني برنيني (١٥٩٨ ـ ١٦٦٠) آخر العباقرة الكونيين الذين

انجبتهم النهضة الايطالية. كان مهندساً معمارياً، ورساماً، وروائياً مسرحياً. ويشتهر بخاصة بمنحوتاته الرائعة، وعمله في كاتدرائية القديس بطرس في روما.

كانت تقوم فوق ضريح القديس بطرس كنيسةٌ منذ عهد الامبراطور قسطنطين الذي توفي في السنة ٣٣٧. ولكنها هُدمت السنة ١٥٠٦ لإقامة كاتدرائية القديس بطرس الحالية. وكانت الكنيسة تُوسَّع باستمرار. وفي السنة ١٦٢٤ صمّم برنيني، وكان في السادسة والعشرين من عمره آنذاك، المِظلّة البرونزية المذهّبةَ الضخمةَ التي تقوم فوق قبر القديس بطرس في قلب المبنى.

وقد أُنجزت هذه الرائعة الهندسية السنة ١٦٣٣، وهي تتألف من اربعة اعمدة ملتوية، وظِلّة مزخرفة بأناقة ووفرة بنقوش الملائكة، وأكاليل الغار، والنحل، والشعارات البابوية. وصمم برنيني نفسُه فيما بعد صَفّ الاعمدة الذي يحيط بالساحة امام الكاتدرائية، وهو على شكل ثقب المفتاح، كما نَحت الكثير من القطع لتزيين الداخل.

١٦٣٥
تأسيس الاكاديمية الفرنسية

وُصف السياسي الفرنسي الداهية ريشيليو (١٥٨٥ - ١٦٤٢) بأنه لم يكن له حليف الا شخصيته الفذة. كان عنيداً، وعادلاً، وذا ارادة من حديد. وعلى الرغم من انه لم يكن قوياً بدنياً، الا ان جسمه الهزيل المكسو بملابس الكرادلة الحمراء القرمزية كان يفرض الاحترام والطاعة، حتى من اولئك الذين كانوا يكرهونه ويهابونه. وقد عاش حياة بذخ وفخفخة بعد ان حالف النجاح المادي سياسته.

كان ريشيليو تواقاً الى الشهرة الادبية، ولكن عطفه على الادباء، ومن

ابرزهم بيير كورناي، كان اهم من كتاباته. وهو مؤسس الاكاديمية الفرنسية السنة ١٦٣٥، وباني العديد من بنايات السوربون.

بأمر من الملك لويس الثالث عشر، تأسست الاكاديمية الفرنسية السنة ١٦٣٥، وهي السنة نفسها التي أعلن فيها ريشيليو الحرب على اسبانيا. وكانت هذه الاكاديمية قد بدأت اعمالها قبل بضع سنوات عندما اتفق نفرٌ من الكتّاب والشعراء على الاجتماع مرة في الاسبوع، وقراءة آخر اعمالهم ومناقشتها.

وكان المفروض ان تكون الاجتماعاتُ سريةً، ولكن ريشيليو الذي لم يكن يفوته شيء، ما لبث ان عرف بأمرها، وبأمر المجتمعين فيها. فلما اقتنع بأن اجتماعاتهم غير سياسية، عرض ان يحوّل تلك الجماعةَ الى جمعية معترف بها رسمياً. وأبلغ الملك بذلك، فصدرت بالتالي الرخصة الرسمية بانشاء الاكاديمية الفرنسية في ٢٩ كانون الثاني ١٦٣٥.

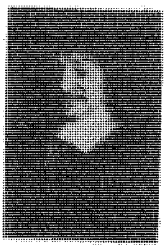
وتشكلت لجنة لها رئيسٌ، وعُيّن ريشيليو شخصياً راعيها الرئيسي، لتأمين تحررها من تدخّل اي هيئات مماثلة. وكان من اعظم منجزات الاكاديمية الجديدة قاموسُ اللغة الفرنسية الذي بُـدِئ به السنة ١٦٣٩، وظهرت اولى طبعاته السنة ١٦٩٤.

١٦٣٧
تقديم مسرحية «السيّد» لكورناي

كان الروائي المسرحي بيير كورناي (١٦١٦ - ١٦٨٤) احد الشعراء الخمسة الذين كلّفهم الكاردينال دو ريشيليو كتابة مسرحيات تحت اشرافه. وكانت أشهر مسرحياته تلك المسمّاة «السيّد»، وهي مأساة عُرضت امام الجمهور للمرة الاولى السنة ١٦٣٧، وتشكّلُ معْلمةً في تاريخ المسرحية الفرنسية. وقدّمت موضوعاً مفضّلاً لدى كوناي، هو التنازع بين العاطفة والشرف في داخل النفس البشرية.



السيّد أمام فالنسيا.



١٦٣٧
ديكارت : «أنا أفكّر، إذن انا موجود»

قال المفكر والفيلسوف والعالم الرياضي الفرنسي رينه ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠) في مؤلفه «خطاب حول الطريقة» ان كل شيء ينبغي الشك فيه، في السعي وراء الحقيقة المجرّدة. وبيّن ان الحواس تخدعنا، إلاّ انه كان ثمة شيء واحد هو واثق منه تماماً الا وهو: «انا افكّر، اذن انا موجود». ومما قاله ديكارت في هذا الصدد أيضاً إن التفكير المنهجي ينبغي ان يكون اساس كل معرفة.

١٦٣٨
وفاة جانسنْ

كورنيليوس جانسن (١٥٨٥ ـ ١٦٣٨) كان رجل دين هولندياً ومدرّساً للاهوت. وبعد ان درس ثم علّم في عدد من الجامعات انتقل الى مدينة لوفان، في بلجيكا، ليتولى الاشراف على مدرسة اكليريكية.

بدأ عمله بكتابة مؤلفه « اوغسطينوس »، وهو دراسة في فلسفة القديس اوغسطينوس اللاهوتية، فشغله طوال حياته. وعُرفت مبادئه فيما بعد باسم الجَنْسينية، وقد شغلت فرنسا خلال ما تبقّى من القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر.

١٦٤٢
اندلاع الحرب الاهلية في بريطانيا

بلغ الصراع بين الملك تشارلز الاول والبرلمان الانكليزي الذروة، لأنه كان يؤمن بالحق الالهي للملوك، في حين ان البرلمان كان يؤمن بالحق الديمقراطي للمواطنين الانكليز في ان يُحكموا من قبل ممثليهم المنتخبين. ووسّعت « ضريبة السفن » التي سبق ان فرضها الملك السنة ١٦٣٥ شقة الخلاف بينه وبين البرلمان.

واضطُر الملك الذي كان على شفا الافلاس الى دعوة البرلمان للانعقاد، ولكنه لما حاول القاء القبض على خمسة من اعضائه، دُفعتْ انكلترا الى حرب اهلية دامت من السنة ١٦٤٢ حتى السنة ١٦٤٩. وفي البدء كانت كل الانتصارات ملكية، فقد كانت الخيّالة التي يقودها ابن اخي الملك، الامير روبرت، تكتسح الجنود القليلي السلاح، ومعظمهم من الفلاحين.

غير أن خصمه كرومويل راح يعبّىء، تدريجياً، جيشاً قِوامه محاربون اشداء خشنون، حسنو التدريب عُرفوا باسم «الآرنسايـديين»، تيمّنـاً بلقـب كرومويل نفسه، «آرنسايـد». وحققوا سلسلة من الانتصارات المهمة في المعارك الشهيرة مارستون مور (١٦٤٤)، ونايسبي (١٦٤٥)، وبريستون، وكولشستر (١٦٤٨).

ولجأ الملك تشارلز الى اسكتلندا، الآ انه سُلّم فيما بعد إلى أعدائه.

١٦٤٢
تَسْمان يكتشف ارض ديمن

في السنة ١٦٠٦ ابحر فيليم يانس على طول السواحل الشمالية الغربية لاوستراليا وغينيا الجديدة، ظناً منه انهما الجزء نفسه من الارض. وفي السنة ١٦١٦ ابحر لويس دو توريس عبر المضايق التي اعطاها اسمه، في حين اكتشف جنوب غرب اوستراليا رحالتان هولنديان ايضاً هما ديرك هارتوغجون السنة ١٦١٦، وكورنيليس دو هوتمان السنة ١٩١٩.

ثم ظهر اعظمهم على الاطلاق آبيل تسمـان (حوالى ١٦٠٣ - ١٦٥٩). أبحر من المستعمرة الهولندية في باتافيا علـى طـول سـاحـل غينيـا الجـديـدة. واكتشـف كلاً من زيلندا الجديدة وتَسْمانيا في طريقه. وقد سمّى هذه الجزيرة الاخيرة «ارض فان ديمـن» - على اسم حاكم جزر الهند الهولندية الشرقية. ولكن في السنة ١٨٥٣ اعاد البريطانيون تسميتها باسم مكتشفها، اذ دَعَوْها تسمانيا.

١٦٢٤
رامبرانت يرسم لوحة «الحارس الليلي»

يعتبر رامبرانت فان ريجن (١٦٠٦ - ١٦٦٩) احد اعظم الرسامين في

العالم. ابصر النور في مدينة لايدن في هولندا، ولكنه استقرّ في امستردام حيث تأثر تأثراً كبيراً بفن الرسم الايطالي، وبصورة خاصة بأعمال كارافاجيو. وتشمل روائعه الفنية «الحارس الليلي» و«حُجاج في عماووس»، والكثير من اللوحات لأشخاص بلغوا سن الشيخوخة.

١٦٤٣
مازاران يصبح رئيساً لوزراء فرنسا

عندما توفي الملك لويس الثالث عشر السنة ١٦٤٣ كان ابنه لويس الرابع عشر ما يزال في سن الخامسة، فأصبحت أمّه آنّ النمساوية، الوصيّة على العرش. وكان ريشيليو العظيم قد توفي قبل سنة واحدة، وقد رجا وهو يلفظ انفاسه الاخيرة ان يعيّن خلفًا له مازاران.

ونُفّذت رغبات ريشيليو، ولم يمضِ طويل وقت حتى اصبح مازاران الحاكم الفعلي لفرنسا، بعد ان تركت له الوصيةُ على العرش، بحكمةٍ وتعقّل، تسيير شؤون البلاد اثناء فترة قصور ابنها لويس.

ومازاران (١٦٠٢ - ١٦٦٢) لم يكن قط رجلاً محبوباً من الشعب. فهو اصلاً من جزيرة صقلية، وقد أوكل اليه البابا اوربان الثامن عدداً من المهمات الدقيقة، فبات الفرنسيون يحاذرونه، ولا يثقون به. وقد اصبح فرنسياً بالتجنّس، وَقِبلَ باقتراح ريشيليو بالانضمام الى البلاط الفرنسي.

وكان اهمَّ اعماله لدى وفاة ريشيليو وضعَ حدٍّ لحرب الثلاثين سنة بمعاهدة فستفاليا السنة ١٦٤٨، على الرغم من ان الحرب تواصلت بين فرنسا واسبانيا.

١٦٤٤
تأسيس سلالة مانتشو

انتهى حكم سلالة منغ الصينية عندما زحفت عصابات شرسة من الغزاة من

الشمال تدعى مانتشو الى الصين، وطردت السلالة الحاكمة الضعيفة. كانت في الاصل مجموعة سائبة من القبائل، ما لبثت ان انصهرت في قوة محاربة واحدة موّحدة، بقيادة نورها تشو.

وبعد وفاة هذا القائد السنة ١٦٢٦، حدثت في الصين قلاقل داخلية عندما استولى على العرش احد المغتصبين، فانتحر الامبراطور الاخير من اسرة منغ ويدعى تشونغ - تشانغ (١٦٢٧ - ١٦٤٤). وضمّ المانتشو قوتهم الى قوة جنرال من اسرة منغ للاطاحة بمغتصب العرش. ولما تمّ ذلك عُيّن احد امراء المانتشو امبراطوراً بدلاً منه. وتلت ذلك فترة ثورة، ولكن ما إن اقبلت السنة ١٦٦٢ حتى ثبّت المانتشو اقدامهم وأمّنوا استمرارَ حكمهم الذي ظل سائداً في الصين حتى السنة ١٩١٢. ولعلّ اهم الاحداث التي جرت خلال حكمهم تضاعفُ عدد الأوروبيين الذين زاروا الصين، على الرغم من ان مرفأً واحداً، وحسب، كان مفتوحاً للتجارة الخارجية من الحرير والشاي والخزف. وقد كان التجار الاوروبيون مقيّدين بالتزام المصانع أو المراكز التجارية.

١٦٤٨
اندلاع حرب الفروند

اسم «الفروند» مشتق من لعبة النُقّافة التي يقذف بها الاولاد الحجارة الصغيرة في «معاركهم» الزائفة. وقد أُطلق الاسم على ثورتين حدثتا في فرنسا إثر فرض رئيس الوزراء مازاران الضرائب الباهظة على الفرنسيين، في وقت كانت شهرته تضعف وتتضاءل.

لم يكن لدى الثوار الفرونديين أيُ برنامج موحّد، وكانت الخصومات تفرّق بين زعمائهم. اما ثورة الفروند الاولى التي جرت السنة ١٦٤٨ فكانت اتحاداً بين الطبقة الوسطى وطبقة النبلاء ويتزعمها البرلمان. فلما أُلقي القبض

على زعيمهم هاجت الجماهير وماجت غاضبةً هادرة، وأقامت الحواجز والمتاريس، ولكن سرعان ما أُعيد الأمن إلى نصابه السنة ١٦٥٠.

واما الفروند الثانية، فقد جرت بين السنة ١٦٥١ و١٦٥٣ عندما سَجَن مسازاران كونده احد الثوّار من النبلاء. وقد حملت مؤامرات سائر النبلاء مازاران على الفرار من باريس، ولكن النبلاء ما لبثوا ان فقدوا شعبيتهم، ووُضع حدٌّ لهذه الحركة الثورية.

١٦٤٩
اعدام الملك تشارلز الاول

لدى عودة الملك تشارلز الاول الى لندن تقرّر تقديمه الى المحاكمة امام محكمة المفوضين، وافتُتحت جلسات المحاكمة في ٢٠ كانون الثاني ١٦٤٩. فلما مثل الملك امام قضاته وُجّهت اليه تهمة التسبّب بكل المآسي التي نزلت بالامة منذ بداية الحرب الاهلية في انكلترا. ومن جهته ادّعى الملك ان المحكمة غير قانونية لأن مجلس العموم ليس محكمة.

ورفض الملك تشارلز الاجابة عن التهمة امام الهيئة القضائية عندما قُدّم مجدداً للمحاكمة في ٢٧ كانون الثاني، وعندها صدر الحكم بإدانته.

ووضعت عليه حراسة مشددة طوال ثلاثة ايام، مع انه سُمح له بتوديع اولاده. ثم في ٣٠ كانون الثاني غادر الملك قصر سنت دجيمس سيراً على قدميه تواكبه حاشية كبيرة. وحُمل الى صالة المآدب في قصر هوايتهول بالقرب من كاتدرائية وستمنستر. فصعد الى منصة الاعدام التي اقيمت وسط الشارع خارجه، وبعد خطبة قصيرة قال: «سأتلو صلوات قصيرة جداً، ثم مدوّا يديّ»، وأهوت فأس الجلاّد، فتعالت زمجرات آلاف الناس المحتشدين في الشارع، ثم تفرّقت الجموع بصمت، وقد اغرق الكثيرون في البكاء.

١٦٥١
هوبز ينشر كتابه «لوياثان»

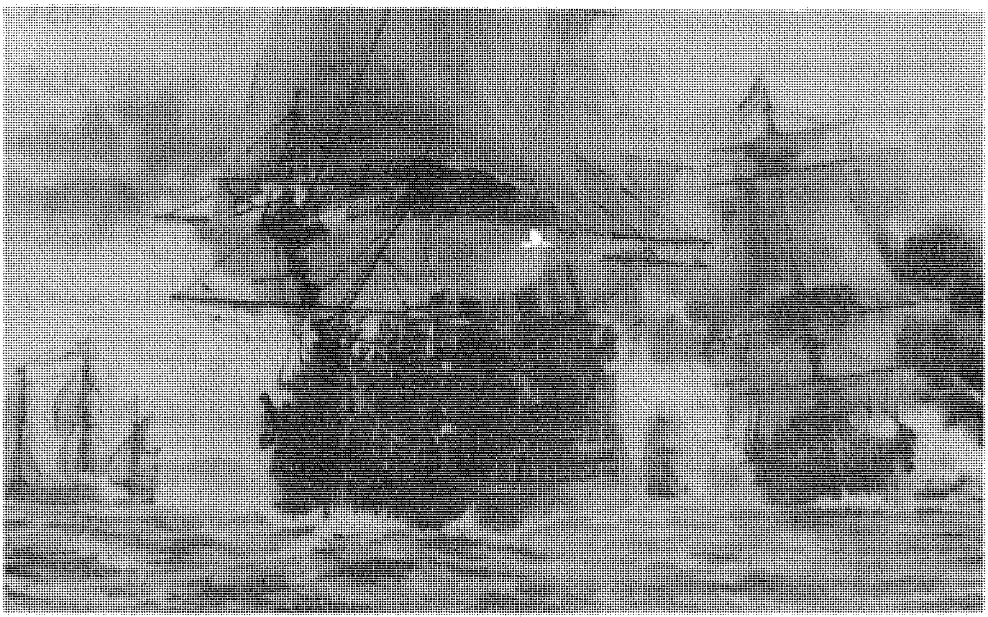
توماس هوبز، فيلسوف انكليزي - ولعله أعظم المفكرين السياسيين في انكلترا على الاطلاق. ولد في ٥ نيسان ١٥٨٨، ودرس في اوكسفورد، واصبح معلماً للامير تشارلز الذي اصبح فيما بعد الملك تشارلز الثاني. وقد نجح في الحياة بهدوء اثناء حكم الكومونويلث او الحكومة الانكليزية في ظل اوليفر كرومويل وابنه رتشارد من السنة ١٦٥٣ الى ١٦٥٩.

اما اشهر اعماله الكتابية السياسية فهو كتابه لوياثان « الذي يناقش اهمية، المَلَكيّة المطلقة، وفيه صوّر الدولة بصورة الوحش البحري الضخم الذي يتحرك بتثاقل ويُعرف باسم لوياثان. وفيه يبسّط التشابة الجزئيّ بين الجسم البشري والمجتمع البشري...

١٦٥٢
اندلاع الحرب الانكلو - هولندية

جرت هذه الحرب بين انكلترا وهولندا في السنة ١٦٥٢، وكانت تجارية صرفاً، ذلك بأن كلاً من الدولتين كانت تغار من نجاح الدولة الاخرى في ميدان التجارة، وبصورة خاصة في بحر الشمال، وفي جزر الهند الشرقية.

بدأت الحرب لما رفض اسطول هولندي في المياه الانكليزية تحية العلم الانكليزي، وما لبثت ان اندلعت نيران الحرب. وقد جرت اولى المعارك البحرية في عرض ميناء دوفر عندما هاجم فان ترومب الهولندي (١٦٢٩ - ١٦٩١) اسطولاً انكليزياً بقيادة الاميرال بلايك (١٥٩٩ - ١٦٥٧) الذي اسر سفينتين هولنديتين.



الحروب الانكليزية ـ الهولندية: التنافس التجاري جرّ إلى عدد من الصدامات بين البحريتين الانكليزية والهولندية.

تلك كانت الحرب الهولندية الاولى، وقد جرت بين السنة ١٦٦٢ و ١٦٦٤ ، والثانية وقد جرت بين السنة ١٦٦٤ و١٦٦٧ وانتهت جميعاً ، الاولى بمعاهدة وستمنستر ، والثانية بصلح بريدا . أما الحرب الثالثة ، وقد استمرت من ١٦٧٢ حتى ١٦٧٤ ، فقد أبحر فيها الأسطول الهولندي الى داخل مدمواي ، وجرّ احدث البوارج الانكليزية. ولم تنتهِ إلاَّ عندما أجبر القائدُ الهولندي وليام اوف اورانج انكلترا على توقيع الصلح.

١٦٥٢
تأسيس مستعمرة الكاب

عاد الرحالة البرتغالي برتولوميو دياز (حوالى ١٤٥٠ ـ ١٥٠٠) من رحلته

الإسكتشافية السنة ١٤٨٨ ، ونشر امام ناظرّي ملك البرتغال خريطة ، وقد اشار فيها الى رأس، او لسان من الارض داخل في البحر وقد كُتب عليه « رأس العواصف ». ومع ذلك ابدل الملك هذا الاسم باسم آخر هو « رأس الرجاء الصالح ». وقد تأسست مدينة الكاب - أو الرأس السنة ١٦٥٢ على يد المستعمرين الهولنديين، ولكن الانكليز استولوا عليها في السنة ١٨٠٦، وأصبحت تلك البلاد جمهورية السنة ١٩٦١.

١٦٥٣
كرومويل يُصبح اللورد حامي انكلترا

أعدم الملك تشارلز الاول في كانون الثاني ١٦٤٩، وفي شهر ايار التالي أسس اوليفر كرومويل (١٥٩٩ - ١٦٥٨) حكومة انكليزية عُرفت بحكومة الكومونويلث الحرة وترأسها.

وعمد بعد ذلك الى القضاء على القوات الملكية والايرلندية الثائرة، فأوفد جيشًا الى ايرلندا مع الأمر بعدم الابقاء على حياة العدو المهزوم.

وفي كانون الأول ١٦٥٣ تقلّد منصبَه « اللورد حامي انكلترا واسكتلندا وايرلندا » في احتفال رسمي بعد أن اقسم اليمين القانونية في كاتدرائية



أوليفر كرومويل.

وستمنستر. وعقب ذلك مباشرة تقريباً حلّ البرلمان، وطوال الثمانية عشرة شهراً التالية حُكمت البلاد من قِبَلِ قادته العسكريين.

وخلال حكم كروموبل، باتت انكلترا بلاداً كئيبة وعابسة جداً. فقد حُظِرَتْ: ألعابُ الآحاد الرياضية، وسباقات الخيل، وحتى الرقص حول سارية نَوّار - وهو العمود المزيّن بالاشرطة والازهار الذي يُنصب في العراء ليُرقَصَ حولَهُ في عيد اول نوار، او ايار - مُنع، وكان مبعثاً للمتعة منذ القرون الوسطى. وفيما بعد جمع كروموبل برلماناً جديداً قدّم اليه العرش، الاّ ان جيشه عارض بشدة بحيث انه لم يولِ تلك الفكرةَ حتى اي اهتمام. وقد اثبت انه حاكم مقتدر، ويحمل في قلبه حباً كبيراً لوطنه. وهدف في سياسته الخارجية خصوصاً الى جعل بريطانيا محترمةً فيما وراء البحار.

وبدأت صحة كروموبل تسوء خلال ليلة ٣ ايلول ١٦٥٨، ووسط عاصفة كبيرة كانت تجتاح انكلترا آنذاك، أسلم الروح!

١٦٥٣
كالديرون ومسرحيته «الحياة حلم»

كان بيدرو كالديرون (١٦٠٠ - ١٦٨١) احد اعظم كتّاب اسبانيا المسرحيين. وبعد خدمة عشرة اعوام في الجندية، عيّن مديراً للهو في بلاط الملك فيليب الرابع. وكتب بإخلاص تام للتفكير الاسباني والتقاليد السائدة في ايامه. ولعل اشهر اعماله المسرحية على الاطلاق هي مسرحيته «الحياة حلم».

١٦٥٣
آيزاك وولتون وكتابه «الصائد بالصنّارة الكامل»

كان آيزاك وولتون (١٥٩٣ - ١٦٨٣) كاتباً ضليعاً، بارعاً في مجال

السيرة والابحاث ذات العلاقة بالمَلَكيّة. ومع ذلك فإن شهرته تقوم على كتيّبه المتواضع، « الصائد بالصنارة الكامل »، وفيه يصف رياضة صيد الصمك كهواية بسيطة، ولطيفة، تأملية ريفية لتمضية الوقت، وقد نُشر مجدداً فيما بعد بعنوان « الصائد بالصنّارة العالمي ». ولم يحظَ بالشهرة الادبية التي يتمتع بها اليوم الا بعد مرور اكثر من مئة سنة.

١٦٥٤
فونديل يضع « ثُلاثية مسرحية »

يعتبر يوست فان دن فونديل (١٥٨٧ ـ ١٦٧٩) اعظم الشعراء الهولنديين، وقد استخدم حماسته الدينية الشديدة، ومهارته في الترجمة اللاتينية التي حصّلها شخصياً وعلى ذاته، لكي ينظم الشعر، ويكتب النثر، ويؤلف المسرحيات المستوحاة من الكتاب المقدس، في عهده القديم، فضلاً عن الميثولوجيا الكلاسيكية. وكان ورعاً، تقياً، فترك لنا إنجازاً ادبياً خالداً هو كناية عن ثلاثية مسرحية بعنوان « ابليس، آدم في المنفى، ونوح »، وكلها كُتبت وهو ما يزال في قيد الحياة.

١٦٥٥
عربة فيربيه البخارية

يُعزى الفضل في صنع اول مركبة تسير بالبخار الى الاب فيربيه، وكان مبشّراً في الصين، وذلك في السنة ١٦٥٥، وكانت القوةُ المحرّكةُ جهازاً هو عبارة عن توربينة بخارية ارتكاسية بِدائية، وضعها للمرة الاولى هيرو الاسكندري في السنة ١٣٠ قبل الميلاد. ويزعمون ان عربة فيربيه هذه كانت تسير بسرعة « لا بأس بها »، طالما ظلت مملوءة بالبخار.

١٦٥٥
فيلاسكيز يرسم «لاس مينيناس» و«هيلنـديـراس».

شرع رسّام البلاط الاسباني، ويدعى دييغو دو سيلفا اي فيلاسكيز (١٥٩٩ - ١٦٦٠) يرسم بأسلوب طبيعي واقعي. ولكنه عقب تـأثّـرِه العظيـم بتيسيـانـو انمى في نفسه اسلوباً فياضاً حافلاً يُظهر وعياً أقلّ بالشكل منه بالانطباعات. ويتميز رسمه بالواقعية غير الجميلة او الجّذابة، واختياره العريض للموضوعات البشريـة، مـن مثـل لـوحتيـه «لاس مينينـاس»، او وصيفـات الشرف، و«هيلنديراس»، او الحـائكـات.

١٦٥٩
يوميات صمويل بيبيس

في اول كانون الثاني ١٦٥٩ بدأ صمويل بيبيس (١٦٣٣ - ١٧٠٣) بكتابة يومياته الشهيرة. ونظراً الى كتابتها بطريقته الخاصة في الاختزال، فإن رموزها لم تُفَكّ الاّ السنة ١٨٢٥. وهي تقدّم صورةً حميمة لشخصيته، والحياة الرسمية والاجتماعية في عصره، ووصف شاهد عيان لوباء الطاعون الذي انتشر في انكلترا، وحريق لندن الشهيـر السنـة ١٦٦٦. وفـي ٣١ أيـار ١٦٦٩، اضطـر للتوقف عن مواصلة كتابة يومياته بسبب الضعف الذي اعترى بصره.

١٦٦٠
عودة الملكية الى انكلترا

بوفاة اوليفر كرومويل، بدا ان الايام القاتمة التي عاشتها انكلترا قد انتهت،

وبعودة الملك تشارلز الثاني (١٦٣٠ ـ ١٦٨٥) إلى العرش في السنة ١٦٦٠ راح الجميع، باستثناء البيوريتانيين، ينظرون الى مستقبل أسعدَ واكثر إشراقاً. ولما مرَّ موكب الملك عبر شوارع لندن في ٢٦ أيار من تلك السنة كانت المدينة بأسرها شديدة الحماسة.

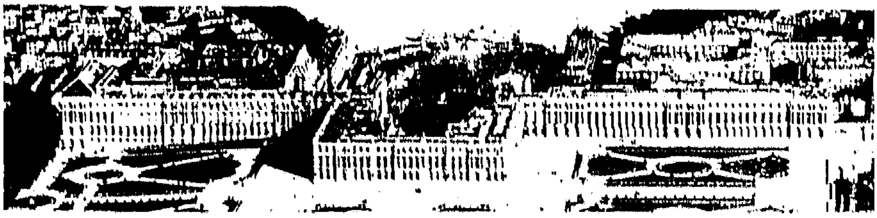
وكان الملك تشارلز شخصياً سعيداً بالعودة الى وطنه، فقد عاش محاطاً بالمنفيين في بلاطَيّ فرنسا وهولندا طوال هذه المدة التي كان خلالها اوليفر كرومويل حاكماً لبلاده. وطالما شعر بالجوع، وكان بحاجة مُلحّة ودائمةٍ الى المال. اما وقد انتهى كلُ شيء، فانه لن يحتاج في المستقبل الى اي شيء على ما كان يبدو من سيماء شعبه ووزرائه. وقد كتب أحدُ الساخرين من الكتّاب اللندنيين عنه يقول: «لنا ملك وسيم جداً، كلمته لا يعتمدُ عليها احد. لم يقم يوماً ما بأي شيء احمق، ولم يقم قط بشيء حكيم» ـ وهو شعور لا بد ان يوافق عليه ملك يحب التهكم والسخرية مثل تشارلز.

١٦٦١
بناء فرساي

عندما اعتلى الملك لويس الرابع عشر (١٦٣٨ ـ ١٧١٥) عرش فرنسا، كانت الحكومة في معظمها بين يدّي الوزير الاول مازاران، فلما توفي السنة ١٦٦١ تولى لويس السلطة كاملة وصرّح بقوله: «الدولة، انا»...

وفي السنة نفسها قرّر ان يوسّع البيت المخصص للنزول فيه في موسم الصيد، في فرساي. وفي ما تطوّر اليه هذا المكان المتواضع انعكست امجاد الملك الشمس. بعد ان أُنجزَ في السنة ١٦٨٢ القصرُ الضخمُ الرائع، وانتقل اليه الملك مع حاشية بلاطه. كل شيء كان عظيماً في فرساي، وكان يتكرر شعار «الملك الشمس» في كل زخرفة على الرياش والأثاث. وتدفّق عليه افراد

الطبقات النبيلة من مختلف البلدان في العالم لمشاهدة ما جعله لويس الرابع عشر رمزاً لقوة فرنسا وعظمتها.



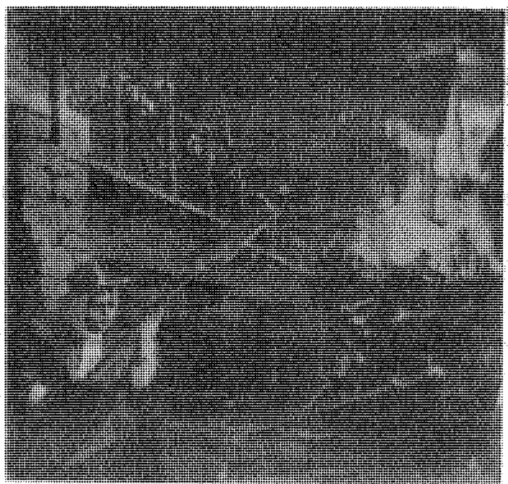
قصر فرساي، صورة مأخوذة من الجو.

١٦٦٣
ملتون ينظم «الفردوس المفقود»

كشف الشاعر دجون ملتون عبقريته في وقت مبكر جداً، اذ كان في التاسعة والعشرين من سنيه عندما نشر رثاءه الشهير «ليسيداس» الذي يُعتبر من اكثر قصائد الرثاء باللغة الانكليزية تأثيراً وتحريكاً للمشاعر. وقد عمل فترة من الزمن امين سر لكرومويل، ولكنه أُصيب بالعمى حوالى السنة ١٦٥٢، فانسحب من الحياة العامة ليضع ملحمتيه الشهيرتين «الفردوس المفقود» و«الفردوس المستعاد». والأولى هي من اشهر القصائد في العالم، وتُحِلّ ملتون في المقام الثاني بعد شكسبير من حيث الشاعرية. وقد عاش هذا الشاعر بين السنة ١٦٠٨ و١٦٧٤.

١٦٦٥
انتشار وباء الطاعون في لندن

ضرب وباء الطاعون أوروبا غير مرة في فترات متقطعة وطوال قرون، ولكن مدينة لندن نجت منه غالباً قبل تلك الموجة الرهيبة التي عُرفت بفترة الطاعون



حريق لندن الكبير.

العظيمة. فقد بدأت السنة ١٦٦٤ عندما لوحظت حالات مرض منعزلة قليلة. ولكن في السنة ١٦٦٥ توفي بالطاعون في لندن وحدها ثمانية وستون الف نسمة.

وباتت الحالة في العاصمة البريطانية لا تطاق، وميؤوساً منها، مما اضطر البرلمان الى الانتقال الى اوكسفورد، والبلاط الملكي الى سولزبري. وفي هذه الاثناء اصبحت لندن كالمجاهل، فالجميع يوصدون ابوابهم لحماية انفسهم من خطر هذا الوباء الوبيل. وكانت الجرذان المصابة تنقل العدوى من شارع الى شارع، وانتشرت اشارات الصليب الحمراء اللون على البنايات، ومعها العبارة التالية «يا رب، إشفق علينا»، تدليلًا على وجود مرضى ومشرفين على الهلاك بداخلها. وكانت النواقيس تُقرع ايذاناً بوصول العربات الخاصة لنقل المتوفين.

ومن لندن انتشر وباء الطاعون الرهيب عبر البلاد، ولكن ما إن اقبلت السنة ١٦٦٧ حتى كان قد اختفى تماماً. إلاّ ان اختفاءه في لندن كان السبب - في زعم البعض - في الحريق الكبير الذي شبَّ السنة ١٦٦٦، الاّ انه لم يكن السبب في اندلاع حرائق في المدن الاخرى التي ضربها هذا الوباء.

١٦٦٦
حريق لندن الكبير

في الساعة الثانية من صباح ٢ ايلول ١٦٦٦، اكتُشف حريق في منزل دجون

فارنيور خبّاز الملك، في بودنغ لاين، وهو شارع ضيق، شرق جسر لندن. وما لبثت ألسنة النيران ان انتشرت بسرعة بفعل الرياح الشرقية القوية في مختلف ارجاء المدينة. وظل الحريق مشتعلاً طوال اربعة ايام كاملة. وحتى الملك تشارلز الثاني وشقيقه اشتركا شخصياً في مكافحته.

بلغت ألسنة اللهب في البدء جسر لندن الذي تقوم عليه مبانٍ خشبية، ثم انتشرت شمالاً نحو شارعي لومبارد وكورنهيل. وفي اليوم التالي دمّرت شارع تشيبسايد وفليت، قبل ان تُكمل سيرها الى شارعي اينر تمبل ونيوغيت.

وكانت حصيلة هذا الحريق الكبير تدمير مساحة ١٢١ هكتاراً تضمّ اكثر من ثلاثة عشر الف منزل. ولم يكن هذا الحريق، مع ذلك، كارثة كاملة، ووبالاً على لندن، ذلك بأنه دمّر الكثير من المناطق وبؤر العدوى التي كانت ما تزال موبوءة بالطاعون، واتاح بناء مدينة جديدة فيها شوارع اكثر عرضاً، ومبانٍ قرميدية لتحلّ محلّ الشوارع الضيقة من القرون الوسطى، المزدحمة بالمباني الخشبية.

١٦٦٦
ستراديفاريوس يصنع اول كماناته

انطونيو ستراديفاريوس (١٦٤٤ - ١٧٣٧) كان يصنع الآلات الموسيقية الوترية بين السنة ١٦٦٦ وتاريخ وفاته. ومع انه يشتهر بالكمانات التي صنعها وأفضلها من انتاجه بين السنوات ١٧٠٠ و١٧٢٥، فإنه صنع ايضاً الكمانات الوسطى والفيولونسيلات، والكمانات الكبيرة. وتجاوز عدد الآلات التي صنعها ستراديفاريوس الالف، وما يزال الكثير منها موجوداً الى اليوم وله قيمة كبيرة لأنه ثمين بسبب جودته وشهرة صانعه.

١٦٦٧
حرب الايلولة

الايلولة هي انتقال الملكية او السلطة والحق من شخص الى آخر. فلقد اثار الملك لويس الرابع عشر الفرنسي عدداً من الحروب في جهوده المبذولة لكي يصبح دكتاتور اوروبا. وفي السنة ١٦٦٧ طالب بعرش اسبانيا وممتلكاتها، من خلال زوجته ماري - تيريز، وهي ابنة ملك اسبانيا. وكانت الملكة قد تنازلت عن حقوقها جميعاً في العرش الاسباني السنة ١٦٥٩، ولكن ذلك كان مشروطاً بدفع بائنة للزواج. وبعد ثماني سنوات أكّد لويس الرابع عشر مطالبات زوجته بحقوقها في العرش الاسباني بسبب بطلان الاتفاق، على اساس عدم دفع أي بائنة لمناسبة الزواج.

وزحف خمسون الف جندي فرنسي الى هولندا الواقعة تحت حكم اسبانيا في ايار ١٦٦٧. وفي السنة التالية ١٦٦٨ ألّفت انكلترا، والمقاطعات المتحدة، والسويد، التحالف الثلاثيّ لمنع التوسع الفرنسي. فعمد الملك، بتعقّل، الى عقد الصلح مع اسبانيا بموجب معاهدة ايكس - لا - شابيل.

ولم يغفر قط للهولنديين وقف تقدّمِهِ، وقام في السنة ١٦٧٢ باجتياح العديد من مناطق الكونته الفرنسية، وبلجيكا. واستمر القتال حتى السنة ١٦٧٨ عندما املى لويس الرابع عشر، وهو الحكيم في النصر، بنود صلح نيميغن.

١٦٦٧
عرض مسرحية «طرطوف» للمرة الاولى

عُرضت امام الملك الشمس في قصر فرساي في ١٢ ايار ١٦٦٤ نسخة من مسرحية موليير الشهيرة «طرطوف» ذات الفصول الثلاثة. ولكن لم تُعرض على

الجمهور، وفي مكان عام، إلّا في ٥ آب ١٦٦٧ - اي بعد حوالى ثلاث سنوات. وعلى الفور مُنع عرضها على اساس ان موليير يبدو فيها غير ورع. وفي السنة ١٦٦٩ عُرضت على المسرح نسخة جديدة من خمسة فصول.

يُعتبر جان باتيست بوكلان موليير (١٦٢٢ - ١٦٧٣) اعظم كتّاب المسرحيات الفرنسية الهزلية. ولد في باريس، ودرس الحقوق قبل ان ينضمّ الى والده ليتعلّم مهنة تنجيد الاثاث. وفي السنة ١٦٤٣ اشترك مع آخرين في تأسيس «المسرح الشهير»، ثم ما لبث ان اصبح الممثل الاول فيه. وكانت اولى مسرحياته «الطائش»، التي كتبها السنة ١٦٥٥، واعقبتها حوالى اربعين مسرحية هزلية، بما فيها «المتكلّفات السخيفات»، وقد صدرت السنة ١٦٥٩، و«مدرسة النساء» السنة ١٦٦٢، و«المُبغِض البشر» السنة ١٦٦٦، و«السيد الشريف» السنة ١٦٧٠، و«مريض الوهم» السنة ١٦٧٣.

١٦٧٠
نشر «الأفكار» لباسكال

ابصر بليز باسكال (١٦٢٣ - ١٦٦٢) الفيلسوف والعالم الرياضي الفرنسي النور في كليرمان - فيّران. درس على ابيه، وأظهر منذ الصغر عبقرية مبكّرة النضج في ميدان الرياضيات، الاّ انه حوّل اهتمامه فيما بعد الى الفلسفة الدينية. ونُشر السنة ١٦٧٠ بعد وفاته كتابه «أفكار»، وهو دفاع حارّ عن الحرية الدينية المسيحية وحقيقتها كان قد وضعه السنة ١٦٥٧.

١٦٧٠
اصل شركة خليج هدسون

هذه الشركة التجارية الشهيرة، وهي اقدم الشركات المرخّص لها بالعمل في

العالم، بدأت اعمالها السنة ١٦٧٠ عندما منح الملك تشارلز الثاني رخصة الى «شركة مغامري انكلترا للتجارة في خليج هدسون».

وكانت تتعاطى تجارة الفراء مع الهنود الحمر، ولكنها واجهت منافسة شرسة من التجار الفرنسيين حتى السنة ١٧١٣، لما تنازلت فرنسا عن خليج هدسون الى انكلترا بموجب معاهدة اوتريخت. وخليج هدسون هذا هو كناية عن بحر داخلي في شمال كندا طوله ٨٥٠ ميلاً وعرضه ٦٠٠ ميل.

وما تزال هذه الشركة تعمل حتى اليوم في تجارة الفرو، إلّا انها تشتهر الآن اكثرَ بالمتاجر التنويعية التي تبيع مختلف السلع في المدن الرئيسية في كندا.

١٦٧٠
يان فيرمير يرسم لوحة «فنان في محترفه»

يان فيرمير (١٦٣٢ - ١٦٧٥) ابصر النور في مدينة ديلفت، في هولندا. وقد اصبح رئيساً لعصبة الرسامين في هذه المدينة لدى بلوغه العقد الثالث، ولكنه نُسيَ تماماً بعد وفاته. وأُعيد «اكتشافه» - اذا صحّ التعبير - في الستينات من القرن التاسع عشر، واعتُبر احد اسياد فن الرسم الهولندي. ومن اشهر لوحاته الجميلة «شارع في ديلفت» و«صانعة المخرّمات»، و«فنان في محترفه» التي أنجزها السنة ١٦٧٠.

١٦٧٤
هنري مورغان يصبح نائباً لحاكم جامايكا

خلال القرن السابع عشر، كان كثيرون من القراصنة يعملون في البحر الكاريبي، فيهاجمون سفن اسبانيا التي كانت تحكم آنذاك جزر الهند الغربية،

وينهبون ما تحمله. وكان من اشهر هؤلاء القراصنة رجل من ويلز يدعى هنري مورغان (حوالى ١٦٣٥ - ١٦٨٨). وفي السنة ١٦٦٨ قاد مورغان حملة بحرية للاستيلاء على بويرتو پرينسيبي - كاماغواي اليوم - في كوبا، وفي السنة التالية هاجم ماركايبو في اميركا الجنوبية. وفي السنة ١٦٧١ استولى على بناما.

ومع تضاؤل قوة اسبانيا راح البريطانيون، والفرنسيون، والهولنديون يستوطنون جزر الهند الغربية. وفي السنة ١٦٧٠، اعترفت اسبانيا بجامايكا كإحدى الممتلكات الانكليزية. وفي الوقت نفسه كان يُلقى القبض على الكثيرين من القراصنة ويُعاقبون على جرائمهم. وفي السنة ١٦٧٢ أُرسل مورغان موقوفاً الى انكلترا، ولكنه استطاع بدهائه وذكائه ان يحظى بعطف الملك تشارلز الثاني الذي كافأه في كانون الثاني بلقب «سر»، وبمنصب نائب حاكم جزيرة جامايكا.

١٦٧٥
اعادة بناء كاتدرائية القديس بولس

بعد اسبوع واحد من انطفاء حريق لندن الكبير قدَّم كريستوفر رنّ (١٦٣٢ - ١٧٢٣) بصفته معاوناً عاماً لمدير دائرة المساحة خرائط وتصاميم لإعادة بناء المدينة برمتها. فوافق عليها الملك هنري الثاني، الا ان التكاليف الباهظة التي يستدعيها تنفيذها ادت الى رفضها في النهاية. وقد شملت تلك الخرائط تصميماً جديداً لكاتدرائية القديس بولس التي اصابها الحريق بدمار كبير. وبعد الإنعام على رنّ بلقب «سر» السنة ١٦٧٢، قدّم مجدداً خريطة لإعادة بناء الكاتدرائية المذكورة، فرفضت كذلك.

وقُدّمت خرائط وتصاميم هندسية اخرى، فحظيت احداها في النهاية بالبركة الرسمية، وبدأ العمل في السنة ١٦٧٥. ومن حسن الحظ انه سُمح لرنّ

باجراء التعديلات التي يراها ضرورية وملائمة، ومن هنا، فإن الكثير من افكاره الاصلية أُدخلت في المبنى الذي أُنجز في السنة ١٧١٦.

وصمم كريستوفر رنّ اربعاً وخمسين كنيسة اخرى في لندن، ولكنَّ عدداً كبيراً منها دُمّر خلال الحرب العالمية الثانية.

١٦٧٥
لوفنهويك يصف كريات الدم

انطوني فان لوفنهويك (١٦٣٢ ـ ١٧٢٣) صانع المجاهر، او الميكروسكوبات ـ الهولندي المعروف، قام بعدد من الاكتشافات العلمية الهامة. وتشمل اكتشافَ البَرزويات، او الحيوانات الوحيدة الخلية السنة ١٦٧٥، والوصفَ الدقيقَ الاول لكريات الدم الحمراء السنة ١٦٧٥، كذلك، دَعْماً لنظرية الدورية الدموية، ومراقبة الحيّيات المَنَوية لدى الكلاب وسائر الحيوانات، بعد ذلك بسنتين (١٦٧٧). وهناك رسم بيد لوفنهويك منشور السنة ١٦٨٣ يُظهر للمرة الاولى الجراثيم ـ او البكتيريا.

١٦٧٧
مسرحية «فيدر» لراسين

قُدّمت مسرحية «فيدر» للروائي المسرحي الفرنسي جان راسين (١٦٣٩ ـ ١٦٩٩) للمرة الاولى في اول كانون الثاني ١٦٧٧. وهي مأساة قوية تستند الى أسطورة هيبوليتوس الاغريقية. وموضوعها الذي يدور حول حب فيدر المحرّم لابن زوجها ـ وكان يصدّ محاولاتها ـ صدم الجمهور المتفرج في حينه، ولكنه كُتب بجرأة وحيوية لم يسبق لهما مثيل قط.

١٦٧٨
تيتوس أوتس و«المؤامرة الكاثوليكية»

في أيلول ١٦٧٨ كُشف النقاب عن تآمر الكاثوليك في انكلترا لاغتيال الملك تشارلز الثاني، وإحلال دوق يورك (الملك دجيمس الثاني فيما بعد) مكانه على العرش. وكان المخبر الذي نقل النبأ يدعى تيتوس اوتس (١٦٤٨ - ١٧٠٥)، وقد تسبّبت نشاطاته في طرده من كيمبريدج، ومن البحرية الملكية، ومن كليتين لاهوتيتين.

وعلى الرغم من ماضي هذا الرجل وخلفيته المريبة، فقد صدّق الكثيرون ان ثمة مؤامرة كاثوليكية، وكانت النتيجة موجة هستيرية ضد الكاثوليك، وإعدام خمسة وثلاثين كاثوليكياً، وسجن الكثيرين منهم.

وفي السنة ١٦٨٥ اتُّهم اوتس بالحلف كذباً، فجُلد، وسجن مدى الحياة، وصدرت الاوامر بأن يعاقب سنوياً بالمشهّرة - وهي آلة خشبية للتعذيب تُدخل فيه يدا المجرم ورأسه ابتغاء التشهير به. وبعد وصول الملك وليام الثالث (١٦٥٠ - ١٧٠٢) الى العرش، أُطلق سراح اوتس، ومُنح مرتباً سنوياً.

١٦٨٢
وصول بطرس الاكبر الى العرش

اعتلى بطرس الاكبر (١٦٧٢ - ١٧٢٥) عرش القياصرة في روسيا بالاشتراك مع اخيه غير الشقيق، والضعيف ايفان السنة ١٦٨٢، على الرغم من ان كليهما لم يكن في سن مناسبة لتولّي السلطة.

وفي السنة ١٦٨٩، جرّد بطرس شقيقته صوفيّا من الوصاية على العرش، وتولّى زمام الحكومة. ولدى وفاة اخيه ايفان السنة ١٦٩٦ حكم بمفرده، وشرع

في تنفيذ خططه الرامية الى مدّ حدود روسيا الى بحر البلطيق شمالاً، والبحر الاسود جنوباً.

واكسبته حملة عسكرية ضد تركيا ميناء آزوف على البحر الاسود، وفرصة بناء بحرية روسية. ومن اجل تحقيق هذه الغاية زار كلاً من هولندا وانكلترا، واشتغل عاملاً في احواض بناء السفن في كلا البلدين. وعقب عودته الى روسيا برفقة مهندسين وعلماء اوروبيين، راح يعيد تنظيم البلاد حسب الاسس الغربية.

وعلى الفور هاجم كل المظاهر الخارجية للحياة الشرقية، وأجبر النبلاء الروس على ارتداء الملابس الاوروبية، وعلى حلق ذقونهم ولحاهم، وكان يعتبرها زياً شرقياً. وكان كل من يعصى هذه الاوامر ويرفض الاذعان له يحاسبه شخصياً. وكان يحلق لحاهم بنفسه.

وخلال ركود في حالة الحرب الشمالية الكبرى السنة ١٧٠٠ بدأ بطرس الاكبر في بناء عاصمته الجديدة، و« نافذته على الغرب » مدينة سان بطرسبرج على الساحل البلطيقي المكتسب حديثاً التي تُعرف اليوم باسم لينينغراد.

١٦٨٢
اختبارات لتحويل رمال نهر الدانوب الى ذهب

في تشرين الاول ١٦٨٢ توفي في لندن العالم الفيزيائي والكيميائي الالماني يوهان يواكيم بيكر المولود في ٦ ايار ١٦٣٥. كان استاذاً للطب، وطبيباً في بلاط مايانز من حوالى ١٦٦٠. وفي السنة ١٦٦٦، انتقل إلى فيينا وأصبح المستشار الاقتصادي الرئيسي للامبراطور ليوبولد الاول. وقد اوصى بيكر بالتنظيم الحكومي الشديد للتجارة، والانتاج، والتمويل. وفي جملة مشاريعه المحسوسة قناة من نهرّي الراين والدانوب لفتح طريق التجارة مع البلدان المنخفضة في شمال اوروبا.

ولما فقد حظوته في فيينا في الاوساط الحاكمة هرب الى هولندا ، ثم فيما بعد انتقل الى انكلترا ، ووضع كتباً عدة في الكيمياء ، ولعل اشهرها كتابه « فيزياء ما تحت سطح الارض » (١٦٦٩) ، وفيه عرض نظرياته الخاصة بما تتألف منه الاجسام غير العضوية ، وقد صنّف المواد التي تؤلّفها كثلاثة مبادىء ترابية هي : القابلة للتزجيج ، والقابلة للاحتراق ، والزئبقية . واجرى اختبارات في تحويل رمال نهر الدانوب الى ذهب . وقام بتوسيع هذه النظرية تلميذه جورج ارنست ستال الذي اوضح ظاهرة الاحتراق بواسطة مبدأ اللاهوب ، وهي مادة كيميائية وهمية كان يُعتقد ، قبل اكتشاف الاوكسيجين ، انها مقوّم اساسي من مقومات الاجسام الملتهبة .

١٦٨٥
معركة سدجمور

في ٦ شباط ١٦٨٥ توفي الملك تشارلز الثاني الانكليزي ، وانتقل العرش الى شقيقه دوق يورك (١٦٣٣ ـ ١٧٠١) الذي حمل اسم دجيمس الثاني . وما هي الا أربعة أشهر حتى عبّأ دوق مونموث ، ابن أخي الملك دجيمس الثاني ، جيشاً لتأكيد مطالبته بحقه في العرش . واعلن نفسه ملكاً في مدينة نوتـون ، في إقليم صمرسيت ، وفي ٦ تموز ١٦٨٥ ، هاجم قوات الملك في سهل سدجمور ، بالقرب من بريدجووتر .

كان مونماوث قرّر ان يبدأ الهجوم ليلاً ، ولكن طلقة مسدس عرضية انذرت رجال الملك . ولم تكن قوات مونموث القليلة العدد والعدة لتستطيع الصمود امام القوات الملكية . وهرب مونموث من ميدان المعركة ، ولكنه أُسر فيما بعد ، وأُعدم في تاور هل ، في لندن ، في ١٥ تموز ١٦٨٥ . وحوكم انصاره على يد رئيس القضاة دجيفريز الذي اشتهر بقسوته ، وأُعدم بعضهم ، ونُفيَ

البعضُ الآخر. ونتيجة ذلك، والاحكام القاسية، عُرفت تلك المحكمة باسم «المحكمة الدامية».

١٦٨٧
نشر «برنسيبيا» لنيوتن



اسحق نيوتن.

بسبب انتشار وباء الطاعون في انكلترا اغلقت جامعة كيمبريدج أبوابها، وأرسل الرياضي الشاب اسحق نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧) الى منزله في اقليم لنكولنشر حيث بات في وسعه العمل في أوقات فراغه. اما اختباراته في عالم البصريات ههنا، التي اظهرت ان الضوء الابيض يتألف من عدد من الالوان فشهيرة، ولكن عمله في حقل الجاذبية كان له تأثيرٌ اعمق كثيراً.

كانت نظرية نيوتن ان قوة الجاذبية ليست محدودة بالاشياء الارضية، ولكنها تعمل في كل مكان، وبالإمكان حتى مَدُّها الى الاجسام السماوية مثل القمر. ويقال ان هذه الفكرة اوحاها له سقوط تفاحة من على غصنها، سوى ان تلك الرواية ليست سوى اسطورة.

استخدم نيوتن اختراعه «حساب التفاضل والتكامل» ليبيّن، رياضياً، ان القمر يبقى في مداره بفعل الجاذبية، والا لكان تحرّك في خط مستقيم مماسٍّ بالنسبة الى مداره. ومضى يصف، رياضياً أيضاً، شكل الارض، والمد والجزر، وحتى حركة الكون بأسره، مستخدماً نظريته في الجاذبية الكونية التي تنص على ان كل جسم يجذب كل جسم آخر بقوة تتوقف على حجمهما، وتنخفض بنسبة تربيع المسافة التي تفصل بينهما.

الا ان نيوتن لم يَكْشِف هذه الافكار الا فيما بعد، وفي السنة ١٦٨٧، في كتابه الموسوم « برنسيبيا » الذي يُعتبر، ربما، احد اعظم المؤلفات العلمية أثراً بين كل ما وُضع من مؤلفات.

١٦٨٨
الثورة المجيدة

تربّع الملك دجيمس الثاني على عرش انكلترا إثر وفاة الملك تشارلز الثاني الذي لم يكن محبوباً كثيراً من الانكليز، وقد اضطر للهرب الى فرنسا السنة ١٦٨٨. وكانت الحكومة قد دعت القائد وليام اوف اورانج (١٦٥٠ – ١٧٠٢) وزوجته ميري (١٦٦٢ – ١٦٩٤)، ابنة الملك دجيمس الثاني، لتولّي العرش. فنزل إلى اليابسة في انكلترا في ٥ تشرين الثاني ١٦٨٨، آتياً، من هولندا. وكانت الحكومة من القوة بحيث انه مع زوجته ميري اضطُر الى الموافقة على وثيقة « اعلان الحقوق » الذي وَضَعَ بالفعل الملكية تحت مراقبة البرلمان.

وأُعلن وليام وميري مَلكَيْنِ معاً في ١٣ شباط ١٦٨٩. وعُرف طرد الملك دجيمس الثاني بأنه « الثورة المجيدة »، لأنه تم دون اراقة اي دماء، ولأنه كان له تأثير عميق في تصرّف الملكية في انكلترا.

وقد حَظَرَ هذا الاعلانُ على أيّ كاثوليكي، أو متزوجٍ من كاثوليكية، تولّي المُلْك، وقضى بأنه لا يحق بعد ذلك التاريخ لأي ملك ان يفرض الضرائب، أو أن يحتفظ بجيش خاص، ووضع الاساس للملكية الدستورية المطبّقة في بريطانيا الى هذا اليوم.

١٦٨٩
بيرسل يضع اوبرا « ديدون واينياس »

هنري بيرسل هو اعظم المؤلفين الموسيقيين الانكليز منبتاً ونشأة، وُلد في لندن السنة ١٦٥٨، وقد وضع اوبراه « ديدون واينياس » التي تُعتبر احدى اشهر المسرحيات الموسيقية الكلاسيكية السنة ١٦٨٩. وضعت في الاصل لتُعرض في احدى مدارس البنات في تشيلسي، في العاصمة لندن. وهي اول اوبرا انكليزية توضع دون حوار مغنّى. ومن اعمال بيرسل الموسيقية الاخرى نذكر اوبرا « الملك آرثر »، فضلاً عن مؤلفاته الموسيقية الدينية من قصائد غنائية، وترانيم، وسونيتات، ومقطوعات للارغن، والبيان القيثاري. وقد توفي السنة ١٦٩٥.

١٦٨٩
كتابات دجون لوك حول الحكومة

في كتاباته حول الحكومة قال المفكر الانكليزي دجون لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤) إن كل الحكومات تستمد سلطتها في النهاية عبر موافقة الشعب، وادّعى أيضاً ان كل حكومة تهدد الحقوق الاساسية للشعب عرضةٌ لأن تطرد من مركز السلطة. وقد شكّل بعضُ المبادىء الديموقراطية مذ ذاك أساس المبادىء السياسية للكثيرين من الانكليز وسواهم من البشر.

١٧٠٠
الحرب الشمالية

في السنة ١٦٩٧ اعتلى كارلوس الثاني عشر (١٦٨٢ - ١٧١٨) عرش



الملك كارلوس الثاني عشر السويدي، قضى أثناء حملته النرويجية السنة ١٧١٨ .

السويد . وكان بعد في الخامسة عشرة ، فحضَّ هذا بطرس الاكبر الروسي على عقد تحالف مع الدانمرك وبولونيا للاستيلاء على أراضٍ من السويد . غير ان كارلوس المولود جنديًا ، ردَّ على ذلك السنة ١٧٠٠ بمهاجمة الدانمركيين ، ثم فرض شروطه عليهم في صلح ترافندال.

وخلال حرب السويد مع الدانمرك كانت روسيا تحاصر نارفا ، في ليفونيا . فتحوَّل كارلوس إلى إنقاذ نارفا بقوة لا تزيد على ثمانية عشر الف رجل مقابل قوات روسيا البالغة ستين ألفاً ، وحقق مع ذلك نصراً مبيناً ، ثم انهمك في حربه مع بولونيا ، مفسحًا هكذا في المجال أمام بطرس الأول ليعيد تدريب جيشه ،

وللشروع في بناء مدينة سان بطرسبرج.

وراحت الأقدار تعاكس كارلوس في السنة ١٧٠٩ بعدما هُزم في بوتلافا فلجأ الى تركيا حيث بقي مقيماً حتى السنة ١٧١٤. وبعد وفاته في كانون الاول ١٧١٨، اضطر السويديون اثناء حصارهم فريدريكستين في النرويج الى القبول بصلح نياشتات السنة ١٧٢١.

١٧٠٠

لايبنتس يؤسس الاكاديمية البروسية للعلوم

غوتفريد فلهلم لايبنتس (١٦٤٦ - ١٧١٦) الفيلسوف الالماني الكبير اقنع السنة ١٧٠٠ ملك بروسيا فريدريك الأول بانشاء الاكاديمية البروسية للعلوم. وقد انتُخب هذا العبقري الذي اسهم بالكثير الكثير في ميادين العلم، والرياضيات، والفلسفة، والقانون رئيساً للاكاديمية مدى الحياة.

كان من المفكرين المنهجيين الرئيسيين في العصر الحديث، اشتهر بصورة خاصة بفلسفة ما وراء الطبيعة - او الميتافيزياء، وبالمنطق، وتميّز باختراعه المستقلّ لحساب التكامل والتفاضل.

ولن نتبسط في مجهودات لايبنتس الفكرية المتشعبة، بل نقتصر على القول انه اهتم بمشروع لغة مثالية، مقرون بموسوعة عالمية تتضمّن خلاصة كل المعرفة البشرية، مرتبةً ترتيباً منهجياً. وهذان المشروعان يتوقف احدهما على الآخر، ذلك بأنه لا يمكن ابتكار اللغة حتى تُنجز الموسوعة، وبأنه يستحيل التعبير عن معلومات الموسوعة بالوضوح الشامل طالما لم تُبتكر اللغة. ومع ذلك، وعلى الرغم من انه معلوم الآن ان اهداف لايبنتس غير قابلة التحقيق، فإنها ألهمت في شكل معدّل محاولات ومساعٍ فكرية في وقت لاحق، وبخاصة محاولات كل من غوتلوب مريج، وهوايتهول، وبرتراند رَسِلْ لإيجاد نظام رياضي منطقي يكون قاعدة كل العلوم بأسرها.

١٧٠١
اعدام الكابتن كِـدْ

في ٢٣ ايار ١٧٠١ ، شُنق القرصان الاسكتلندي وليـام كِـدْ على رصيف الاعدام ، في لندن . ويقال ان سفينته « المغامَرة » اشتركت في القرصنة حتى السنة ١٦٩٩ عندما أوقفت في بوسطن ، في ولاية مساتشوستس الاميركية . إلا ان الشك يكتنف اليوم الجرم الذي دين به . فما هي ملابسات هذه القضية ؟

في السنة ١٦٩١ مُنح هذا الذي اشتهر باسم الكابتن كِدْ ، مكافأة مالية من مجلس نيويورك قدرها ١٥٠ ليرة استرلينية لقاء خدماته خلال الاضطرابات التي جرت في المستعمرة ، بعد ثورة السنة ١٦٨٨ . وفي السنة ١٦٩٥ أوفد الى لندن بمركب شراعي وحيد الصـاري يخصه ، للتجارة . وأوصي به لدى حاكم المستعمرات لـورد بلومونت ، كربّان قادر على قيادة سفينة ضد القراصنة في البحار الشرقية . وعلى ذلك تم تجهيز السفينة « المغامَرة » - او « آدفنتشر » - وكانت سفينة شراعية كبيرة ذات مجاذيف ، وكلّف الكابتن كِـدْ مهمة القبض على كل القراصنة ، ومهمة الثأر من الفرنسيين . فأبحر من ميناء بليموث في ايار ١٦٩٦ ، ووجهته نيويورك ، فبلغ جزيرة مدغشقر في السنة التالية حيث اشترك مع القراصنة هناك بدلاً من مطاردتهم . وراح يستولي على السفن التجارية الانكليزية . وخلال السنة ١٦٩٨ - ١٦٩٩ بلغت الشكاوى من اعماله الحكومة البريطانية . فتخلّى عن سفينته « المغامرة » في مدغشقر ، وبلغ نيو إنغلاند ، فـي اميركا ، في مركب صغير . وكتب الى بلومونت مصرّحًا بقدرته على تبرير نفسه ، ومرسلاً إليه في الوقت نفسه بعض الغنائم .

وأوقف الكابتن كِدْ في تموز ١٦٩٩ ، وأرسل إلى انكلترا للمثول أمام المحكمة . وقد جُرِّم بتهمة القتل والقرصنة ، وأُعدم شنقًا في السنة ١٧٠١ .

١٧٠١
قانون التعيين

اصدر البرلمان الانكليزي في حزيران ١٧٠١ هذا القانون، وينصّ على انه اذا لم يُرزق الملك وليـام والملكة ميري زوجته اولاداً، فان التاج سيؤول الى صوفيا اوف هانوفر وورثتها. وقد صيغ هذا القانون لكي لا يتمكن آل ستيوارت من العودة الى عرش انكلترا مجدداً، وللحؤول دون وصول ملك كاثوليكي. وآل هانوفر كانوا بالطبع من البروتستانت.

وكان هذا القانون الذي يتضمن ثماني مواد، فضلاً عن تلك المتعلقة بالخلافة، ينطبق أيضاً على ايرلندا. وقبلت اسكتلندا بمواده. بموجب « قانـون الاتحاد » الذي سنتحدث عنه في السنة ١٧٠٧. وقد نصّ على ان كل جميع ملوك بريطانيا العتيدين ينبغي ان يكونوا من اتباع كنيسة انكلترا، وان الحروب التي تستبتع الدفاع عن الارض التي لا تمتلكها انكلترا لا يمكن شنّها دون موافقة البرلمان. وان القضاة لا يمكن عزلهم من مناصبهم إلاّ بإذن من البرلمان، وان الملك لا يستطيع منع التشكيك في صحة شيء او اخذه بالاعتبار.

١٧٠١
حرب الخلافة الاسبانية

اشتركت في هذه الحرب كلّ من فرنسا واسبانيا وبافاريا ضد انكلترا والنمسا وهولندا والدانمرك والبرتغال. وكان سببها قبول الملك لويس الرابع عشر الفرنسي بالعرش الاسباني لحساب حفيده فيليب دانجـو، مـع انـه كـان تخلّى عن كل المطالبات بموجب « معاهدة التقسيم » السنة ١٧٠٠. وقد نصّت هذه المعاهدة على انه في حال وفاة الملك شارل الثاني الاسباني (١٦٦١ -

١٧٠٠) يؤول العرش الى الارشيدوق شارل النمساوي.

ومع ان الفرنسيين كانوا يملكون اكبر جيش في اوروبا، فان قوّتهم كانت قد ضعفت بسبب اضطرارهم للمحاربة على جبهات عدة. وفي السنة ١٧٠٤ حاولوا الزحف إلى فيينا، ولكنهم لم يستطيعوا الاستمرار في زحفهم بسبب هزيمتهم الساحقة في بلينهايم في ٢ آب. وانسحب الفرنسيون، وطاردهم خصومهم بقيادة الدوق مارلبورو (١٦٥٠ - ١٧٢٢)، والامير اوجين دو سافوي (١٦٦٣ - ١٧٣٦).

وقد جرى معظم المعارك في تلك الحرب على الارض البلجيكية حيث حقّق مارلبورو انتصارين حاسمين في راميلي (٢٣ ايار ١٧٠٦) واودينارد (١١ تموز ١٧٠٨). ولم يتوقف القتال المرير، الشرس إلّا بموجب معاهدتي اوتريخت (١٧١٣) ورآشتات (١٧١٤).

١٧٠٦
طبع اول كتاب عربي

كانت مدينة حلب اول المدن في الشرق العربي يُطبع فيها كتاب بالحروف العربية، وكان ذلك السنة ١٧٠٦. ثم في السنة ١٧٢٤ أسس الشماس عبدالله زاخر في دير مار يوحنا الصابغ، في بلدة الخنشارة، اول مطبعة عربية في لبنان صنعها بنفسه مع امهات وأبّهات الحروف والمَصبّات. واستغرق عمله الشاق المتواصل فيها ثماني سنوات. وفي السنة ١٧٣٣ التي تلت نشر اول مطبوعاته فيها كتاب «ميزان الزمان»، الذي اصدر منه ثمانمئة نسخة، وأعقبه طبع مختلف الكتب التي كانت توزع في الاقطار العربية كافة، ولم يتوقف عن العمل الا السنة ١٨٩٩.

ولد عبدالله زاخر السنة ١٦٨٤ لأب كان ماهراً في الصياغة والنقش، فتعلّم

عليه هذه الصناعة، فضلاً عن اتقانه الرسم. ودرس الى جانب اللغة العربية واصولها، الفلسفةَ واللاهوتَ، وانصرف الى تأليف الكتب الدينية والفلسفية. وكان يطبع الكتب التي يؤلفها بنفسه، ويزيّنها بالرسوم التي يكون قد حفرها لهذه الغاية، قائماً بمفرده بعمل المجموع، مؤدياً للنهضة الادبية العربية اجلّ الخدمات.

١٧٠٧
اتحاد انكلترا واسكتلندا

في نهاية القرن السابع عشر كان الشقاق، وبخاصة في اسكتلندا، يتسع ويزداد في ما يتعلق بالعلاقات بين اسكتلندا وانكلترا. وكان الملك وليام الثالث اكثر اهتماماً بانكلترا لقيمتها بالنسبة اليه في شؤونه الاوروبية، فوضع اسكتلندا في المقام الثاني من حيث العلاقات بين البلدين.

ونصح الكثيرون بأن تصبح المملكتان دولتين منفصلتين، ولكن وليام ومستشاريه كانوا يفضّلون بصورة خاصة عقد اتحاد، على الرغم من ان الشعور الاسكتلندي كان يميل الى الرأي القائل بأن مثل هذا الاتحاد سيخنق اسكتلندا اكثر فأكثر.

وفي السنة ١٧٠٦ شكلت الملكة آنّ (١٦٦٥ - ١٧١٤) لجنة لوضع معاهدة لهذا الاتحاد. وقد ضمن المرسوم الذي اسفر عنها حرية التجارة، وممارسة الشعائر الدينية والتشريع لاسكتلندا، ونصّ على ان البلدين يتحدان معاً باسم «بريطانيا العظمى»، ويكون لهما برلمان واحد، وعلم واحد. وقد اصبح ذلك قانوناً في ايار ١٧٠٧.

١٧١٤
ميزان فارنهايت الزئبقي

غابرييل فارنهايت (١٦٨٦ - ١٧٣٦) كان صانع أدوات وأجهزة ألمانيّاً، اخترع السنة ١٧١٤ ميزانًا للحرارة يعمل بالزئبق، وفي الوقت نفسه أوجد مقياسًا جديدًا للحرارة يتكوَّن من ١٨٠ درجة، بحيث تكون الدرجة ٣٢، درجة ذوبان الجليد، وموازية لدرجة صفر في المقياس المئوي، والدرجة ٢١٢، درجة غليان الماء، وموازية لدرجة ١٠٠ في المقياس المئوي. وميزان فارنهايت معتمد في البلدان الباردة.

١٧١٥
الثورة الدجيمسية

الدجيمسيون، نسبة إلى الملك دجيمس ـ أو الستيوارتيون ـ هم أنصار الملك دجيمس الثاني أو آل ستيوارت بعد ثورة ١٦٨٨ وإبعاد هذا الملك عن العرش.

فبعد تربّع الملك جورج الأول (١٦٦٠ـ١٧٢٧) على العرش أعلن الايرل أوف مار النبيل الاسكتلندي، دجيمس ادوارد ستيوارت (١٦٨٨ - ١٧٦٦) ـ ابن الملك السابق دجيمس الثاني ـ ملكًا باسم دجيمس الثالث، ملكاً شرعيًا. وفي ٦ أيلول ١٧١٥ رفع مار هذا (١٦٧٥ - ١٧٣٢) علم الملك دجيمس الثالث، « المطالب السابق بالعرش »، في بريمر ليحدد بدء الثورة. وانضمّ اليه عدد كبير من النبلاء. وفي غضون شهر واحد استولى الايرل أوف مار على بيرث وسائر مرافئ الساحل الشرقي. غير أن محاولاته للاستيلاء على أدنبره، ودمفريز، وفورت وليام باءت جميعًا بالاخفاق.

عند ذلك الحد، لم يستطع هذا النبيل الثائر الذي عُرف بلقب « دجون المتذبذب » ـ بسبب تردده ـ أن يقرر ما هي الخطوة التالية، فانفضّ عنه

أنصاره، ودبّت الفرقة بين الثائرين. فاتجه فريق منهم شطر جنوب انكلترا وبلغوا بريستول قبل أن يُجبروا على الاستسلام في ١٣ تشرين الثاني. وفي اليوم نفسه هُزم مار في شيريفمبوير، بالقرب من سترلنغ. وفي السنة ١٧١٦ وصل دجيمس ادوارد لمساعدة مار، ولكن الثورة التي عُرفت باسم «الخمسة عشر» كانت قد أُخمدت، فعاد إلى فرنسا بعد شهر واحد.

١٧١٥

هاندل يؤلف «موسيقى الماء»

في السنة ١٧١١ قدّمت في لندن اوبرا «رينالدو» للمؤلف الموسيقي الألماني جورج فريدريك هاندل (١٦٨٥ - ١٧٥٩). وما هي الا فترة من الزمن حتى قرر هاندل الاقامة في انكلترا، وألّف السنة ١٧١٥ مقطوعته الرائعة «موسيقى الماء» تكريمًا للملك جورج الأول لمناسبة موكب ملكي جرى فوق مياه نهر الثيمز. وقد وضع هذا المؤلف الألماني الذي تجنّس بالجنسية الانكليزية كل أنواع الموسيقى، بما في ذلك أكثر من أربعين أوبرا، وحوالى ثلاثين أوراتوريو - والأوراتوريو قطعة موسيقية ذات موضوع ديني.

١٧١٧

التلقيح الأول ضد الجُدَري

قليلون من سكان العالم الغربي يصابون اليوم بالجدري، غير أن هذا المرض كان حتى القرن الثامن عشر شائعًا جدًا. وكثيرون كانوا يصابون به، ومثلهم كان الكثيرون يقضون بسببه. والذين كانوا ينجون منه ليحكوا حكايته يحملون علاماته، وهي الندوب التي تتركها البثور التي يطفح بها الجلد.

والجدري مرض شديد العدوى، يبدأ بطفح جلدي يتحول إلى بثور، لا تفتأ بعد بضعة أيام أن تتقيّح، ثم تبدأ بالتشقق، والجفاف.

وفي السنة ١٧١٧ لاحظت اللايدي ماري ويرتلي (١٦٨٩ - ١٧٦٢) ان السكان في تركيا، حيث كان زوجها سفيرًا لبلاده انكلترا، يستعملون أحيانـاً السائل من بثور الجدري لحماية أولئك الذين لم يصابوا بالعدوى. وما هي الا أربع سنوات حتى أُدخلت هذه الطريقة إلى بريطانيا حيث كان الترحيب بها عامًا وسريعًا. ومع ان التلقيح هذا نفسه قضى على البعض، فإن النسبة الاجمالية للوفيات بسبب داء وباء الجدري انخفضت كثيرًا.

١٧١٧
الرسام فاتو يُقبَل في الاكاديمية الفرنسية

بعد سنوات عدة من تجاهل الرسام الفرنسي جان انطوان فاتو (١٦٨٤ - ١٧٢١) تم الاعتراف بموهبته الفنية واستحق الشهرة عن جدارة عندما قُبل السنة ١٧١٧ عضوًا في الأكاديمية الفرنسية. وكانـت «الشهـادة» التـي خـوّلتـه ذلك لوحته الخالدة «زورق إلى سيتيرا». وكثير من لوحاته يصف عالم اللهو في البلاطات، ومن أروعها لوحتاه «الحفلة الموسيقية»، و«محادثات». وكانت الموضوعات المفضلة لديه هي الموضوعات الريفية.

١٧١٩
صدور قصة «روبنصون كروزو»

في ٢٥ نيسان ١٧١٩ نشر الروائي الانكليزي دانيال ديفو (حوالى ١٦٦٠ - ١٧٣١) أول مجلد من روايته «روبنصون كروزو». ونُشر مُجلدٌ ثانٍ في وقـت لاحق من السنة نفسها، كما نُشر ذيل لها في السنـة ١٧٢٠. وقـد بنـى ديفـو قصته على مغامرات ألكسندر سلكـريـك، الذي عـاش وحيـدًا طـوال اثنيـن

وخمسين شهرًا على جزيرة ماس ـآـ تييرا، في مجموعة جزر خوان فرنانديز، في جنوب المحيط الهادىء.

١٧٢٠
فُقّاعة شركة البحر الجنوبي

في السنة ١٧٢٠ عرضت «شركة البحر الجنوبي» الانكليزية، ان تتولى تسديد الدين القومي الذي كانت اقترضته الحكومة. وقدّمت سلفة إلى الحكومة مقدارها سبعة ملايين و٥٦٧ الف ليرة استرلينية لقاء بعض الامتيازات التجارية.

ومع أن التجارة مع أميركا الجنوبية لم تُثمر أبدًا في الواقع، فإن الانطباع الذي رُوّج بالنسبة الى الجمهورية كان ان هذه الشركة ستجني ارباحًا هائلة، فراح الناس من مختلف مرافق الحياة يتدفقون على شراء الاسهم.

وفي شباط ١٧٢٠، كانت الأسهم بقيمة مئة ليرة استرلينية تساوي ١٣٠ استرلينية، ولكنها في حزيران من تلك السنة نفسها كانت الأيدي تتداولها بقيمة ١٠٥٠ استرلينية.

وعمد تجارٌ ورجالُ أعمالٍ تنقصهم المبادىء الخلقية وتحدوهم الرغبة إلى الافادة من هذا الازدهار، إلى بيع الاسهم في الشركات المشبوهة. وطلب مديرو شركة البحر الجنوبي إلى الحكومة أن تجعل ثمانين من هذه الشركات، بما فيها شركة تألفت لاستيراد الحمير من اسبانيا، غيرَ قانونية، فكانت النتيجة ان انفجرت «الفُقّاعة»، وسارع الناس إلى بيع اسهمهم، فانخفضت قيمتها انخفاضًا هائلاً وسريعًا، وخسر الآلاف منهم أموالاً طائلة.

١٧٢٠
باخ يؤلف «كونشرتات براندنبورغ»

بين السنة ١٧٢٠ و١٧٢١ ألّف الموسيقي الألماني الأشهر يوهان سيباستيان

باخ (١٦٨٥ ـ ١٧٥٠) مقطوعاته الموسيقية المعروفة بكونشرتات براندنبورغ الستة ـ والكونشرتو لحن يُعزف على آلة منفردة أو أكثر بمصاحبة الاوركسترا. وقدّمها إلى الدوق كريستيان لودفيغ براندنبورغ، وهي تُعرف بالكونشرتات الكبيرة. ومن أشهر مؤلفاته آلام القديس يوحنا، وآلام القديس متى. وكان ربّ اسرة شديدة التقى والورع، تتألف من عشرين ولدًا رُزِقَهُمْ من زوجتين، وأصبح الكثيرون منهم موسيقيين. وقد انعكست نظرته الدينية في موسيقاه لأن الموسيقى كانت في عرفه نوعًا من العبادة. وباخ هو أحد مؤسسي الموسيقى المتعددة الأصوات. وقيل ان باخ كان رياضي الموسيقى، وبتهوفن فيلسوفها، وموتسارت شاعرها.

ومن أبز الأحداث في حياته زيارته سنة ١٧٤٧، بعد الدعوات المتكرّرة، بـلاط فريدريك الكبير، الذي بالغ بالحفاوة به وأكرم وفادته. وكان لدى هذا الملك مجموعة من البيانوات طلب إلى باخ تجربتها.

وما هي إلاّ سنتان حتى بدأ نظر باخ يشح، وما لبث أن أصيب بالعمى التام، وقد توفي في لايبزيغ.

١٧٢١
وولبول يصبح أول رئيس للوزراء في انكلترا

عندما انفجرت فُقَّاعة « شركة البحر الجنوبي » السنة ١٧٢٠ وقعت على عاتق روبرت وولبول، (١٦٧٦ ـ ١٧٤٥) مهمة تصنيف الورطات والعقد المالية، فعُيّن في منصب لورد أول للخزينة، ووزيرًا للمال السنة ١٧٢١.

وتولّى هذا المنصب من ٣ نيسان ١٧٢١ إلى ١٢ شباط ١٧٤٢، ويُعتبر عمومًا أول رئيس وزراء بريطاني، مع أن هذا المنصب لم يُعترف به رسميًا الا السنة ١٩٠٥. وقد تطور هذا المنصب نتيجة عـدم رغبة الملك جورج الأول في حضور جلسات مجلس الوزراء بسبب الصعوبات التي كان يلقاها من حيث اللغة الانكليزية التي لم يكن يتقنها.

دخل وولبول البرلمان السنة ١٧٠١، وما لبث ان عرف الشهرة بفضل مهارته العجيبة في الأرقام، وحكمه الدقيق على الناس، ومقدرته الفائقة. وفي السنة ١٧٠٨ أصبح وزيرًا للحربية في حكومة المحافظين، ولكنه بعد أربع سنوات أُرسل سجينًا إلى برج لندن بتهمة الفساد. ولكنه عاد إلى منصبه السنة ١٧١٤ عندما اعتلى العرش الملك جورج الأول.

وكانت رئاسة وولبول للوزارة البريطانية أطول الرئاسات في التاريخ البريطاني. فقد دامت حتى أصبح الايرل أوف أوكسفورد السنة ١٧٤٢. وقد مُنح لقب النبالة في السنة ١٧٢٦.

١٧٢٦
نشر رواية «رحلات غوليفر»

«رحلات غوليفر» نُشرت في الأصل كعمل أدبي ساخر، يُلقي ضوءاً قويًا على بعض حماقات وأبّهيّات الزمن الذي كُتبت فيه. ومع ذلك فهي قصة مغامرات مثيرة، يقرأها الكبار والأحداث بشغف ولذة سواء بسواء. أما مؤلفها فهو دجوناثان سويفت (١٦٦٧ - ١٧٤٥)، المعروف أيضاً بكتابيه «معركة الكتب»، و«قصة حوض».

١٧٢٩
تأسيس الجمعية الميثودية

تأسست هذه الجمعية في أوكسفورد السنة ١٧٢٩ إثر الحركة الدينية الاصلاحية التي قادها تشارلز ودجون ويزلي محاولَيْن فيها احياء كنيسة انكلترا. وقد بدأت عندما شرع نفر من الشبان يجتمعون بانتظام للقراءة في

الكتاب المقدس، وتلاوة الصلوات. وسرعان ما عُرفوا باسم «عِثّة التوراة» أو «النادي المقدس»، ولعلهم عُرفوا باسم الميثوديين - أو المنهجيين - لأنهم حاولوا العيش بمنهجية وفقاً لعقيدة العهد الجديد من «الكتاب المقدس».

كان مؤسس الحركة دجون ويزلي (١٧٠٣ - ١٧٩١) مدرّساً في الجامعة. دَرّسَ في كلية كرايست تشرش بأوكسفورد، وسيم كاهناً السنة ١٧٢٨ في كنيسة انكلترا. أما أخوه تشارلز (١٧٠٧ - ١٧٨٨) فكان الواعظَ الرئيسي والمنظِّرَ اللاهوتي للحركة، وقد نظم الترانيم الدينية الكثيرة.



دجون ويزلي.

أما قواعد السلوك والمبادىء الخاصة بهذه الحركة فهي المجلدات الاربعة التي وضعها دجون ويزلي وتتضمّن عظاتِه القصيرة حول العهد الجديد. وقد تشكلت الميثودية في الأصل داخل كنيسة انكلترا، ولم تصبح جسماً مستقلاً الا السنة ١٧٩٥.

١٧٣٣
بداية الثورة الزراعية في انكلترا

في مطلع القرن الثامن عشر، ايقن عدد من أصحاب الأملاك في انكلترا ان

ازدياد عدد السكان يستدعي محاصيل زراعية أكبر، وأساليب زراعية أكثر فعالية. وكانت النتيجة بدء اختباراتهم في المحاصيل الجديدة والتقنيات المحسّنة.

وأدخل دجثرو طل (١٦٧٤ - ١٧٤١) أساليب زراعية حديثة، وفي السنة ١٧٠١ ابتكر حفّارة آلية تحفر وتزرع الحبوب في آن معًا. وقد نشر السنة ١٧٣٣ أفكاره المتعلقة بذلك في كتاب.

وانسحب تشارلز تاونزند (١٦٧٤ - ١٧٣٨)، وكان عضوًا في مجلس اللوردات، من السياسة السنة ١٧٣٠، وكرّس حياته للقيام بالتحسينات الزراعية. فأدخل نظام المناوبة بين المحاصيل - أو تغيير المحاصيل في الحقل الواحد ابقاءً على خصوبة الأرض. ونصح باستعمال الاعشاب الاصطناعية، والبرسيم. وكان أول مزارع انكليزي زرع اللفت، كمحصول زراعي، ومن هنا لُقّب «تاونزند اللفت».

هذان الرجلان، وسواهما كانوا وراء بعث الزراعة مجددًا في بريطانيا، وبدأوا الثورة الزراعية التي كانت بمثل أهمية الثورة الصناعية التي تلتها.

١٧٣٥
نَشْرُ مجموعات الرسام هوغارث

«تَقَدُّمُ الخليع» مجموعةُ رسوم ثمانية صنعها في السنة ١٧٣٥ الرسام الانكليزي وليام هوغارث (١٦٩٧ - ١٧٦٤). وهي تصف سقوط شاب من الطبقات الاجتماعية العليا يتبع قواعد اللباس والسلوك السائدة في تلك الطبقات، ويحيا حياة مستهترة، فيقامر، ويُسجن لعدم تسديده ديونه، وينتهي به الأمر إلى مِصَحّة للأمراض العقلية. وقد أعقبت هذه المجموعة الثمانية مجموعةَ رسومٍ سابقة ساخرة لقيت الشهرة، أعطاها هوغارث العنوان «تَقَدُّم البغيّ».

١٧٣٥
كاناليتو يرسم في ايطاليا وانكلترا

رسم جيوفاني انطونيو كاناليتو (١٦٩٧ - ١٧٦٨) الكثيرَ من مشاهد الحياة في مسقط رأسه مدينة البندقية الايطالية، وفنها المعماري. ولعلَّ أشهر أعماله لوحة «سفينة في القناة الكبرى»، التي رسمها السنة ١٧٣٥. وفي السنة ١٧٤٦ استقرَّ في لندن، فأبدع فيها رسومًا لنهر التيمز، تتميز بمهارته في استعمال الألوان، والقدرة على الرسم المنظوري - أي فن رسم الأشياء بطريقة تُحدث في النفس عَيْنَ الانطباع، من حيث الأبعادُ النسبية والحجم وما إلى ذلك، الذي تحدثه هي ذاتها حين يُنظَرُ اليها في نقطة معينة.

١٧٣٥
ليناوس يبدأ «النظام الطبيعي»

العالِم النباتي السويدي ليناوس، أو كارل فون للينّه - كما يُعرف أيضًا (١٧٧٠ - ١٧٧٨) بدأ في السنة ١٧٣٥ نظامه الجديد لتصنيف النباتات. ومع ان الأسلوب الذي اتبعه كان اصطناعيًا كليًا، ذلك لأنه جمع النباتات في مرتبات وطوائف وفقًا لعدد سداتها - أو الأعضاء الذَكَرية، والمدقات، أو أعضاء التأنيث في ازهارها - فإن نظامه يشكِّل أساس التصنيف النباتي الحديث.

١٧٣٩
حرب أُذن دجنكنز

في ٩ نيسان ١٧٣١، كان القبطان الانكليزي روبرت دجنكنز عائدًا إلى

بلاده من جامايكا عندما صعد إلى سفينته « ريبيكا » عددٌ من رجال خفر السواحل الاسبان. وقطع قائد القوة إحدى اذنيه. طالباً إليه أن يحملها إلى الملك، ويُبلغه رسالةً مفادها انه لو كان عاهل انكلترا نفسُهُ على السفينة لكان لَقِيَ المعاملة نفسها.

وروى دجنكنز القصة أمام أعضاء مجلس العموم في ١٦ آذار ١٧٣٨، فأحدث هذا الخبر الخطير عداوةً كبيرة تجاه الأسبان، أدّت في النهاية الى الحرب التي نشبت السنة ١٧٣٩، وبالطبع عُرفت تلك الحرب باسم « حرب أُذُن دجنكنز ».

ومع ذلك، فإن ثمة شكّاً كبيرًا في صحة رواية دجنكنز. صحيح انه فقد أُذُنًا من أذنيه، أو على الأقل جزءاً منها، ولكنه ربما أصيب بهذا الحادث في إحدى المشاحنات.

١٧٤٠
وصول فريدريك الكبير إلى العرش

عندما أصبح فريدريك الثاني (١٧١٢ ــ ١٧٨٦) المعروف باسم فريدريك الكبير، ملكًا على بروسيا السنة ١٧٤٠، كانت البلاد مزدهرة ومنظمة بفعالية، ولها جيش كبير العدد، وقويّ. وقد استخدم كل ذلك لجعل قوته وسلطانه، وقوة بروسيا، أمرًا يُحسب له حساب، أي حساب!

وكان من أول أعماله لدى تربّعه على العرش مطالبة النمسا بمقاطعة سيليزيا، وقد خاض غمار حربين لتأكيد مطالبته بها.

وفضلًا عن القوة العسكرية العظيمة التي أوجدها فريدريك الكبير، فقد رعى شؤون تحسين الصناعة والزراعة البروسيين، وأنشأ نظامًا تربويًا، وشجع التسامح الديني، ونظّم القضاء البروسي. ومع انه يُعتبر من أعظم الرجال



فريدريك الكبير دعا الفيلسوف فولتير إلى بلاطه.

العسكريين في التاريخ، فقد كان شديد الولع بالموسيقى، والفنون، وكان يكتب بغزارة، ويعزف بالناي للاسترخاء.

وفي السنة ١٧٥٦ هاجم سكسونيا، وخلال حرب السنوات السبع التي تلت مُنيَ بهزائم عدة، ولكنه في النهاية، استطاع المحافظة على أراضيه. وفوق ذلك وسّع حدود بروسيا السنة ١٧٧٢ عندما أجبر بولونيا على التنازل له عن بعض أراضيها بموجب معاهدة عقدها مع روسيا.

ومع أن فريدريك الكبير كان ملكًا بكل معنى الكلمة، فقد كان يميل إلى ارتداء الملابس الجاهزة الرخيصة، ويعتمر غالبًا قبّعة رمادية رثة، وجبّة زرقاء ملوثة وجزمة قذرة.

١٧٤٠
حرب الخلافة النمساوية



ماريا تيريزا ووارثها.

لم يكن للامبراطور شارل السادس ابن يخلفه على العرش، فأصدر السنة ١٧١٣ مرسومًا ملكيًا ينصّ على أن ممتلكاته في النمسا والبلدان التابعة لها والخاضعة لسلطانها ستؤول إلى ابنته ماريا تيريزا (١٧١٧ - ١٧٨٠) بعد وفاته. ونجح في الحصول على موافقة الحكام الأوروبيين الآخرين على خلافة ابنته له، الا انه لما توفي السنة ١٧٤٠، تمّ تجاهل كل هذه الاتفاقات.

وطالب فريدريك الثاني البروسي بسيليزيا، وطالبت النمسا بهولندا النمساوية، وطالب شارل ألبرت البافاري، بمساندة فرنسا واسبانيا، بأراضي آل هابسبورغ. وكانت النتيجة اندلاع نيران الحرب عبر أوروبا طوال السنوات الثماني التالية. وكانت بريطانيا منهمكة في حربها مع اسبانيا، وفي السنة ١٧٤٢ بدأت الحرب لدعم ماريا تيريزا.

وفي السنة ١٧٤٣ هزم جيش مؤلفٌ من البريطانيين والنمساويين والهنوفريين بقيادة الملك جورج الثاني (١٦٨٣ - ١٧٦٠) الفرنسيين في ديتنغن ودخل النمساويون بافاريا. وكانت تلك آخر المعارك التي يشترك فيها ملك انكليزي شخصيًا. ولكن الفرنسيين بقيادة الماريشال دو ساكس هزموا القوات البريطانية والهولندية والنمساوية في فونتنوى السنة ١٧٤٥، وقد توقفت السنة ١٧٤٧. وفي

المعارك والاشتباكات البحرية في تلك الحرب برهنت البحرية البريطانية عن تفوّقها العظيم. وانتهت الحرب بمعاهدة ايكس ـ لا ـ شابيل التي عقدت في ١٨ تشرين الأول ١٧٤٨.



ديفيد غاريك.

١٧٤١

غاريك يظهر على مسرح لندن

أثار ظهور الممثل الانكليزي ديفيد غاريك (١٧١٧ ـ ١٧٧٩) في مسرحية شكسبير التاريخية «الملك رتشارد الثالث» التي قُدّمت على مسرح غودمانز فيلدز، في لندن، ضجة قوية. وكان أسلوبه في التمثيل طبيعياً، وعلى طرفي نقيض بالنسبة إلى الأداء الرصين الذي كان يعتمده الممثلون السابقون. ومن السنة ١٧٤٢ الى السنة ١٧٤٥، قام بالتمثيل على مسرح دروري لاين الشهير، وأصبح فيما بعد من أصحابه الرئيسيين. ولا يزال يُعتبر إلى يومنا هذا أحد الممثلين العباقرة الكبار.

١٧٤١

نشر رواية «باميلا» لرتشاردسون

كانت رواية «باميلا» للروائي صمويل رتشاردسون (١٦٨٩ ـ ١٧٦١) أولى الروايات الانكليزية التي تظهر بشكل رسائل. وكتب رتشاردسون كذلك روايته الثانية «كلاريسا»، أو قصة فتاة، السنة ١٧٤٨، بالشكل الترسلي نفسه، وكانت الغاية من وراء ذلك اعطاء مؤشر أوضح عن أفكار الشخصيات ومشاعرهم.

١٧٤٢

اختراع ميزان الحرارة المئوي

اخترع ميزان الحرارة المئوي (« سنتيغراد) العالم الفلكي السويدي أنديرس

سلسيوس (١٧٠١ - ١٧٤٤). ويقسم الميزان إلى مئة درجة موزعة بحيث تكون الحرارة صفر مئوية درجة التجلّد، والدرجة مئة نقطة الغليان، وهي النقطة التي يبلغها في هذا التدرّج البخار المتصاعد من الماء المغلي.

١٧٤٥

ثورةُ المُطالب الشاب بالعرش

في تموز ١٧٤٥ أبحر تشارلز ادوارد ستيوارت (١٧٢٠ - ١٧٨٨) ابن «المطالب السابق بالعرش» دجيمس ادوارد ستيوارت، الى اسكتلندا ورفع في ١٩ آب علم والده فانضمّت اليه قبائل من نِجاد اسكتلندا.

واستولى على بيرث وادنبره دونما مقاومة تُذكر، وهَزَمَ الانكليز فيهما. وبلغ مانشستر في نهاية تشرين الثاني، ووصل إلى داربي في ٤ كانون الأول. وهنا الحّ ضباطه على ان الغزو لن ينجح، وانسحب الجيش في ٦ كانون الأول.

وما إن عاد تشارلز إلى اسكتلندا حتى سَجّل انتصارًا في فولكيرك، ولكنه اضطُر للانسحاب إلى النِجاد بعد ان طارده الدوق كَمْبرلاند وجيشه، وانزل به هزيمةً منكرة في معركة كالودن مور.

وطوال الخمسة اشهر التالية اختبأ تشارلز ادوارد، ويُعرف شعبيًا باسم «بوني برينس تشارلي» أو «المطالب الشاب بالعرش»، في نِجاد اسكتلندا. وقد وُضعت جائزة قدرها ثلاثون الف استرلينية لمن يقضي عليه. وعلى الرغم من هذه الجائزة الضخمة لم يقع فريسة الخيانة مطلقًا، واستطاع أخيراً الهرب الى فرنسا. وبرحيله وُضع حدّ للحركة الدجيمسية.

١٧٤٩

نشر رواية «طوم دجونز»

«طوم دجونز» هي الرائعة الملحمية للروائي الانكليزي هنري فيلدنغ (١٧٠٧ - ١٧٥٤)، وقد وُصفت بأنها أعظم رواية ظهرت على الاطلاق. وهي

تروي المغامرات الصاخبة التي يقوم بها بطلها بواقعية وحيوية يتفق النقّاد على أن بعضهما لم يُجارَ من قبل. ومن روايات فيلدنغ الأخرى نذكر دجوزف آندروز، ودجوناثان وايلد الكبير، وآميليا، وقد ظهرت في السنوات ١٧٤٢ و١٧٤٣ و١٧٥١ على التوالي، ولكنها لا تتميز بالتألق نفسه الذي يشعّ من «طوم دجونز». ومن مسرحياته الهزلية الرائعة «الحب تحت أقنعة عدة».

١٧٥٠
نشر «الاونسيكلوبيدي» في فرنسا

من أشهر الموسوعات العالمية «الأونسيكلوبيدي» التي نُشرت في فرنسا السنة ١٧٥٠. فقد قرر ناشران هُما لو بريتون وبريازون انتاجَ ترجمة لموسوعة ايفرايم تشيمبرز الانكليزية التي صدرت السنة ١٧٢٨. وكُلّفَ الفيلسوف والعالم الفرنسي المعروف دنيس ديديرو (١٧١٣ - ١٧٨٤). القيام بهذا العمل غير أن ديديرو اقنعهما بوضع مؤلف جديد يكون أبعدَ نطاقًا وأكثر شمولًا.

وضمّ فريق المساهمين في هذاالعمل الضخم الجديد كل الكتّاب الفرنسيين البارزين في ذلك الزمن، أمثال جان - جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨)، وفولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨) وبوفون (١٧٠٧ - ١٧٨٨) ومونتسكيو (١٦٨٩ - ١٧٥٥). وفضلًا عن تقديم مواد واقعية حول عدد متنوع من الموضوعات، تضمّنت الاونسيكلوبيدي الكثير من الفكر الفلسفي السائد. ولم تشمل سوى الموضوعات التي يمكن تقديم توضيح عقلاني لها، وبذلك أثارت عداوة كبيرة من ناحية طبقة الموظفين ورجال الدين، وقد حُظر النشر في السنتين ١٧٥٢ و١٧٥٩. وأسرت الاونسيكلوبيدي روحَ العصر الجديد للفكر الذي كان فجره يبزغ في فرنسا آنذاك - عصر التنوُّر والمعرفة الذي أدّى في نهاية المطاف إلى الثورة. ويتجلّى هذا الروح أيضًا في إدانة المجتمع بالفساد والفقر، والترحيب بالحرية الجديدة التي تبرز في سائر أعمال الذين أسهموا في تلك الموسوعة وعُرفوا بالاونسيكلوبيديين.

١٧٥٠
نَشْرُ المرثاة الشعرية لغراي

« مرثاة في فناء كنيسة ريفية » هي أهم أعمال الشاعر الانكليزي توماس غراي (١٧١٦ - ١٧٧١) ، ولعلّها أشهر القصائد وأجملها في اللغة الانكليزية . وقد ألهم غراي هذه المرثاة في فناء الكنيسة حيث وُوري الشاعر نفسه الثرى فيما بعد !

١٧٥٢
فرانكلين يخترع مانعة الصاعقة


بنيامين فرنكلين .

مانعة الصاعقة ، اخترعها السنة ١٧٥٢ السياسي والعالم والكاتب الأميركي بنيامين فرانكلين (١٧٠٦ - ١٧٩٠) ، كما اخترع أيضًا موقدًا للتدفئة ، ومنظارًا بعدستين ، ونظّم فرقة للاطفاء ، ومكتبة عامة باشتراكات ، وانشأ الكلية التي أصبحت فيما بعد جامعة بنسلفانيا .

وُلد في بوسطن من أبوين فقيرين ، ولم يدرس سوى سنتين اثنتين وحسب . وقد تدرّب على يديّ والده ، صانع الصابون والشموع ، ثم عمل لدى أخيه في إحدى المطابع . ونجح كطابع . وانسحب السنة ١٧٤٩ لكي يكرّس كل جهوده ووقته للعلم . وبينما كان يطيّر طائرة مصنوعة من الورق مما يلهو به الفتيان ، في وقت عاصف ، استطاع أن يُثبت ان البرق شكلٌ

من أشكال الكهرباء.

وفي السنة ١٧٥٣ عُيِّن مديرًا عامًا للبريد في المستعمرات البريطانية في اميركا الشمالية، وانتخب عضوًا في المجلس التشريعي في بنسلفانيا. ومن السنة ١٧٧٦ الى السنة ١٧٨٥، كان سفيرًا لبلاده في فرنسا، وفي السنوات الثلاث التالية رئيسًا لبنسلفانيا.

١٧٥٣
تأسيس المُتحف البريطاني

وفّر يانصيبٌ وطني المالَ لشراء مجموعة كتب هانس سلون (١٦٦٠ - ١٧٥٣)، ونقوده المعدنية، ومدالياته، ونماذج مختلفة من التاريخ الطبيعي السنة ١٧٥٣. وفي السنة التي تلت اشتُريَ قصرُ مونتاغيو لضم تلك المجموعة مع مجموعتَي لورد أوكسفورد هارلي والسر روبرت كوتون، والمجموعة الملكية. وقد افتُتح المتحف البريطاني الذي تكوّن من كل ذلك في ١٥ كانون الثاني ١٧٥٩.

١٧٥٥
الهزة الأرضية في لشبونة

في أول تشرين الثاني ١٧٥٥، ذهب ضحية الهزة الأرضية التي ضربت لشبونة، في البرتغال، حوالى ثلاثين الف نسمة. وأثناء تساقط المباني هرع السكان إلى رصيف الميناء القريب طلبًا للنجاة، ولكنهم لاقوا حتفهم عندما حدثت هزة ثانية دمرت الرصيف. واما الهزة الثالثة التي أعقبت ذلك، فقد تسبّبت في إحداث أمواج هادرة تعالت من البحر وأكملت تدمير المدينة المنكوبة بأسرها.

١٧٥٥
نشر قاموس دجونسون

اقترح الكاتب الانكليزي صمويـل دجونسون (١٧٠٩ ـ ١٧٨٤)، وللمرة الأولى، وضع قاموسه للغة الانكليزية السنة ١٧٤٧، ولكنه لم يُنشر الا في السنة ١٧٥٥. وقد نال على عمله فيه ١٥٧٥ ليرة استرلينية. وكان أولَ قاموس انكليزي ذا قيمة باقية معترفٍ بها. وقد أسهم كثيرًا في توحيد وتقوية معاني الكلمات الانكليزية، كما نعرفها اليوم.

١٥٧٦
تأسيس مصنع الخزف في سيفر

يشمل خزف ـ أو بورسلين سيفر آنية، ومزهريات، وصحونًا ذات أشكال ورسوم تزينية وزخرفية كلاسيكية. وقد افتُتح المصنع في بلدة سيفر، بالقرب من باريس، السنة ١٧٥٦ لانتاج مزيج من الصَلْصَال والماء لصنع الخزف. ولكن في السنة ١٧٦٨ صُنعت عجينة أصلبُ وأقسى من الكاولين أو الصَلْصَال الصيني ـ وهو صلصال نقي، أبيض عادة ـ والفَلْسباد، أو سليكات الألمنيـوم، فكان ذلك أقربَ ما يمكن من الخزف الأصلي الذي اخترعه الصينيون القدامى. وراجت سوق هذا النوع من البورسلين واشتهر عالميًا.

١٧٥٦
حرب السنوات السبع

كانت هذه الحرب تجديدًا للنزاع بين بريطانيا وفرنسا، وبين النمسا وبروسيا ـ أو حرب الخلافة النمساوية.

بين بريطانيا وفرنسا كان الصراع يتعلّق بالمستعمرات في الهند وأميركا. وقد انتهى بانهيار فرنسا كدولة استعمارية، وانشاء الامبراطورية البريطانية الهندية - وكانت القضية الأساسية في الخلاف بين النمسا وبروسيا تصميم النمسا على استعادة سيليزيا التي انتُزعت منها خلال حرب الخلافة النمساوية.

بدأت الحرب لما استولى الفرنسيون على مينوركا السنة ١٧٥٦، وفي وقت لاحق من السنة نفسها، وخشيةَ ان يقوم النمساويون بالهجوم، هاجم الملك فريدريك البروسي سَكْسُونيا على أمل ان يغزو بعدها بوهيميا.

وكان دور بريطانيا في الحرب مقتصراً على المستعمرات في الهند وأميركا الشمالية. وفي الهند حيث كانت الحرب متواصلة منذ السنة ١٧٤٨، جرت الصدامات الحاسمة في بلاسي السنة ١٧٥٧، ووانديواش السنة ١٧٦٠. وفي أميركا الشمالية كان الحدث الرئيسي حصار كيبيك السنة ١٧٥٩.

١٧٥٦
حُفْرة كلكوتا السوداء

أدّى نشوب حرب السنوات السبع في أوروبا الى تجدُّد القتال بين الفرنسيين والانكليز في الهند.

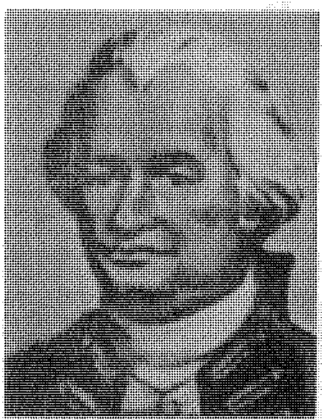
وفي ٢٠ حزيران ١٧٥٦، هاجم حاكم البنغال المستوطّنة الانكليزية في كلكوتا. فأسر ١٤٦ أوروبيّا، وسجنهم في سجن يُعرف باسم «حفرة كلكوتا السوداء». غير ان الظروف الصحيّة فيه كانت من السوء بحيث لم يبقَ في قيد الحياة منهم سوى ثلاثة وعشرين وحسب، بسبب انعدام التهوية والازدحام الشديد. وأبحر روبرت كلايف (١٧٢٥ - ١٧٧٤) والأميرال تشارلز واطسن من مدراس واستعادوا كلكوتا في ٢ كانون الثاني ١٧٥٧.

ووعد كلايف مير جافير، القائد العام لقوات حاكم البنغال، بأنه سيعتلي

العرش في البنغال. وفي حزيران زحف نحو هذه المقاطعة على رأس ٣٠٠٠ جندي. وفي بلاسي، في غرب البنغال، هاجم كلايف قواتِ حاكم البنغال. وعُيِّن مير جافير حاكمًا على البنغال، لكن السلطة الحقيقية في تلك البلاد بقيت في يد البريطانيين.

١٧٥٩
وولف يستولي على كيبيك

تحققت الانتصارات البريطانية في كندا خلال حرب السنوات السبع بسبب التعاون بين القوات البحرية والبرية. وقد جسّد ذلك بصورة خاصة الاستيلاء على كيبيك السنة ١٧٥٩.



الجنرال وولف يستولي على كيبيك.

فقد حمل اسطول بحري دجيمس وولف (١٧٢٧ - ١٧٥٩) وتسعة آلاف جندي إلى جزيرة أورليونز، شمال نهر سنت لورنس. وبعد انتظار عدة أشهر، أرسل وولف فرقة من الجند لتقوم بهجوم صُوَري وزائف ضد كيبيك، في حين انتقل هو وسائر قواته بواسطة السفن على طول النهر إلى نقطة أبعد من ذلك. وفي اليوم التالي اشتبك مع الفرنسيين في سهول ابراهام.

وجُرح وولف والقائد الفرنسي الجنرال مونكالم (١٧١٢ - ١٧٥٩) جراحًا بليغة في اليوم نفسه، ١٣ أيلول ١٧٥٩. وبعد أربعة أيام استسلمت كيبيك إلى البريطانيين، ومهّدت هكذا الطريقَ إلى الاحتلال البريطاني الكامل كندا في السنة التالية.

١٧٦١
افتتاح قناة بريدجووتر

لم تكن وسائل النقل فعّالة بما فيه الكفاية لتلبّي الحاجات الجديدة إلى الاتصالات المتزايدة التي فرضتها الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر. كانت الطرقات في غاية السوء، ولم تكن السكة الحديدية قد اختُرعت بعد.

ووجد فرنسيس ايغرتون، ثالثُ دوقات بريدجووتر (١٧٣٦ ـ ١٨٠٣) الحلّ لهذه المشكلة. كان يسعى إلى إيجاد وسيلة رخيصة لنقل الفحم الحجري من مناجمه في ورسلي إلى مانشستر، فأوكل إلى دجيمس بريندلي (١٧١٦ ـ ١٧٧٢) مهمة انشاء هذه القناة. وفي غضون سنيتن أُنجزت القناة البالغة ستةً وسبعين كيلومترًا طولًا، ومُلئت ماءً في ١٧ تموز ١٧٦١.

ويُحدِّدُ البناءُ على هذا المجرى المائي بدايةَ عصر القنوات في بريطانيا. وما عتم الأمر ان غطّت الجزءَ الأكبرَ من البلاد شبكةٌ من القنوات. ونتيجة هذه المبادرة، يُعتبر الدوق اوف بريدجووتر غالبًا «أبا الملاحة الداخلية البريطانية».

١٧٦٤
هارغريفز يخترع دولاب الغزل

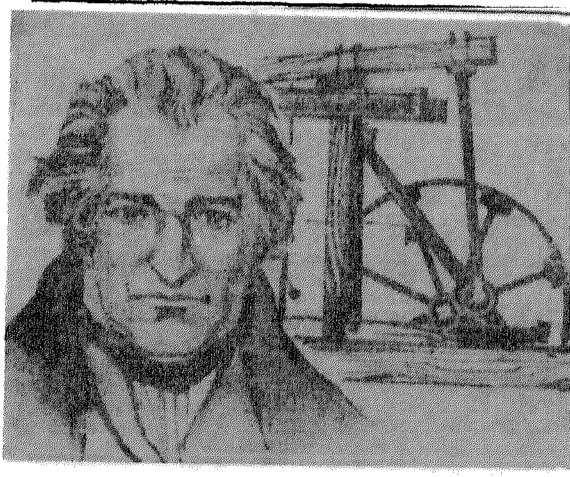
يحدد النصف الثاني من القرن الثامن عشر بداية الثورة الصناعية في انكلترا، وهي فترةٌ تحوّل فيها الاقتصاد من كونه زراعيًا في الأصل، إلى مجتمع يقوم على أساس صناعي. ومع تزايد حجم الصناعات، ظهرت اختراعات جديدة جعلت العمل أكثر آليةً وفعاليّة.

من تلك الأجهزة كان «دولاب الغزل» الذي اخترعه السنة ١٧٦٤ دجيمس

هارغريفز (١٧٢٠ - ١٧٧٨). وهو الدولاب الذي كان يُدار باليد ، وقد أطلق عليه مخترعُهُ اسمَ زوجته « دجيني » ، وكان يُتيح للمرء ان يغزل ثمانية خيوط في آن معًا . وبعد اقترانه بالوشيعة ، أو المكّوك الذي اخترعه دجون كاي وسجّله ببراءة السنة ١٧٣٣ ، أحدث ثورة في صناعة القطن .

وخشي عُمَّالُ القطن ان تهدد هذه الآلات معيشتهم ، فهاجموا منزل هارغريفز السنة ١٧٦٨ ، وحطموا أجهزته وعتاده ، الا أنهم لم يستطيعوا وقف رياح التغيير التي كانت تكتسح البلاد .

١٧٦٥
واط يحسّن المحرك البخاري



دجيمس واط ، رائد عصر البخار .

على نقيض الاعتقاد السائد ، فإن دجيمس واط (١٧٣٦ - ١٨١٩) لم يخترع المحرّكَ البخاري ، ذلك بأنه جعله أكثر فعالية .

كانت المحركات الأولى تستخدم البخار الذي يمر عبر اسطوانة لدفع مكبس - أو بستون ، داخل الاسطوانة ، ثم كان الماء البارد يُصَبُّ على الاسطوانة لتكثيف البخار ، فيحدُثُ تفريغٌ هوائي لسحب المكبس إلى الخلف ، قبل أن تتكرر العملية . وفكّر واط في أن هذا النظام غيرُ كافٍ . فبتكثيف الفخار تَبْرُدُ الاسطوانة نفسُها أيضًا ، ولذا عندما يعود البخار ليدخل مجددًا ، فإن قسمًا كبيرًا من طاقته يضيع في إعادة تسخين الاسطوانة .

وحلّ واط المشكلة باستخدام إناء منفصل كمكثّفٍ، بحيث تبقى الاسطوانة الرئيسية في حرارة معينة ثابتة. وفضلًا عن ذلك وضع الاسطوانة في صندوق حراري ليمنع فقدان الحرارة، واستخدم البخار بدلاً من التفريغ الهوائي لدفع المكبس إلى أسفل، وإلى أعلى، على السواء.

١٧٦٨
تأسيس أول سيرك في العالم

يعتبر آرثر آستلي الانكليزي (١٧٤٢ - ١٨١٤) على وجه العموم «أبا السيرك». ذلك بأنه كان أول من عرض أنواعًا مختلفة من المهارات في الفروسية وركوب الخيل، والألعاب البهلوانية داخل حلبة.

وفي السنة ١٧٦٨ أسَّسَ مدرسةً لتعليم ركوب الخيل في لندن، ولكي يعلن عن مؤسسته هذه راح يعرض ألعابه التي لاقت النجاح الكبير. وتدريجيًا استبدّلَ العروضَ الخاصة بالفروسية بالبهلوانات، والسائرين على الحبال المشدودة، مع القيام بالألعاب عليها، وتقديم فرقة من الكلاب الراقصة... وهكذا كان آرثر آستلي أولَ من نظّم سيركًا بالمعنى الصحيح.

١٧٦٨
تأسيس الأكاديمية الملكية

هذه المؤسسة الفنية البريطانية الشهيرة انشأها الملك جورج الثالث (١٧٣٨ - ١٨٢٠) في ١٠ كانون الأول ١٨٦٨، من أجل «إنماء وتحسين فنون الرسم والنحت والفن المعماري». وكان نظامها ينصّ على تعيين رئيس لها وأربعين عضوًا، وإقامة معارض سنوية للأعمال المنجزة، وتأسيس مدارس للتعليم.

وكان أولَ رئيس للأكاديمية الملكية هذه السر دجوشوى رينولدز (١٧٢٣-١٧٩٣)، هذا الفنان الانكليزي الذي اشتهر في أنواع عدة من الرسم بالزيت، على الرغم من أن اسمه يقترن، عمومًا، بفن التصوير. وقد شملت موضوعاته الكثيرين من شخصيات زمانه، بمن فيهم الشاعر غولدسميث، والممثل غاريك، والكاتب دجونسون. وقد أُنعم عليه بلقب «سر» السنة ١٧٦٨.

وكان من بين الأعضاء الأصليين في الأكاديمية الرسام توماس غينزبورو (١٧٢٧ - ١٧٨٨) الذي ذاعت شهرته بعد قبوله فيها. ومن بين أفضل لوحاته نذكر لوحتيّ «الصبي الأزرق»، و«عربة الحِصاد». وكان في الدرجة الأولى رسامَ شخصيات لأن تلك كانت الطلبات الرئيسية لرعاة فنه الموسرين، مع أنه شخصيًا كان يفضّل رسمَ المناظر الطبيعية.

١٧٦٨
آركرايت يخترع ماكينة الحياكة القائمة على منصب

هذه الآلة التي اخترعها رتشارد آركرايت (١٧٣٢ - ١٧٩٢) هي التي أوجدت صناعة القطن البريطانية التي نعرفها اليوم. في البدء صادفَ المقاومة نفسَها التي صادفها كلٌّ من دجون كاي ودجيمس هارغريفز. فحُطِّمت ماكيناته، الا ان اختراعه كان قد أثبت فائدته، وتقدَّمت الصناعة القطنية بسرعة كنتيجةٍ لما قدّمه هذا المخترع.

١٧٦٨
رحلات كوك الاستكشافية

اسم دجيمس كوك (١٧٢٨ - ١٧٧٩) هو أحد الأسماء الشهيرة في تاريخ

الاستكشاف. قام بثلاث رحلات بطولية اكتشف خلالها أماكن عديدة، ورسم خرائط للسواحل، ومهّد السبيل للاستعمار البريطاني أوستراليا ونيو زيلندا.

خلال رحلته الأولى (١٧٦٨ - ١٧٧١) على متن السفينة «انديفر» رسم خريطة نيوزيلندا، ومسح ساحل اوستراليا الشرقي، وطالب به لبريطانيا العظمى. وأما الرحلة الاستكشافية الثانية (١٧٧٢ - ١٧٧٥)، وكان معه السفينتان «ريزوليوشن» و«أدفنتشر»، فقد غطت أكثر من تسعين ألف ميل، وخلالها كان كوك أول رجل يجتاز الدائرة القطبية الجنوبية.

وبسفينتيه «ريزوليوشن» و«ديسكفري» بدأ كوك رحلته الثالثة في ٢٥ حزيران ١٧٧٦. أبحر إلى نيوزيلندا، فاكتشف العديد من جزر كوك، وأعاد اكتشاف جزر هاواي، أو جزر ساندويتش، ومسح قسمًا كبيرًا من الساحل الأميركي، وعاد إلى هاواي السنة ١٧٧٩، ولكن السكان الأصليين ضربوه بالهراوات حتى الموت في ١٤ شباط من تلك السنة نفسها.

١٧٦٩
كونيو يصنع عربته البخارية

إن أول عربة تسير بقوة البخار على الطرق بنجاح - أو ما عُرف بالسيارة - هي تلك التي اخترعها نيكولا كونيو (١٧٢٥ - ١٨٠٤) المهندس العسكري الفرنسي. ومع ان هذه المركبة ذات العجلات الثلاث كان ينبغي أن تتوقف مرة كل ربع ساعة للتزوُّد بالبخار، فقد كان باستطاعتها اجتياز مسافة ما يناهز الثلاثة كيلومترات بالساعة الواحدة.

وقد أُعجبت الحكومة بإمكانات هذه العربة إلى درجة أنها أوصت على صنع واحدة مشابهة لاستعمال الجيش. ولكن، مع الأسف، لم يستخدمها الجيش قط بسبب عدد من حوادث الاصطدام، وتدميرها أحد الجدران أثناء

الاختبارات التي أُجريت عليها، فقررت الحكومة أن استخدامها يشكّل خطرًا كبيرًا.

وصنع مخترعون آخرون سيارات تسير بالبخار بدرجات متفاوتة من النجاح. ولعل أهمهم جميعًا رتشارد تريفيثيك. (١٧٧١ - ١٨٣٣). ولكن بعد كثير من النجاح، قرر أن لا مستقبل في مجال النقل البري على الطرق، وحوّل كل اهتماماته شطر السكك الحديدية.



غوته

١٧٧٠
غوته يبدأ العمل في «فاوست»

هناك عدد من النسخ المعدّلة من الأثر الأدبي الذي يتناول قصة الدكتور فاوستوس، العالِم الألماني في القرن السادس عشر الذي يزعم أنه باع روحه للشيطان، ولكن لعل أعظمها هي النسخة التي كتبها الشاعر الألماني الأشهر يوهان فولفغانغ غوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢)، في شكل مسرحية من قسمين. بدأ القسم الأول من «فاوست» السنة ١٧٧٠، ونُشر السنة ١٨٠٨، ولكن القسم الثاني لم يُنشر إلا السنة ١٨٣١.

ظهرت أعمال غوته الأدبية الأولى خلال المرحلة الأدبية الألمانية التي عُرفت باسم «العاصفة والضغط» التي سبقت الحركة الرومنطيقية التي اكتسحت أوروبا في القرن التاسع عشر. ومن السنة ١٧٨٦ إلى السنة ١٧٨٨ زار غوته ايطاليا، فألهم كتابة مسرحيات كلاسيكية تتميز بصفاء اللغة والتحفّظ المنهجيين. ويُعتبر شعر غوته أجمل ما ظهر في اللغة الألمانية.

وكان غوته كذلك يهتم كثيرًا بالعلم. وحياته في بلاط فايمار تحدّد انجازًا ثقافيًا فريدًا في نوعه، في كثير من الميادين.

١٧٧٢
بريستلي ينشر اختباراته

على الرغم من أن دجوزف بريستلي (١٧٣٣ - ١٨٠٤) كان قسّاً انكليزياً منشقاً عن كنيسة انكلترا، وله آراء ونظريات تتخطى حدود عصره، فإنه خَلّدَ كعالِم. ففي السنة ١٧٦٧ نَشر كتابه « تاريخ الكهرباء ». وأتبعه بعدد كبير من الاختبارات العلمية الباهرة في الكهرباء، وقدّم كثيرًا من المقترحات التي لم تُبَرهَن إلا بعد مضي مائة سنة.

وفي السنة ١٧٧٢، نشر بحثًا ذكر فيه اكتشاف حمض الهيدروكلوريك والأوكسيد النِتري، ووصف إمكانية إدخال ثاني أوكسيد الكربون في الماء - ويُعرف هذا النتاج اليوم بماء الصودا.

وفي السنة ١٧٧٤، اكتشف بريستلي الأوكسيجين، وأظهر أهميته، كما اكتشف ثاني أوكسيد الكبريت، والأمونيا. وتشكّل أعماله وأعمال معاصريه من العلماء أسس الكيمياء الحديثة.

١٧٧٣
حفلة الشاي في بوسطن

كانت التجارة مع المستعمرات الأميركية تنظّمها انكلترا، ولما كان ذلك يعني فرض قيود على التجارة، فإن المستوطنين تحوّلوا إلى التهريب. وحاول البريطانيون إعادة تعزيز قوانين الملاحة، ولكن دون كبير نجاح. وفي السنة ١٧٦٥ أصدرت الحكومة البريطانية قانون الطوابع الذي فَرَض لصقَ طابَع رسمي على كل وثيقة قانونية في أميركا الشمالية. فاعترض سكان المستعمرات بشدة على هذا القانون، فكانت النتيجة سحبه بعد سنة واحدة.

وفي السنة ١٧٦٧ فُرضت الرسوم على الشاي، وسائر السلع المستوردة إلى

أميركا. ومع أن معظم الرسوم أُلغي فيما بعد، فإن الرسم على الشاي بقي مفروضاً. وفي السنة ١٧٧٣، قام عدد من المستعمرين بالتظاهر، إبداءً لاعتراضهم. فارتدوا أزياء الهنود الحمر، وصعدوا إلى السفن البريطانية الراسية في ميناء بوسطن، وراحوا يُلقون بصناديق الشاي في الماء، ونتيجة هذا الحدث الذي عُرف تاريخياً بحفلة الشاي في بوسطن، وضعت هذه المدينة تحت المراقبة والسيطرة المشدَّدتين. وقد بُذرت آنذاك بذور حرب التحرير الأميركية.



كاترين الكبرى، قيصرة روسيا، كانت حاكمة قديرة ولكن قاسية.

١٧٧٣
ثورة بوغاتشيف

حكمت كاترين الثانية (١٧٢٩ - ١٧٩٦) التي عُرفت بكاترين الكبيرة، روسيا مدة أربع وثلاثين سنة بعد الاطاحة بزوجها القيصر بطرس الثالث، وقتله، وكان أمراً عاجزاً، وضعيفاً، وغير موزون.

وخلال حكمها مدّت حدود أراضي بلادها، فشملت أجزاء من تركيا والسويد وبولونيا.

ويزعمون أنها كانت تحبِّذ معاملة الأقنان من الفلاحين معاملة أفضل، إلا أنها لم تفعل أي شيء لمساعدتهم. والواقع أن حياتهم باتت خلال حكمها لا تُطاق، وفرضت عليهم الرسوم الباهظة. والقنّ من هؤلاء كان عبد الأرض

ورقيقًا يعمل على أرض السيد الاقطاعي، وتنتقل ملكيته من هذا السيد إلى أيّما سيد آخر قد تؤول ملكية تلك الأرض إليه، الأمر الذي أدّى إلى حدوث عدد من الثورات، بما فيها ثورة بوغاتشيف السنة ١٧٧٣.

ادّعى ايميليان بوغاتشيف (حوالى ١٧٤٤ - ١٧٧٥) أنه القيصر بطرس الثالث، ومع أن كثيرين غيره ادّعوا الشيء نفسه، فإن الذين وعدهم بوضع حد لنظام القِنانة، انضموا إليه. واستولوا على المراكز والمواقع المحصّنة، وأحرقوا منازل أصحاب الأملاك، واتجهوا شطر موسكو. ومع اقتراب الفلاحين من العاصمة هاجمتهم جماعة من الجند المختارين من النخبة، وسحقت الثورة، وحُمل بوغاتشيف إلى موسكو في قفص حديدي، وأُعدم فيها، في كانون الثاني ١٧٧٥.

١٧٧٣
تقديم مسرحية «تنحني لتنتصر» للمرة الأولى

في ١٥ آذار ١٧٧٣ تم تقديم مسرحية «تنحني لتنتصر» للكاتب المسرحي والشاعر الانكليزي أوليفر غولدسميث (١٧٢٨ - ١٧٧٤) على مسرح كوفنت غاردن، في لندن. وتتحدث هذه المسرحية ذات الفصول الخمسة عن المغامرات المضحكة لسيدة ترتدي ملابس خادمة لكي تكسب حب من تهواه. وكتب غولدسميث أيضًا الرواية الساخرة «كاهن ويكفيلد» (١٧٦٦)، وقصيدة «القرية المهجورة» (١٧٧٠).

١٧٧٥
تقديم مسرحية «حلّاق اشبيلية»

«حلّاق اشبيلية» مسرحية فكاهية للروائي الفرنسي بيير كارون دو بومارشيه

(١٧٣٢ ـ ١٧٩٩)، قدّمت للمرة الأولى في باريس ٢٣ شباط ١٧٧٥. وقد اقتبسها المؤلف الموسيقي الايطالي روسيني موضوعًا لأوبرا وضعها. كما أضفى الموسيقي الآخر النمساوي موتسارت الشرفَ نفسَه على بومارشيه باقتباسِ مسرحيته « زواج فيغارو » عندما صنع أوبرا ناجحة جدًا.

١٧٧٥
تقديم مسرحية « المنافسون » للمرة الأولى

هذه المسرحية المؤلفة من خمسة فصول هي كوميديا للمسرحي الانكليزي رتشارد برينسلي شيريدان (١٧٥١ ـ ١٨١٦). ولكنها لم تُستقبل كما كان متوقّعًا لدى تقديمها للمرة الأولى على مسرح كوفنت غاردن في لندن في ١٧ كانون الثاني ١٧٧٥. إلا أنها مع ذلك، ما لبثت أن حققت نجاحًا وشهرة عريضين، وما تزال إلى اليوم أكثر المسرحيات الفكاهية شعبية، مَثَلُها في ذلك مَثَلُ مسرحيتي شيريدان الخالدتين « مدرسة الفضائح » (١٧٧٧)، و« الناقد » (١٧٧٩).

١٧٧٦
الاعلان الأميركي للاستقلال

نظّمت بريطانيا العظمى التجارة في المستعمرات الأميركية إلى حد بعيد جعل المستوطنين يكفرون بالرقابة المشدّدة المفروضة عليهم. وجرت حركات عصيان وثورات متعددة، وأسفرت هذه العداوة عن حرب في ١٩ نيسان ١٧٧٥ عندما أُطلقت النار في لكزينغتون.

جرت أول معركة في هذه الحرب في بَنْكَرْهِلْ، بمدينة تشارلزتاون، فكسبها البريطانيون الذين سجّلوا انتصارات حاسمة في نيويورك السنة ١٧٧٦،

وفي فيلادلفيا السنة ١٧٧٧. غير أن المؤتمر المتعلق بالمستعمرات التي شكلت فيما بعد الولايات المتحدة الأميركية، كان قد عيّنَ جورج واشنطن (١٧٣٢ - ١٧٩٩) للقيام بتدريب الجنود الأميركيين، فألهمهم الصراع من أجل حريتهم. وكان ثمة المزيد من الالهام في ٤ تموز ١٧٧٦ عندما أصدر هذا المؤتمر نفسه وثيقة اعلان الاستقلال الأميركي.

ونَقَضَتْ هذه الوثيقةُ الولاءَ للعرش البريطاني، وصمّمت على «أن هذه المستعمرات المتحدة هي، وينبغي أن تكون، شرعًا ولايات حرة ومستقلة».

وساعد الأميركيين في صراعهم مع بريطانيا أعداؤها في أوروبا. وفي السنة ١٧٧٧ اضطر الجنرال البريطاني برغوين (١٧٢٣ - ١٧٩٢) إلى الاستسلام في ساراتوغا. وفي السنة ١٧٨١ حالت السفن الفرنسية دون وصول الإمدادات إلى الجنرال كورنواليس (١٧٣٨ - ١٨٠٥) الموجود في يوركتاون بطريق البحر، فاضطر كذلك إلى الاستسلام، وانتهت الحرب. وقد مُنحت أميركا استقلالها السنة ١٧٨٣.

١٧٧٦
نشر كتاب «ثروة الأمم»

كتاب «ثروة الأمم» للعالِم الاقتصادي الاسكتلندي آدم سميث (١٧٢٣ - ١٧٩٠) هو المسؤول الأول والأكبر في جعل الاقتصاد علمًا قائمًا بحد ذاته. وعلى الرغم من ان الكثير من نظرياته قد تجاوزها الزمن اليوم، فإنه يبقى أشهر الأعمال في هذا الموضوع، وهو ما يزال مرجعًا يُطلب إلى الاقتصاديين السياسيين مطالعته.

١٧٧٧
تجارب لافوازييه بالاوكسيجين

الاوكسيجين اكتشفه بريستلي، وقد أعطي اسم «الهواء غير المنزوع منه اللاهوب» ـ واللاهوب مادة كيميائية وهمية كان يُعتقد، وقبل اكتشاف الاوكسيجين، انها مقوّمٌ أساسي من مقوّمات الأجسام الملتهبة. وقد اكتشفه تقريبًا في الوقت نفسه، أو قبل بريستلي بقليل، العالِم السويدي شيل الذي دعاه «سماويًا»، أو «الهواء الناري». ولكن العالِم الكيميائي الفرنسي انطوان لوران لافوازييه (١٧٤٣ ـ ١٧٩٤) منح هذا العنصر الجديد اسمه الحديث. وقد اعتبره مقوّمًا أساسيًا للحَمْض، ولذا سماه أوكسيجين ـ أي مكوّنُ الحمض.

وفضلاً عن تكرار الاختبارات التي أجراها بريستلي من قبل، قام لافوازييه شخصيًا بعدد من التجارب، وفي احداها أظهر ان الزئبق المحمّى في كمية قليلة من الاوكسيجين يتحوّل إلى مسحوق أحمر سمّاه أوكسيد الزئبق.


لافوازييه

١٧٧٩
كرومبتون يخترع المغزل الآلي

كان صمويل كرومبتون (١٧٥٣ ـ ١٨٢٧) يغزل القطن في المنزل ليساعد امه. الا أنه وجد هذا العملَ غير ملائم وتعوزه الرشاقة في الحركة، فحاول تحسين الآلة التي كان يستعملها. وقد جَمعتِ الآلةُ التي اخترعها ميزاتِ دولابِ الغزل الذي ابتكره آركرايت، وماكنة هارغريفر المحاطة بقفص والقائمة على مِنْصب، فسمّيت بسبب هذا المزج «المِغزَل الآلي».

١٧٧٩
أولُ جسر حديدي

ان أول جسر حديدي انشيء في العالم كان ذاك الذي شُيِّد في السنة ١٧٧٩ بالقرب من كوبروكدايل، في اقليم شروبشر، في انكلترا، واليوم يجري العمل في كل المنطقة المحيطة به، والغنية بسوى ذلك مما يذكّر بالثورة الصناعية، بما في ذلك مجمّع للقنوات، ومنجم للفحم الحجري، ومصانع الكوك، أو الفحم الحجري، وأفران الصهر، لجعلها متحفًا بيئيًا للعلم والتكنولوجيا.

١٧٨٠
أول سباقات داربي

سباق داربي، وهو واحد من سباقات الخيل الانكليزية الخمسة الكلاسيكية، جرى للمرة الأولى في إبسوم، في مقاطعة صري، السنة ١٧٨٠، وهو يجرى منذ ذلك الحين كل سنة.

عُرف بهذا الاسم تيمّنًا بالايرل أوف داربي الثاني عشر، وهو سباق للمهرة بعمر ثلاث سنوات. وفي سباق داربي السنة ١٩١٣ قُتلت اميلي دايفدسون، إحدى المطالبات بحق المرأة في الاقتراع، عندما ألقت نفسها تحت جواد الملك جورج الخامس.

١٧٨١
هرشل يكتشف الكوكب أورانوس

أبصر وليـام هرشل (١٧٣٨ - ١٨٢٢) النور في مدينة هانوفر الألمانية،

ولكنه انتقل إلى انكلترا السنة ١٧٥٧ حيث راح يدرّس الموسيقى. وفي أوقات فراغه درس علم الفلك. ولما لم يكن يتوفر له المال الكافي، فقد صنع بنفسه مِرقَبه ـ أوتلسكوبه، ليرصد به السموات. وكان مرقبه الأول الذي صنعه السنة ١٧٧٤ ناجحًا، بحيث خصص وقتًا كبيرًا مما تبقّى من حياته لتحسين التلسكوبات وصنعها. وفي السنة ١٧٨٩ كان يستخدم في أرصاده تلسكوباً عاكسًا بقياس ٤٨ بوصة، وكان أكبر تلسكوب في عصره.

وقام هرشل بعدد كبير من الاكتشافات الفلكية المهمة، بما فيها العديد من النجوم المزدوجة، وقمرين لكوكب زحل، ورفع عدد الغيوم السديمية المعروفة من ١٨٠ إلى ٢٥٠٠. وفي حقل الفيزياء، كان أول من اكتشف الأشعة تحت الحمراء. ولكن أعظمَ انجازاته اكتشافُه الكوكبَ أُورانوس في ١٣ آذار ١٨٧١، وبعد ذلك بسنة واحدة عيِّن في منصب الفلكي الخاص للملك جورج الثالث.

١٧٨١
«نقد العقل الخالص» لقنط

كان هذا الكتاب أولَ كتب ثلاثة بَسّطَ فيها الفيلسوف الألماني إمانويل قنط (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤) فلسفته المثالية المؤثِرة. وعلى نقيض سائر المفكرين في زمنه الذين قالوا بأن الانسان يستطيع فهم كل شيء بالعقل وحده، فقد أوحى قَنْط بأن ثمة بعض المعرفة، من مثل وجود الله، لا يستطيع الانسان فهمَها بهذه الطريقة، لأنه غير قادر على اختبارها.

١٧٨١
مسرحية «اللصوص» لشيللر

كان يوهان كريستوف فون شيللر (١٧٥٩ ـ ١٨٠٥) روائيًا مسرحيًا،

وشاعرًا، ومؤرخًا ألمانيًّا كبيرًا. وقد أثارت أولى مسرحياته «اللصوص» المنشورة السنة ١٧٨١ ضجة بعيدة بعباراتها القوية، وندائها الثوري من أجل الحرية. وبعضُ مسرحياته الشهيرة بما فيها المأساوية التي تستند إلى سيرة كل من فالنتاين، وميري ستيوارت، وجانّ ـ دارك، وفلهلم تل، إنما هي حصيلة بحوثه التاريخية المستفيضة.

ولم يعمّر شيللر الا ستة وأربعين عامًا، إذ ساءت صحته ووهنت قواه، فكانت وفاته سنة ١٨٠٥. ولمناسبة مرور مئة وخمسين عامًا على وفاته احتفلت ألمانيا بأسرها بتخليد ذكراه، وأعادت بناء منزله الذي دمَّرته قنابل الحرب.

١٧٨٢
قانون الاصلاح الاقتصادي لبيرك

من أكبر القضايا التي اهتم بها ادموند بيرك (١٧٢٩ ـ ١٧٩٧) خلال حياته الحافلة في السياسة البريطانية كانت قضية الاصلاح الاقتصادي، وبذلك كان يعني بيرك تحرير مجلس العموم من سلطة الملك وأشرافه عليه.

وكان الملك جورج الثالث قادرًا على التأثير في الطريقة التي يقترع بها مجلس العموم بوضعه مسانديه وأنصاره وأصدقاءه في بعض المناصب الحكومية، والمواقع، بما في ذلك المقاعد البرلمانية.

طالبت حركة الاصلاح الاقتصادي في السبعينات والثمانينات من القرن الثامن عشر، وكان بيرك من زعمائها، بالإشراف البرلماني، لا الملكي، على اختيار الأشخاص لملء مختلف المناصب، وعلى المرتّبات التي تُدفع لهم. وكان مشروع قانون الاصلاح الاقتصادي الذي وضعه هذا المفكر وأصبح قانونًا السنة ١٧٨٢ إحدى الخطوات على طريق تلبية ما كان يصبو اليه ويعمل من أجله. فقد نظّم القانونُ هذه التعويضات والأجور المخصصة لعدد من المناصب والوظائف في القصر الملكي، وألغى حوالى أربعين وظيفة.

١٧٨٢
رواية فرنسية في شكل رسائل

بيير امبراوز فرنسوى كودرلو دو لاكلو (١٧٤١ - ١٨٠٣) حقّق الشهرةَ الأدبية برواية واحدة فقط. كان جنديًا، أصابه السأم من حياة الثكنات في المدن الفرنسية، فتحوّل إلى الكتابة، وكانت روايته «العلاقات الخطرة» في شكل رسائل؛ نُشرت السنة ١٧٨٢، فأصابت نجاحًا سريعًا وفوريًا، ليس وحسب لأنها تروي مفاسد جماعة من الارستقراطيين المنحطّين، بل لأن كاتبها لاكلو كتب بقوة مقنعة، وبأسلوب مُشرق.

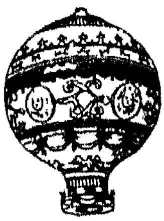
١٧٨٢
بِتْ الأصغر يصبح وزيرًا للمال

وليـام بت الأصغر (١٧٥٩ - ١٨٠٦) عُرِف بهذه التسمية لتمييزه عن والده الشهير وليـام بت، ايرل أوف تشيذام. عيّن السنة ١٧٨٢ وزيرًا للمال في بريطانيا، ومع أنه كان قد أظهر مهارة فائقة وموهبة كخطيب وكسياسي، فقد كان صعوده في الحياة السياسية سريعًا، عِلْمًا بأنه كان بعد صغير السن لمّا دخل البرلمان قبل أقلّ من سنتين. ثم في السنة ١٧٨٣، اختـار الملـك جـورج الثالث هذا السياسي الذي لم يكن قد تجاوز الرابعة والعشرين من عمره ليكون الوزير البريطاني الأول، ووزيرًا للمال في آن.

وظل بت في منصبه حتى السنة ١٨٠١، وكان بعد ذلك في الحكم لمّا توفي السنة ١٨٠٦. ومذ ذاك لم يصل أيُ رئيس للوزراء في بريطانيا وهو في مثل السن التي كان فيها بت الأصغر، كما انه لم يتولّ مذ ذاك أحدٌ، هذا المنصبَ حتى الآن، هذه المدة الطويلة، دونما انقطاع.

وتـميزت فترة تولّي بت الحكم، على الرغم مما يظلل معظمَها من الحرب مع فرنسا، بالاصلاح الاداري الشامل الذي تناول مرافق عدة، والاصلاحات الاقتصادية التي أدخلها. وكان بت أول من فرض على البريطانيين دفعَ ضريبة على الدخل من السنة ١٧٩٩ حتى السنة ١٨١٦. وكانت ضريبة تصاعدية على دخل الأفراد والمؤسسات، مع التمييز بين الدخل الناتج عن مجهود المكلّف، والدخل غير الناتج عن مجهوده.

وقد فرض بت هذه الضريبة الأولى من نوعها في العالم لكي يموّل الحرب ضد فرنسا. غير أنها أُلغيت سنة ١٨٠٢، ثم أعيدت لدى استئناف الحرب بعد سنة واحدة، إلى أن الغيت بعد معركة واترلو (١٨١٦). وظلت ملغاةً حتى سنة ١٨٤٢، عندما أحياها رئيس الحكومة السر روبرت بيل، وهـي مـفروضـة مذ ذاك. وكما في انكلترا، كذلك في مختلف بلدان العالم، هناك ضريبة على الدخل...



١٧٨٣
تحليق منطاد مونغولفييه

الاخوان مونغولفييه، جوزف (١٧٤٠ - ١٨١٠) وإتيين (١٧٤٥ - ١٧٩٩) من بلدة أنوناي، بفرنسا، صنعا تاريخ الطيران بمنطادهما المملوء بالهواء الحار في السنة ١٧٨٣. فقد اقتنعا بأن النوعَ نفسَه من الهواء الحارّ الذي يدفع قصاصات الورق إلى أعلى في موقد منزلهما، يمكن استخدامه كذلك لرفع البشر في الهواء.

وبعد أشهر عدة من العمل، شعرا بالاطمئنان الكافي لتقديم عرض إلى الجمهور نتيجة اختباراتهما في ٤ حزيران ١٧٨٣، وأطلقا منطادًا كبيرًا فوق رؤوس سكان بلدتهما المذهولين، وكان مصنوعًا من الكتان المخطط بالورق، ومملوءاً بالهواء الحار المنبعث من نار يغذّيها القشُّ والصوف.

وفي فرساي، في أيلول من السنة نفسها، شهد الملك لويس السادس عشر وزوجته ماري ـ انطوانيت أولّ تحليق لمخلوقات بشرية عندما أطلق الأخـوان مونغولفييه في الجو منطادهما، وقد عُلِّقت به سلةٌ وُضع فيها خروف وبطة وديك. وبعد ذلك بشهر واحد كان بيلاتر دو روزييه أولّ انسان يحلّق في منطاد مقيّد، أي مشدود إلى الأرض بحبل، وكان ذلك في ١٥ تشرين الأول. وقام برحلة جوية ثانية في ٢١ تشرين الثاني برفقة المركيز دارلاند، وبلغا ارتفاع زهاء ٥٠٠ قدم، وقطعا مسافة خمسة أميال ونصف الميل في مدى عشرين دقيقة.

١٧٨٣
أول تحليق بمنطاد مملوء بالهيدروجين

أشرف العالم الفيزيائي الباريسي جاك شارل على صنع منطاد على يديّ الأخوين روبير، كان قطر دائرته ١٣ قدمًا، ومُلىء بالهيدروجين. وقد صعد به إلى علو ٣٠٠٠ آلاف قدم، واجتاز مسافة ١٦ ميلًا في مدى ٤٥ دقيقة. وقد حدث ذلك في ٢٧ آب ١٨٧٣.

١٧٨٣
السفينة البخارية

كثيرة هي المحاولات التي أجريت لتسيير السفن بقوة البخار قبل ان يحقق الفرنسي كلود، مركيز دو جوفروى دابان (١٧٥١ - ١٨٣٢) أول نجاح حقيقي في هذا المجال السنة ١٧٨٣.

قبل ذلك كان قد صنع مركبًا مزوّدًا بعجلات وفقًا لنظام مشابه لحركات التغذيف التي تقوم بها الطيور المائية. ولما لم ينجح في ذلك تحوّل إلى دواليب

التغديف التي قام سواه من قبل باختبارات فيها.

كانت سفينته الجديدة البالغة حمولتها ١٨٢ طنًا، والمسماة بروسكاف ـ ومعناها السفينة البخارية ـ مزوّدة بمحرك بخاري مزدوج العمل، على أساس التحسينات التي أدخلها عليه المخترع الاسكتلندي دجيمس واط، لتشغيل آلية السقّاطة، أو اللُسَيْن، التي تشغّل دوانيب التغديف. وفي ١٥ تموز ١٧٨٣، أبحرت «البيروسكاف» ضد التيار في نهر الصون، بالقرب من مدينة ليون، مدة خمس عشرة دقيقة، فكانت أول سفينة في العالم تمخر الماء بقوة البخار ضد التيار.

ولم يكن لدى جوفروى رأس المال لمواصلة اختباراته الى أبعد من ذلك، فإذا بالسفن البخارية تُحسّنُ على أيدي رجال من الولايات المتحدة الأميركية، وبريطانيا العظمى.

١٧٨٤
أول منطاد مدار بقوة آلية

ابتكر الجنرال الفرنسي جان باتيست ماري مونييه أول منطاد يُدار بقدرة آلية، وذا شكل اهليليجي، أو بيضوي. وكان الملاحون يديرون ثلاث مراوح مركّبةً على عمود ادارة عادي لمنح المنطاد سرعة حوالى ثلاثة أميال بالساعة.

١٧٨٦
قصائد روبرت بيرنز

كان روبرت بيرنز (١٧٥٩ - ١٧٩٦) مزارعًا شابًا من ارشاير، في اسكتلندا، وقد نشر السنة ١٧٨٦ في كيلمارنوك ديوانه «قصائد في الاغلب باللهجة الاسكتلندية». وحققت له اشعارُه الشهرةَ من فورها، عززّتها بعد ذلك

قصيدتُه الرائعة « تام اوشانتر » التي ظهرت السنة ١٧٩٠، ومن بعدها قصائده الغنائية الجميلة الكثيرة. وبيرنز اليوم ينعم باحترام اسكتلندا وتقديرها، ويُعتبر شاعرَها القومي.

كثيرة هي روائع بيرنز الشعرية، وكلها تفيض بالاخلاص العميق للشؤون اليومية التي يمارسها الرجل العادي، ويشعر بها، ويفكر فيها... ومن هنا عُرف بلقب « الشاعر الشعبي »!

١٧٨٧
موتسارت يُعيّن موسيقيًا حُجْريًا

اظهر فولفغانغ آماديوس موتسارت (١٧٥٦ - ١٧٩١) الذي فتح عينيه على نور الحياة في زالتسبورغ، بالنمسا، موهبة موسيقية مدهشة منذ سنيه الاولى، وبدأ بالتأليف الموسيقي عندما كان بعد في الخامسة من عمره.

وفي حياته القصيرة التي اكتنفها غالبًا الفقر والمرض اللذان كان يزيدهما الارهاقُ في العمل سوءاً على سوء، كتب موتسارت بعض اروع المقطوعات الموسيقية التي ظهرت في تاريخ هذا الفن. وقد شملت اعماله السنفونيات، والاوبرات، والكونشرتات، والسوناتات، والمقطوعات الحُجْرية المعدّة للعزف من قبل بضعة موسيقيين امام جمهور قليل العدد، وموسيقى القداديس. وتبلغ في مجموعها اكثر من ستمائة عمل موسيقي.

اما اوبراته فأشهرها « زواج فيغارو » و« الناي السحري » و« دون جوان »، وتُعتبر من اعظم اعماله اطلاقًا.

واما الاعتراف الرسمي بعبقريته،فقد تجلّى في تعيينه موسيقيًا حُجريًا في بلاط الامبراطور فرانتس جوزف الثاني النمساوي في فيينا، في كانون الاول ١٧٨٧. الا ان ذلك كان بعد فوات الاوان لإنقاذ موتسارت وزوجته المُحبّة كونستانتسه من براثن الفقر. وكان رحيله عن هذا العالم السنة ١٧٩١، وقد ووري الثرى في مدافن الفقراء.

١٧٨٨
اتهام وورين هيستنغز

بدأت محاكمة وورين هيستنغز (١٧٣٢ - ١٨١٨) بتهمة الفساد والفظائع المرتكبة اثناء توليه منصب الحاكم العام للهند من ١٧٧٤ الى ١٧٨٥، في وستمنستر هول في شباط ١٧٨٨.

كان هيستنغز اداريًا على جانب كبير من القدرة، ولكنه كان طاغية في جهوده لجمع المال من اجل حماية الممتلكات البريطانية في الهند ضد الفرنسيين. وقد أُكره على اتخاذ تدابير متهورة بسبب اليأس، ذلك بأن الموارد البريطانية بلغت حدودها، واستُنْزِفت بسبب حرب التحرر الاميركية. وقد بالغ السياسيون الانكليز الذين كان يتزعمهم ادموند بيرك، وتشارلز دجيمس فوكس، ورتشارد شيريدان، نشاطات هيستنغز كثيرًا في إظهار مساوئها، فطالبوا باتهامه ومحاكمته امام القضاء، لا سيما وانه من رجال الدولة.

ولم تقضِ المحكمة بتجريمه في السنة ١٧٩٥، بعد سبع سنوات من بداية المحاكمة. وعلى الرغم من ان الاتهام كان ظالمًا، فإنه مع ذلك لفت الانتباه الى مشاكل الهند، وأيقظ بريطانيا على شعورها بمسؤولياتها هناك.

١٧٨٩
العصيان على السفينة «باونتي»

كانت «باونتي» سفينة تابعة للبحرية الملكية البريطانية، وقد اصبحت السنة ١٧٨٩ مركز اشهر عصيان في التاريخ البحري.

وكان قبطانها وليام بلاي (١٧٥٤ - ١٨١٧) قد أمر بالإبحار الى تاهيتي للحصول على اشجار ثمرة الخبز، ونقلها الى جزر الهند الغربية لزراعتها.

وثمرة الخبز هي ثمرة شجر من فصيلة الخُبزيات ذي ثمار كبيرة تشتمل على لبّ نَشَوي يُستعمل كالخبز. وكانت السفينة قد غادرت تاهيتي، وابتعدت كثيرًا في المحيط الهادىء، بالقرب من توفووى، عندما اعلن معظمُ بحّارتِها العصيان بقيادة وكيل الربان فيها فليتشر كريستيان، في ٢٨ نيسان ١٧٨٩، ربما لأنهم ارادوا البقاء في تاهيتي وعدم العودة إلى انكلترا.

وانزلوا الربـان بلاي وثمانية عشر بحاراً من طاقم «باونتي» الى المركب الطويل الذي تحمله هذه السفينة التجارية، وألقوه في المياه تحت رحمة الرياح والتيارات. ولم يكن لديهم سوى بوصلة لترشدهم. ووصل المركب بهم سالمًا الى تيمور في حزيران ١٧٨٩ - بعد رحلة تقارب حوالى ٦٥٠٠ كيلومتر على متن مركب مكشوف. وقد اعتُبر ذلك عملًا بطوليًا مذهلًا.

وقد أصبح بلاي فيما بعد حاكمًا لنيو ساوث ويلز، في اوستراليا. وأقام بعض الذين قاموا بالعصيان والتمرد بقيادة كريستيان، على جزيرة بتكيرن النائية، في حين أُلقي القبض على بعضهم الآخر، وأُعدم شنقًا.

١٧٨٩
الملك لويس السادس عشر يعقد مجلس الطبقات

اعتلى الملك لويس السادس عشر (١٧٥٤ - ١٧٩٣) عرش فرنسا السنة ١٧٧٤، فلم تُقبل السنة ١٧٨٨ حتى كانت الخزينة العامة قد فرغت مما فيها من اموال، وأُرهقت الدولة بالديون الضخمة، وسُحق المواطنون تحت وطأة الضرائب الثقيلة. واضطر، على ذلك، الملك لويس ووزراؤه الى دعوة مجلس الطبقات المؤلف من طبقة النبلاء، وطبقة الاكليروس، وطبقة الشعب، للانعقاد للمرة الاولى منذ السنة ١٦١٤ لمحاولة ايجاد سبيل لتسديد ديون الدولة.

واجتمع مجلس الطبقات هذا في فرساي في ٥ أيار ١٧٨٩. وامّلت الطبقة

الثالثة ـ اي طبقة الشعب ـ ان يبدأ هذا الاجتماع بمنحها المساواة والحرية لكي يكون لها نصيب في الحكومة بعد ان حُرمت من ذلك زمنًا طويلًا. ولكن سرعان ما تبيّن لها ان لا امل يُرجى من ذلك، وانها لا ينبغي ان تتوقع اي نتائج مماثلة.

وانفصلت هذه الطبقة عن مجلس الطبقات، وانضمَّ اليها بعض رجال الاكليروس. وفي حزيران ١٧٨٩، اعلنت نفسها جمعية وطنية تمثّل اغلبية الشعب الفرنسي. وذُعر الملك، فمنع مندوبيه من الاجتماع في مقرهم المعتاد، فانتقلت الجمعية الوطنية الى ملعب لكرة المضرب مجاور، حيث اقسم الاعضاء في ٢٠ حزيران قسمهم الشهير بقسم «ملعب المضرب»، «ويقضي بعدم التفرق حتى يوضع دستور للمملكة على اسس متينة». وفي اواخر حزيران انضمَّ معظم اعضاء طبقتَي الاكليروس والنبلاء الى الجمعية الوطنية التي تحولت في ٧ تموز الى جمعية تأسيسية، فشرعت في التخطيط لدستور جديد لفرنسا.

١٧٨٩
سقوط الباستيل

عندما عَزَلَ الملك لويس السادس عشر رئيس وزرائه نيكر في ١١ تموز ١٧٨٩، واستبدله مع عدد من المسؤولين الآخرين ببعض افراد الطبقة الارستقراطية، قام سكان باريس بثورة. وكانوا غاضبين بسبب ارتفاع اسعار الخبز، وتفشّي البطالة، وقد ألهمتهم كثيراً نشاطات الطبقة الثالثة في فرساي، وكانوا بحاجة الى السلاح لمحاربة الملك وجنوده الذين كان يضعهم حول باريس. وكان سجن قلعة الباستيل الكئيب، وهو يضمّ الكثيرين من المساجين الذين أُلقي بهم فيه دون محاكمة، المكانَ الوحيد الذي يمكنهم ان يتزودوا منه بالسلاح.

وبلغت الباستيل حشودٌ طالبت بالسلاح في ساعة مبكرة من صبيحة يوم ١٤ تموز، وتسللت الى الساحات الخارجية. فأمر حاكمه لوناي حاميتَه الصغيرة بإطلاق النار، فقُتل عدد كبير من المهاجمين. وأثار انتشار خبر ما حدث غضب الجماهير، فاندفعت ارتالٌ منهم نحو الباستيل، يؤازرها أفراد الحرس الوطني. وفي وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم استسلم لوناي. وقد جُرَّ الى السجن، ولكنه قُتل على يد الجمهور الثائر وهو في الطريق اليه. وبقي في الباستيل سبعة مسجونين وحسب. ويرمز المعنى الحقيقي لسقوطها الى هزيمة الملك على يد شعب باريس الذي اكّد انتصاره على الملك بزحف حشدٍ ضخم منه الى فرساي في تشرين الاول، وإجبار الاسرة الملكية والجمعية الوطنية على العودة الى باريس.

١٧٨٩
اكتشاف الاورانيوم

الاورانيوم، وهو عنصر معدني مشعّ، اكتشفه السنة ١٧٨٩، عالِمٌ طبيعي الماني يدعى مارتن كلابروت (١٧٤٣ ـ ١٨١٧)، ولم يكن لديه اي معرفة طفيفة بطبيعة اكتشافه الخطيرة. ولم تُعرف خصائص الاورانيوم الخاصة جدًا الّا في السنة ١٩٣٨ على يد بعض العلماء. وهو الى اليوم العنصر الوحيد الذي يعرف العلم ان بالامكان استخدامه بسهولة في ايجاد الطاقة النووية والذرية.

١٧٨٩
نشر نظريات بنثام

جيريمي بنثام (١٧٤٨ ـ ١٨٣٢)، أحد أكثر الفلاسفة والمتشرّعين تأثيراً في عصره. كان دائم الاستجواب والانقاد للقانون والدستور البريطانيين، مؤكّدًا

وجوب تحسينهما، وان غاية القانون والحكومة ينبغي ان تكون « توفير أكبر سعادة لأكبر عدد من المواطنين ». وقد أوضح نظريته في كتابه الشهير « مقدمة لمبادىء الأخلاق والتشريع ». وتقوم أخلاقه النفعية على تقدير المسرّات. وقد وضع مشروعًا مهمّاً للهندسة المعمارية الخاصة بالسجون.

١٧٨٩
اغاني البراءة لبلايك

نشر الشاعر المتصوف وليام بلايك (١٧٥٧ ــ ١٧٨٢) ديوانه الشعري الثاني « اغاني البراءة » في السنة ١٧٨٩. ومع ان القصائد كانت غنائية برّاقة، ومفعمة بالحياة، وتعالج موضوع الطفولة، الّا انها كانت تتضمّن افكارًا غامضة وسحرية، تصنّف بلايك من حيث كتاباته، في فئة خاصة مختلفة عن فئة سائر معاصريه من الكتّاب الانكليز. وكان فنانًا ماهرًا في النقش، فزيّن قصائده بالرسوم التزيينية التي حفرها بنفسه على كليشيهات نحاسية.

١٧٩١
اختبارات غالفاني في الكهرباء

في السنة ١٧٨٦ كان لويجي غالفاني (١٧٣٧ - ١٧٩٨)، استاذُ علم التشريح في جامعة بولونيا الايطالية، يستعمل مبضعًا فولاذيًا لتشريح احدى قوائم ضفدع، عندما اطلق احد معاونيه في مختبره شرارة بآلة كهرباء ساكنة، فارتعشت قائمة الضفدع.

وحيّرت هذه الظاهرة غالفاني كثيراً، فقام بتجارب اخرى. فخرج مرة اثناء عاصفة رعدية ليرى ما اذا كان البرق يسبّب تقلص قائمة ضفدع معلقة بكُلّاب نحاسي في سياج حديدي. وحدث ما كان متوقّعًا!

واعتقد غالفاني انه اكتشف الكهرباء الحيوانية، وأنها موجودة في مادة عصب الحيوان وعضلته. والواقع انه كان يراقب الكهرباء وهي تتحرك. فإن قوائم الضفدع كانت تعمل عمل الالكتروليت ـ او الانحلال بالكهرباء ـ متيحة للالكتروليت أن تتدفق من قطعة معدنية الى قطعة اخرى محدثةً تيارًا مؤقتًا.

وقد ساعد نشر اختبارات غالفاني السنة ١٧٩١ على توجيه علماء آخرين الى اكتشاف التيارات الكهربائية.

١٧٩١
«حقوق الانسان» لتوماس باين

توماس باين (١٧٣٧ ـ ١٨٠٩) كان مفكرًا راديكاليًا انكليزيًا مثّل دورًا في الثورتين الفرنسية والاميركية.

فقد ذهب الى اميركا السنة ١٧٧٦، فوجد نفسه لتوّه وسط صراع المستعمَرين من اجل الاستقلال، ووضع سلسلة من الكتيبات والنشرات مشجّعًا على مقاومة البريطانيين.

وعاد الى انكلترا في السنة التالية، الا انه اضطر الى الهرب، فارتحل هذه المرة الى فرنسا تجنُّبًا للاعتقال بسبب المضمون المتطرف لكتابه «حقوق الانسان»، الذي نشره في جزئين في السنتين ١٧٩١ و١٧٩٢.

في هذا الكتاب، ساند باين الثورة الفرنسية، وأعلن ان على بريطانيا أيضاً ان تتخلص من الملكية وتقيم حكومة ثورية. واقترح عددًا من الاصلاحات لمساعدة المسنين، والفقراء، في بريطانيا، بدت في ذلك الحين ثورية، ولكن جرى تبنّيها فيما بعد.

وكان باين عضوًا في الكونفونسيون في فرنسا. وقد عاد الى الولايات المتحدة الاميركية السنة ١٨٠٢.

السنة ١٧٩٢
فرنسا تصبح جمهورية


ماري انطوانيت زوجة الملك لويس السادس عشر، تقاد إلى المقصلة.

ازدياد النشاط السياسي في باريس، وأزمة اقتصادية حادة، وتهديد بالحرب من بلدان أخرى في أوروبا - اجتمعت كلها لتحريك العمال المياومين، والحِرفيين وسائر الصُنّاع في المدينة، وقد عُرفوا باسم «اللامتسرولين» من أجل القيام بالثورة في السنة ١٧٩٢.

وفي صبيحة يوم ١٠ آب المبكرة أحاطت جموع غفيرة بقصر التويلري، حيث كان الملك لويس السادس عشر وأُسرته في الواقع أسرى منذ محاولتهم الهرب من فرنسا في حزيران ١٧٩١. ذلك بأنهم اعتُقلوا في بلدة فارين، ومذّاك لم يعد الشعب الفرنسي يثق بهم مطلقًا.

ولجأ الملك واسرته الى اعضاء الجمعية التشريعية، ولكن الثوار المسلحين بالرماح اقتحموا المكان لحرمان الملك من اداء واجباته. واجتمعت حكومة الكونفونسيون في عشرين ايلول، وفي اليوم التالي اقترع أعضاؤها على الغاء الملكية.

وفي كانون الاول قُدّمَ الملك لويس السادس عشر الى المحاكمة، وطُلب اليه الاجابة عن اعمال خيانية متكررة ضد الجمهورية. وصدر الحكم عليه

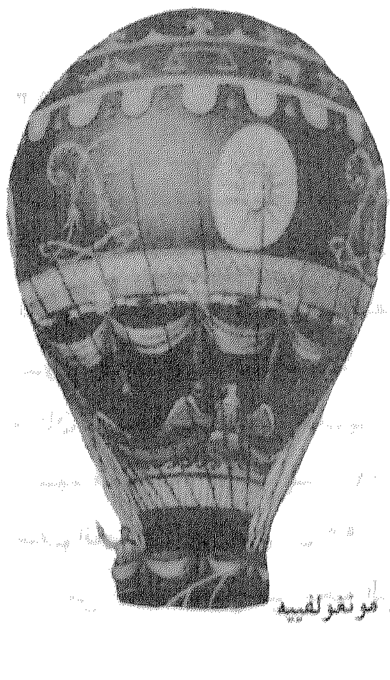
وعلى أفراد أُسرته بالإعدام الذي نُفِّذ في ٢١ كانون الثاني ١٧٩٣، في ساحة الثورة.

١٧٩٢
ظهور الدولار

في ٢ نيسان ١٧٩٢ اختار مجلس الشيوخ الاميركي اسم الدولار لعملة الدولة الناشئة، وجعل قيمته ٢٤،٧٥ غرامًا من الذهب، او ٣٧١،٢٥ غرامًا من الفضة، وبقي اساس تغطيته مزدوجًا، اي ذهبًا وفضة حتى السنة ١٨٧٣، ثم اقتصر على الذهب وحده.

وقد اشتُقّ اسم الدولار من اسماء عملات عديدة تداولها الاوروبيون حتى القرن الثامن عشر، وهو تحوير لاسم «تالر» الالماني. وكان المهاجرون الانكليز الى اميركا يطلقون اسم الدولار على البيزو الاسباني الذي انتشر تداوله في اميركا اللاتينية، وجزر الانتيل، وقسم كبير من البلدان التي اصبحت فيما بعد الولايات المتحدة، في اميركا الشمالية.

١٧٩٣
اول منطاد يحلّق في اميركا



المنطاد مونغولفييه

قام الطيار الفرنسي جان - بيير بلانشار بالتحليق في منطاد، للمرة الأولى في اميركا، من فيلادلفيا الى مقربة من بلدة وودبري القريبة في ولاية نيو دجرزي في أكثر من ٤٥ دقيقة بقليل. وكان ذلك في ٩ كانون الثاني.

١٧٩٣
التقويم الثوري الفرنسي

منذ حوالى قرنين من الزمن ورؤساء المؤسسات الكبرى، ورجال الدين، والعلماء عاكفون على البحث عن حل عملي لمشكلة تقويمنا الحالي الذي وضعه يوليوس قيصر السنة ٤٥ للميلاد وعدّله السنة ١٥٨٢ البابا غريغوريوس الثالث عشر، وتجعله بعض عيوبه غير ملائم لمتطلبات الحياة الحديثة.

وفي السنة ١٧٩٢ اعتمدت حكومة «الكونفوسيون الوطنية» في فرنسا «التقويم الثوري» وتتألف السنة فيه من ١٢ شهرًا، كلُ شهر منها قِوامه ثلاثون يومًا، تُقسم الى ثلاثة عقود، يضاف اليها خمسة ايام. وفي السنة ١٨٤٩ اقترح المفكر الفرنسي اوغست كونت سنة من ١٣ شهرًا، كلُ شهر منها قوامه ٢٨ يوماً، أي ما مجموعه ٣٦٤ يومًا، ويُحسب اليوم الناقص آخر السنة، ويعتبر يوم عيد. وكانت ميزة هذا التقويم انه يجعل ايام الاسبوع دائمًا توافق تواريخ الشهر نفسها.

١٧٩٣
حكم الارهاب

حدث حكم الارهاب في فرنسا بين السنة ١٧٩٣ و١٧٩٤ في فترة الازمة الكبيرة عندما راح الملكيون المنفيون يتآمرون ضد الحكومة، وراحت كل من الدول الاجنبية بما فيها بروسيا، والنمسا، وبريطانيا العظمى تهدد بغزو فرنسا. وكان زعماء الارهاب الجمهوريون المتطرفون المعروفون باليعاقبة، وعلى رأسهم مكسيميليان روبسبيير (١٧٥٨ - ١٧٩٤) الذين وصلوا إلى السلطة بفضل عنف الجماهير في حزيران ١٧٩٣.

ومن خلال العمل عبر لجنة السلامة العامة التي اقامها الثائر الباريسي جورج

جاك دانتون (١٧٥٩ - ١٧٩٤)، فرض اليعاقبة حكمًا ديكتاتوريًا على فرنسا.

وباسم «السلامة العامة» أرسلت المحكمة الثورية المئات من الاشخاص الى المقصلة بمن فيهم الملكة ماري - انطوانيت، والارستقراطيون، والكهنة، والموظفون الرسميون، وعامة الشعب. والذين احتجوا على ذلك امثال شارلوت كورداي (١٧٦٨ - ١٧٩٣) التي طعنت حتى الموت الثائر اليعقوبي جان بول مارا (١٧٤٣ - ١٧٩٣) وهو في الحمّام، أُعدموا كذلك، وشاطرهم فيما بعد دانتون نفسُهُ ذلك المصير.

ولم تدقّ ساعة روبسبيير الا في تموز ١٧٩٤، عندما تضافرت الفوضى في الاقاليم، مع الازمة الاقتصادية والمالية الخانقة، والرعب العام من سفك الدماء. وكان الجيش الفرنسي قد بدأ يسجّل انتصارات ضد اعدائه كذلك، فلم يعد من حاجة الى حكم القهر الذي مارسه روبسبيير. فأُعدم دون محاكمة في ٢٨ تموز، مع عدد من أنصاره وأتباعه.

١٧٩٤
آلة حلج القطن

مخترع آلة حلج القطن إللي هويتني (١٧٦٥ - ١٨٣٥) رأى القطن للمرة الاولى عندما لبّى دعوة لزيارة مزرعة للقطن في جورجيا. درس الحقوق في جامعة ييل الاميركية، وتخرَّج السنة ١٧٩٢، ولكنه كان ميالاً الى الشؤون الميكانيكية، ماهراً فيها. وبدلاً من ممارسته المحاماة، شرع في صنع آلة لحلج القطن. وقد استطاعت اول آلة صنعها بيده تنظيف زهاء ٢٥ كيلوغرامًا من النَسْل في اليوم الواحد. وسُجّل هذا الاختراع في ١٤ آذار ١٧٩٤، وتأسس اول مصنع لإنتاج آلات الحلج في نيوهافن، في ولاية كونيتيكت. ولكن الطلب على هذه الآلات كان شديدًا، فلجأ هويتني الى الحدادين لمساعدته في صنعها.

واكتنف الامتياز المعطى لصنع المحالج الكثير من المشاكل والمخالفات، مما اكره هويتني السنة ١٧٩٨ على التحوّل عن هذه الصناعة الى انتاج الاسلحة النارية. وهو الذي ادخل على الصناعة فكرة تقسيم العمل في المعامل والمصانع، وانتاج القطع الموحّدةِ الشكل والنموذج.

١٧٩٤
اول استخدام عسكري للمنطاد

استخدم جان ـ ماري كوتيل منطاداً صُنع للجيش الفرنسي للقيام برصد تقدّم العدو مرتين اثنتين، وطوال ساعتين كل مرة. ويبدو ان القيمة العسكرية لذلك كانت في الإضرار بمعنويات العدو.

١٧٩٥
مانغو بارك يستكشف افريقيا

تألفت في السنة ١٧٨٨ «الجمعية الافريقية» في انكلترا لتشجيع الاستكشاف وتعزيز المصالح البريطانية في قارة افريقيا التي كانت مجهولة في الواقع. وكان اول اهداف الجمعية التأكد من مجرى ذلك النهر العجيب، نهر النيجر الغامض، واذا امكن، معرفةُ منبعه.

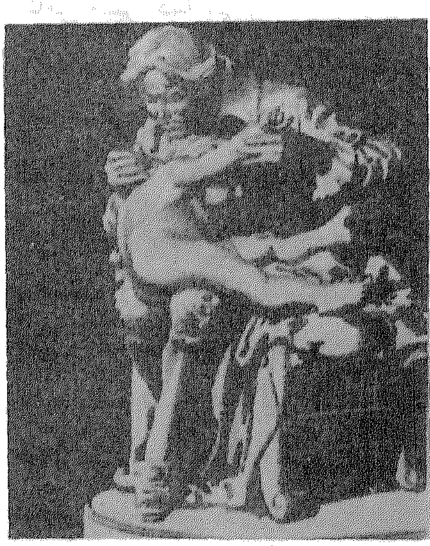
واجاب النداء الميجر هوتون السنة ١٧٩٠، ولكن لما لم تصل منه ايٌّ انباء بعد السنة ١٧٩١ اعتُبر مفقودًا، فطلب الجرّاح الاسكتلندي مانغو بارك (١٧٧١ ـ ١٨٠٦) ان يُسمح له باقتفاء اثر هوتون، فقبلت الجمعية الافريقية عرضه.

بدأ بارك حملته في كانون الاول ١٧٩٥، ونجا بأعجوبة من عدد غير قليل

من المخاطر، ولكنه جمع المعلومات المطلوبة، ونشر مغامراته في كتابه « رحلات داخل افريقيا » الذي صدر ١٧٩٩ .

واثار الكتابُ كثيراً من الاهتمام، مما جعل المسؤولين يطلبون الى بارك القيام بحملة اخرى السنة ١٨٠٥ . وخلال هذه الرحلة انقلب القارب به وبرفاقه فغرقوا جميعًا .

١٧٩٦
اللقاحات الاولى ضد الجدري



هذا الرسم لمنحوته تمثل جينر يقوم بأول عملية تلقيح ضد الجدري .

كان سكان الأرياف في انكلترا قد شكّوا منذ أمد بعيد بأن ثمة علاقة بين جدري البقر وجدري البشر . ولاحظوا أيضًا ان الأشخاص الذي يَعْملون وسط الماشية ، وأُصيبوا بجدري البقر ، لم يصابوا على ما يبدو ، بداء الجدري .

وعكف ادوارد جينر (١٧٤٩ - ١٨٢٣) ، وكان طبيباً من بلدة باركلي ، في إقليم غلوستر ، على البحث عما اذا كان من صحة لهذا الاعتقاد السائد . وفي ايار ١٧٩٦ ، حقن بسائل مستخرج من قروح جدري البقر الفتى دجيمس فيبس المصاب بالمرض ، فما لبثت القروح ان التأمت . وفيما بعد حقن دجينر فيبس نفسَه بسائل من قروح جدري البشر ، فلم يكن لذلك اي تأثير على صحة الفتى ، ذلك بأن جدري البقر حَصَّنه ضد المرض .

وعلى الرغم من المعارضة الاولية ، ما عتمت قضية التلقيح ان كسبت دعماً في بريطانيا العظمى وفي الخارج على السواء ، بحيث ان الجدري في يومنا هذا

قد استئصل نوعًا ما من كل انحاء العالم.

١٧٩٧
عصيان سبيتهيد

وصف الكاتب الانكليزي صمويل دجونسون الحياة في البحر في القرن الثامن عشر كما يلي:

« لن يصبح بحّاراً اي شخص لديه حيلة كافية لدخول السجن. ذلك بأن وجود المرء على سفينة كوجوده في سجن، مع امكانية غرقه. فالشخص المسجون لديه مجال واسع، وطعام افضل، وعادةً رفْقةٌ أفضل ايضًا ».

كانت الظروف المعيشية في البحرية لا تطاق، وحملت البحارة على العصيان والتمرد في سبيتهيد ونور السنة ١٧٩٧. ومن بين العصيانين هذين جرى عصيان سبيتهيد بطريقة معقولة. فقد وضع المتمردون خطة مدروسة قيد التنفيذ، وعيّنوا مندوبين عنهم للتفاوض. فلما تمّت تلبية مطالبهم الرئيسية عادوا الى ممارسة واجباتهم. اما عصيان نور، مع ذلك، فقد كان اكثر من شجّار خطر وغير ضروري.

ونتيجة العصيانين، أُجريت عدة تغييرات في الانظمة البحرية. فتمّ تحسين الظروف المعيشية والأجور، وأصبح البحّار الانكليزي عضوًا محترمًا في المجتمع بعد ان كان منبوذًا اجتماعيًا.

١٧٩٤
اول هبوط بالمظلة

هبط الفرنسي اندريه ـ جاك غارنران من ارتفاع يبلغ زهاء ٦٥٠٠ قدم فوق

حديقة مونسو في باريس، بواسطة مظلة قطرها ٢٣ قدمًا، مصنوعة من قماش القِنّب الابيض، وقد علقت بها سلة، وتم ذلك يوم ٢٢ تشرين الاول ١٧٩٧ .

١٧٩٨
نشر قصيدة «البَحّار العجوز»

« منشدو القصائد القصصية » وهو الديوان الذي نشره السنة ١٧٩٨ غفلًا من التوقيع الشاعران المعروفان وليـام وردزويرث (١٧٧٠ - ١٨٥٠) وصمويل تايلور كوليريدج (١٧٧٢ - ١٨٣٤) يتضمَّن احدى اجمل القصائد الشعرية الانكليزية واروعها - « البّحار العجوز ». وتعتمد القصيدة على حلم رواه لكوليريدج احدُ اصدقائه. وفي تلك الفترة تقريبًا نظم هذا الشاعر قصيدته الرائعة قبلاي خان، والجزء الاول من كريستابيل.

١٧٩٨
نَشْرُ نظريات مالثوس

أثار نشرُ « مقال حول مبدأ السكان » لتوماس روبرت مالثوس (١٧٦٦ - ١٨٣٤) جدلًا كبيرًا سببه في الدرجة الاولى ان نظرياته أُسيء فهمُها، فقد ذكر ان السكان يزيدون بنسبة أسرَعَ من زيادة المواد الغذائية، وان ذلك في النهاية سيؤدي الى عدم وجود الاغذية الكافية لهم.

١٧٩٨
تقديم اوراتوريو «الخليقة» للمرة الاولى

« الخليقة » هي الموشحة الدينية الشهيرة التي وضعها الموسيقى النمساوي

فرانتس جوزف هايدن (١٧٣٢ ـ ١٨٠٩)، وقد أُخرجت للمرة الاولى في فيينا السنة ١٧٩٨. الكلمات فيها مقتبسة من سفر التكوين، في الكتاب المقدس، والشعر من نظم ليدلي، وقد عرضت للمرة الاولى في لندن السنة ١٨٠٠. واشتهرت في انكلترا الى درجة ان عدداً من الجمعيات الكورالية تألفت خصيصاً لتنشدها.

وفي عيد ميلاد هايدن السادس والسبعين وضع له اصدقاؤه برنامجاً ينعم فيه بنصره النهائي في تلك المقطوعة، فنُقل على مقعد ذي عجلات الى حفلة خاصة تُعزف فيها مقطوعة «الخليقة».

ودخل هايدن الى القاعة، فنهض جميع الحاضرين اجلالاً. وعندما وصلت جوقة المنشدين الى مقطع «ثم كان النور»، أخذت الجماهير تصفق وتهتف، فنهض هايدن على قدميه وأخذ يهتف قائلاً: «لست انا خالق ذلك، بل القوة العليا هي التي خلقته».

وبينما كان هايدون يُدفع فوق عجلته الى خارج القاعة تقدّم منه شاب اشعث وقبّل يده، وكان هذا الشاب بتهوفن.

وقد توفي إثر صدمة عصبية اصيب بها لدى سقوط قذيفة على مقربة من منزله في فيينا، في اثناء تبادل نيران المدفعية بين جيوش نابوليون والجيوش النمساوية.

١٧٩٨
ثورة في ايرلندا

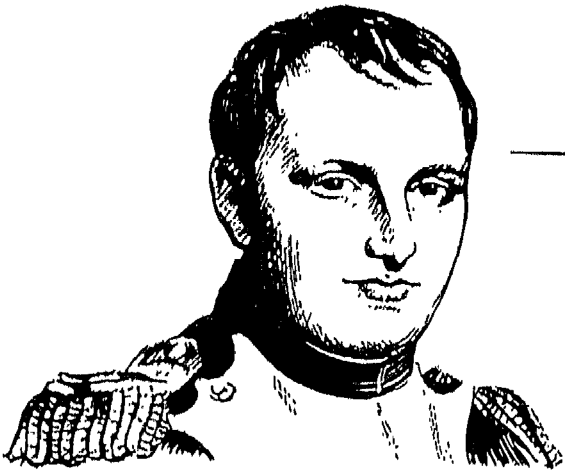
ساعد وولف تون (١٧٦٣ ـ ١٧٩٨) البطل القومي الايرلندي، بايحاء من الثورة الفرنسية، على تأليف جمعية «الايرلنديين المتحدين»، التي كرّست نشاطها لإيجاد ايرلندا متحدة، وازالة الحكم الانكليزي، وكان تون يعتقد ان

الثورة المسلحة هي السبيل الوحيد لتحقيق هاتين الغايتين، وقد فاز بمعونة الفرنسيين.

وفي كانون الاول ١٧٩٦ ابحر من ميناء بريست في فرنسا برفقة فرقة جنود فرنسيين بقيادة الجنرال الفرنسي لازار هوش، غير ان الطقس الرديء اجبرهم على العودة.

وبعد سنتين اثنتين جرت محاولة ثورية في دبلن، سوى ان قادتها اعتقلوا، وهم في مقر «الايرلنديين المتحدين» فينيغر هيل في ٢٦ حزيران ١٧٩٨. ثم قام تون بمحاولة اخيرة في تشرين الاول عندما نزل الى اليابسة على رأس قوة عسكرية صغيرة في لوسويلي في شمال البلاد، ولكنه وقع اسيراً بأيدي البريطانيين، وحكم عليه بالاعدام شنقًا، ولكنه انتحر في ١٩ تشرين الثاني.

١٧٩٨
معركة النيل


نابوليون.

كان الموقف البريطاني من الثورة الفرنسية متعاطفًا جدًا حتى أُعدم الملك لويس السادس عشر. ولما شرع الثوار في التدخل في شؤون سائر البلدان، اعلنت بريطانيا ودول اخرى الحرب على فرنسا.

وفي الوقت نفسه كان ضابط شاب يدعى نابوليون بونابرت (١٧٦٩ -

١٨٢١) قد بدأ يشتهر، فغزا مصر السنة ١٧٩٨، بعد ان استولى على جزيرة مالطة وهو في طريقه الى وادي النيل بهدف تهديد السلطة البريطانية في الهند.

قبل ذهاب نابوليون إلى مصر، كان البريطانيون يعلمون انه يجهّز أسطولًا بحريًا في طولون، فأرسلوا اسطولًا بقيادة هوريشيو نلسون (١٧٥٨ - ١٨٠٥) للتحقق من ذلك، ولسوء حظ نلسون اصيبت سفينة القيادة «فانغارد» بأضرار من جراء العاصفة الشديدة التي هبت عليها. وفي اثناء اصلاحها في جزيرة سردينيا كان الفرنسيون قد اقلعوا من طولون.

ولم يكن القائد البحري الانكليزي يعلم وجهة سير نابوليون، فاضطر للبحث عن السفن الفرنسية. ومضى شهران اثنان قبل ان يصادفها في خليج ابوقير، بالقرب من الاسكندرية.

وفي اول آب ١٧٩٨ اشتبك نلسون مع الفرنسيين، وتم الاستيلاء على كل السفن الفرنسية او تدميرها خلال المعركة، عند مصبّ النيل، باستثناء اربع فقط. وبقيت قوات نابوليون معزولة في مصر، وتخلّى قائدها بالتالي عن فكرة التقدم الى الهند.

١٧٩٩
صدور «الاغاني المقدسة»

نوفاليس هو الاسم المستعار للكاتب والشاعر الالماني فريديريك لودفيغ فون هاردنبرغ (١٧٧٢ - ١٨٠١)، وكان لديوانه المعروف باسم «الاغاني المقدسة» الصادر سنة ١٧٩٩ تأثير كبير في تطور الرمزية والحركة الرومنطيقية. ومن اعماله الشعرية الأخرى نذكر «ترانيم للّيل» وقد نشره السنة ١٨٠٠، وقد كتب قصائده لدى وفاة خطيبته صوفي فون كون.

١٨٠٠
فولتا يخترع البطارية

قام الكونت آليسندرو فولتا (١٧٤٥ - ١٨٢٧) العالم الفيزيائي الايطالي بعدد كبير ومهم من الاكتشافات في الكهرباء. ومن بينها الاكتشاف القائل انه اذا وضع معدنان مختلفان في محلول مالح ووُصلا بسلك فإن تياراً كهربائياً يجري عبر السلك. وفي السنة ١٨٠٠ ذهب فولتا الى ابعد من ذلك بوضعه عدة ازواج من المعادن معاً لكي يحصل على ما يُعرف اليوم باسم بطارية فولتا.

١٨٠٠
اووين يتولّى مصانع نيو لانارك

اقتنع الصناعي والمصلح الاجتماعي روبرت اووين (١٧٧١ - ١٨٥٨) انه اذا كانت ظروف العمل والمعيشة ذات مستوى عالٍ فإن تصرّف البشر سيتحسن، وبالتالي سيعملون لما فيه خير المجتمع. وفي السنة ١٨٠٠ انتقل الى نيو لانارك في اسكتلندا، ليدير مصانع القطن. وبتحسينه ظروف العمل فيها، وتوفير المدارس اوجد مجتمعًا نموذجيًا، وازدهرت المصانع نفسها.

وبعد ذلك بسبع عشرة سنة (١٨١٧) اقترح انشاء «قرى تعاونية» ذاتية الاكتفاء، ولكن السكان في انكلترا لم يولوا ذلك اي اهتمام. فسافر الى اميركا لتأليف مثل هذا المجتمع في نيو هارموني، الا ان المشروع اخفق.

وبعد عودته الى انكلترا، التحق باحدى الحركات العمالية التي ادت الى انشاء نقابات عمالية ضخمة، ولكنها انهارت السنة ١٨٣٤. ومع ذلك، فإن مفهوم اووين للتعاون انتهى الى تكوين الحركة التعاونية التي ما تزال مزدهرة الى هذا اليوم.

١٨٠١
اتحاد انكلترا وايرلندا

عقب الثورة الفاشلة التي جرت السنة ١٧٩٨، قرر رئيس الوزراء البريطاني ويليام بت (١٧٥٩ ـ ١٨٠٦) ان السبيل الوحيد لاعادة النظام وحكم القانون الى البلاد هو في اتحاد بريطانيا وايرلندا معًا.

وأقرّت الحكومة البريطانية مرسوم مشروع «قانون الاتحاد» هذا في ٢ تموز ١٨٠٠، ومن جانبهم ردَّ الايرلنديون بتصرّف مماثل فوافقوا عليه في اول آب. واصبح المشروع قانونًا نافذًا في اول كانون الثاني ١٨٠١. وقد جعل المملكتين مملكة واحدة، ذاتَ علم واحد، وملك واحد، وبرلمان واحد. وبعد مضي شهر تقريبًا شرعت الحكومة في دراسة وعودها للكاثوليك. ولكن الملك جورج الثالث رفض فكرة القبول بمنحهم اي حقوق سياسية، فاستقال بت احتجاجًا.

١٨٠١
فليندرز يبحر مطوّفًا حول اوستراليا

هذه القارة سماها دجيمس كوك «نيو ساوث ويلز» ودعاها الهولنديون «هولندا الجديدة» ولكن البحّار البريطاني ماثيو فليندرز (١٧٧٤ ـ ١٨١٤) هو الذي اطلق عليها الاسم الذي تعرف به اليوم: اوستراليا.

بينما كان فليندرز يعمل مسّاحاً في البحرية الملكية في مدينة سدني (١٧٩٥ ـ ١٧٩٩) رسم خريطة للساحل الشرقي لاوستراليا وطوّف بحرًا بتَاسْمَانيا التي كانت تُعتبر حتى ذلك الحين جزءاً من البر الاوسترالي.

وفي السنة ١٨٠١ أُوفد مجددًا الى اوستراليا حيث قضى السنتين التاليتيين

في رسم الخرائط لكل الساحل الجنوبي والشرقي، ومعظم الساحل الشمالي. وفي اثناء عمله هذا طوّف بحرًا باوستراليا بأسرها. ولدى عودته الى وطنه السنة ١٨٠٣ اسره الفرنسيون طوال ست سنوات، الامر الذي لم يسمح له باعلان اكتشافاته الّا في السنة ١٨١٠.



١٨٠٣
دالتون يضع نظريته الذرّية

بدأ دجون دالتون (١٧٦٦ ـ ١٨٤٤) العالم الكيميائي الانكليزي عمله على نظريته حول الذرّة السنة ١٨٠٣. فقد ذكر ان كل العناصر مؤلفة من ذرّات، وان الذرّات من الصغر بحيث انها لا تُرى، وان العناصر تجتمع معًا لأن ذراتها تجتمع، واعطى لكل عنصر وزنًا ذريًا. وقد عُدّلت نظرياته في ضوء التطور الحديث في ميدان الفيزياء النووية.

١٨٠٤
اول قطارات حديدية بخارية

ان اول قطار حديدي ظهر في كولبروكدايل، في مقاطعة شروبشر الانكليزية، وكانت الشاحنات تُجّر بواسطة الخيول. وجاء المهندس من كورنوول رتشارد تريفيثيك (١٧٧١ ـ ١٨٣٣)، وكان يجري اختبارات في تسيير المركبات بقوة البخار ـ وقد انفجرت احداها ذات مرة ـ فكان اول من استخدم محرّكًا بخاريًا لجرّ الشاحنات.

وفي ١١ شباط ١٨٠٤، وفي مصانع الحديد في يني دارين في ويلز، جرّ المحرّك هذا شحنة زنتها عشرون طناً من مرثير تدفيل الى ايبركايون، والمسافة

بينهما اكثر من خمسة عشر كيلومترًا. وعلى الرغم من تكهنات المتشائمين عن انزلاق العجلات عن الخطوط الحديدية، فقد كانت التجربة ناجحة.

واقتنع تريفيثيك بأن القطار الحديدي يمكن استخدامه لنقل الركاب أيضاً، وانشأ السنة ١٨٠٨ قطارًا حديديًا صغيرًا في لندن. وقد نقل هذا القطار الذي دعاه «ليقبض عليّ من يستطيع ذلك»، الناس حول خط دائري لقاء شلن واحد، حتى تحطمت ذات يوم احدى العجلات، فتخلّى تريفيثيك عن المشروع.

١٨٠٤
نابوليون يصبح امبراطوراً

في ١٨ ايار ١٨٠٤ أُعلن نابوليون بونابرت امبراطورًا على فرنسا. واقيمت حفلة التتويج في كاتدرائية نوتردام في باريس في ٢ كانون الاول، ولم يعد من وجود للدستور الجمهوري الذي خاض شعب فرنسا غِمارَ الثورة في سبيله.

بدأ صعود نابوليون النيزكي في مراقي السلطة السنة ١٧٨٥ عندما كلّف مهمة عسكرية في فرقة لافير المدفعية. وفي السنة ١٧٩٣ كلّف قيادة المدفعية في مدينة طولون التي كانت تحت رحمة وغزو القوات الانكليزية والاسبانية، واليه يعود الفضل في استعادة المدينة. وبعد سنتين اثنتين سحق عصيانًا ملكيًا في باريس بهبّة من القنابل العُنْقُودية. وما لبث بعد ذلك بفترة قصيرة ان شرع في حملته الايطالية، قبل بدء حملته المصرية.

وعاد نابوليون السنة ١٧٩٩ الى فرنسا، فقلب نظام حكم المديرين ـ وهو الفريق التنفيذي الذي تسلّم السلطة من السنة ١٧٩٥ الى ١٧٩٩، وفرض نفسه زعيما على البلاد. وما ان أقبلت السنة ١٨٠٢ حتى كان قد امّن لنفسه منصب قنصل مدى الحياة، وسلطة تسمية خليفته. وفي الوقت نفسه حقق السلم مع انكلترا، فكانت تلك المرة الاولى تنعم فيها فرنسا بالسلم منذ السنة ١٧٩٢.

وبات في وسعه اذ ذاك التركيز على اعادة تنظيم فرنسا. فأسس مصرف فرنسا، وبسّط القانون، وشجّع التجارة والصناعة، وأدخل نظام التعليم الرسمي.

ووحّدت الامبراطورية فرنسا القديمة مع فرنسا الجديدة؛ فيها اشتركت الأفكار الثورية والملكية. وعمّ الرضا البلاد. وعاد الازدهار مع حكومة منظّمة. ولم يكن أحد مضطرباً من نقطة الضعف الوحيدة. فالامبراطورية لا يمكن ان تُؤسس حقاً، ولا يمكن ان تُضمن فتوحات الثورة، دون سحق القوة البريطانية. ولم ينسَ نابوليون ذلك، وفي غمرة إعادة تنظيم الشؤون الداخلية، كانت أفكاره تتركّز على المعسكر في بولون، في شمال فرنسا. وعرف أنه من اجل تسوية الامور بصورة نهائية مع انكلترا، يتحتّم عليه اجتياحها في عقر دارها... ولذا ينبغي أن يتوفر له، ولو ليوم واحد، اجتياز القناة (بحر المانش) بحريّة...

١٨٠٤
غواصة فلتون

من طريف ما يروى انه في السنة ١٨٠٤، عرض فلتون على السر جون غرفيس، قائد الاسطول البريطاني، تصاميم غواصته والطوربيد الكهربائي، فما كان من القائد الا ان صاح بفلتون: «احرق هذه التصاميم على الفور لأننا لو نفذناها وصنعنا هذه الغواصة اللعينة لتبعتنا الدول الاخرى وصنعتها بدورها وبذلك سوف نعرّض سيادتنا البحرية لضربة قد لا نُفيق منها ابدًا».

الا ان فلتون لم يتراجع، وعرض تصاميمه على رئيس الوزراء وليام بت، فهلّل هذا للفكرة وأمره بصنع الغواصة. وفي تشرين الاول ١٨٠٥ قُطرت السفينة القديمة «دوروثيا» الى ميناء ديل تحت قلعة والمر، وهناك غطس

فلتون بغواصته واجرى تجربته الاولى بأن هاجم « دوروثيا » بطوربيد كهربائي، فأصاب هدفه، ومزّق السفينة شر تمزيق. ولم تكد تمضي ستة ايام على هذه التجربة حتى حقق نلسون نصرًا على الاسطول الفرنسي ودمّره في معركة الطرف الاغرّ، فاستتبت بذلك للبحرية البريطانية القوية سيادة البحر. وصُرف النظر عن الغواصة كسلاح فعّال.

١٨٠٥
معركة الطرف الاغرّ

استخدم نابوليون السلم في السنة ١٨٠٢ لتعزيز الشؤون الداخلية في فرنسا، ولكنه مدّ ايضًا التأثير الفرنسي الى الخارج. ورأت بريطانيا الخطر الكامن في قوة نابوليون المتزايدة، فقررت ان تقوم بالتحرك الاول السنة ١٨٠٣ بإعلانها الحرب.

وفكّر الفرنسيون في أن السبيل الوحيد لإنزال الهزيمة ببريطانيا هو في غزوها، ولذا حُشدت الجيوش في مدينة بولون في شمال فرنسا، سوى ان البريطانيين كانوا اسياد البحر، الامر الذي اضطر نابوليون، بادىء ذي بدء، الى محاولة اخراج الاسطول البريطاني من القناة ـ او بحر المانش.

وصدرت الأوامر الى السفن الفرنسية والاسبانية بالإبحار الى جزر الهند الغربية على امل أن يطاردها الاسطول البريطاني. ولكنّ ثلاثًا وثلاثين سفينة بقيادة الاميرال فيلنوف (١٧٦٣ ـ ١٨٠٦) استطاعت تفادي الاسطول البريطاني الذي كان في الانتظار. وتلك التي هربت بالفعل طاردها الاميرال هوريشيو نسلون بسفينته « فيكتوري »، وعاد فيلنوف الى قادش في اسبانيا.

وأمر نابوليون، اذ ذاك، الاسطولين الفرنسي والاسباني بالاتجاه الى البحر الأبيض المتوسط. وبعد يومين اثنين، وفي ٢١ تشرين الاول ١٨٠٥، قام البريطانيون بالهجوم في عرض رأس الطرف الأغرّ - ترافلغار. وهُزم الفرنسيون هزيمةً منكرة، وأُحبطت كل خطط نابوليون الموضوعة لغزو انكلترا. ولكن النصر أُحرز على حساب حياة أحد قادة بريطانيا البحريين، الأميرال نلسون، الذي قضى خلال المعركة، على ظهر سفينة القيادة عقب إصابته بجرح مميت، في اليوم نفسه.

وفي هذه المعركة الطاحنة ردد على بحارته عبارته الشهيرة: «ان انكلترا تتوقع أن يقوم كل منكم بواجبه!»

ولعل الفضل الأول يعود الى نلسون في أن انكلترا بقيت الدولة الوحيدة التي لم يحتلها نابوليون!



الأميرال نلسون، أشهر القادة البحريين، وقد قُتل في معركة ترافلغار (الطرف الأغرّ).

١٨٠٥
معركة اوسترلتز

في تموز ١٨٠٥ شكّلت كلّ من النمسا وروسيا وپروسيا تحالفًا ضد فرنسا. وكان ردّ فعل نابوليون الفوري مهاجمته المانيا والنمسا. وفي ٢٢ تشرين الاول انزل هزيمة خطيرة بالنمسا في معركة اولم دون ان يخوض اي نزاع، حتى انه احتل ايضًا فيينا.

وفي ٢٨ تشرين الثاني، تقابل مع القوات الروسية والنمساوية المتحالفة في اوسترلتز. وكان هناك ثلاثة اباطرة في ساحة الوغى: نابوليون الفرنسي، والقيصر اسكندر الاول الروسي، (١٧٦٨ - ١٨٢٥)، وفرانتس جوزف النمساوي (١٧٦٨ - ١٨٣٥).

كان قوام جيش نابوليون ٦٥ الف رجل، ومجموع الجيشين الروسي والنمساوي معًا ٨٣ الفًا، ومع ذلك حقّق الفرنسيون انتصارًا ساحقًا في المعركة التي جرت في ٢ كانون الأول. وقد خسروا حوالى ٧ آلاف رجل وحسب، في حين خسر الروس والنمساويون حوالى ٣٥ الف رجل، بين قتيل وأسير. وكان ذلك من اكبر انتصارات نابوليون.

ونتيجة ذلك، اضطر جيش القيصر الروسي الى الانسحاب، ووقّع النمساويون صلح بريسبورغ، وانتهى ذلك التحالف.

١٨٠٥
الشاعر وردزويرث ينظم «المقدمة»

ان احب القصائد الانكليزية من مثل «النرجس البري» و«على جسر وستمنستر» و«الحاصد المتوحّد» كتبها الشاعر وليام وردزويرث (١٧٧٠ -

١٨٥٠). وفي السنة ١٨٠٥ نظم هذا الشاعر اطول قصائده « المقدمة »، وهي سيرته الذاتية، ولكنها لم تُنشر الا السنة ١٨٥٠. وقد حمل في السنة ١٨٤٣ لقب « امير الشعراء ».

١٨٠٦
نهاية الامبراطورية الرومانية المقدسة

غالبًا ما تُعتبر بداية الامبراطورية الرومانية المقدسة بشارلمان الذي تُوِّج امبراطورًا عليها السنة ٨٠٠، مع ان البعض يدّعي ان بدايتها كانت مع تتويج اوتو الكبير، ملك ألمانيا السنة ٩٦٢ امبراطورًا رومانيًا. وكان آخر الاباطرة فرانتس جوزف الثاني النمساوي، وقد الغى هذا اللقب اثر الهزيمة التي مُني بها على يد القوات الفرنسية بقيادة نابوليون، خشية ان يؤول هذا اللقب، فيما بعد، الى نابوليون المنتصر.

١٨٠٧
هيغل يكتب «ظاهرات الروح»

جورج فلهلم فريدريك هيغل (١٧٧٠ - ١٨٣١) كان ابعد الفلاسفة الألمان تأثيرًا، وتتضمّن أعماله الفلسفية كتب « المنطق »، و« موسوعة العلوم الفلسفية »، و« فلسفة الحق » و« ظاهرات الروح ». ومع ان كتاباته هي مغلقة وغامضة، على الغالب، الّا ان اتباعه يشملون كارل ماركس وسواه من المؤرخين الذين استخدموا اعمال هيغل ليبرهنوا على حتمية التغيير الجذري.

١٨٠٨
حرب شبه الجزيرة الاسبانية

في تموز ١٨٠٨، ثار الاسبان الذين كانوا تحت حكم الملك جوزيف، شقيق نابوليون، وهزموا الفرنسيين في بايلن. وايقن البريطانيون ان تلك مناسبة لمهاجمة فرنسا عبر اسبانيا. وأوفدت الحكومة السر ارثر ويلزلي (١٧٦٩ - ١٨٥٢) الذي أصبح فيما بعد دوق ولنغتون، الى البرتغال. فهزم الفرنسيين في فيميرو، ثم عاد إلى انكلترا.

ثم تولّى القيادة العسكرية السر دجون مور (١٧٦١ - ١٨٠٩) وتقدّم نحو إسبانيا ليقطع خطوط المواصلات الفرنسية، غير ان نابوليون كان في اسبانيا في ذلك الوقت، حيث قُتل مور السنة ١٨٠٩.

وقاد ولنغتون جيشًا جديدًا الى البرتغال، وزحف شطر مدريد، وهزم الفرنسيين في تالافيرا، ولكنه اضطر الى التراجع، وبقي في حالة الدفاع حتى حقق نصراً في سالامنكا السنة ١٨١٢. واستولى ولنغتون بعدها على مدريد، وبانتصاره مجدداً في فيتوريا السنة ١٨١٣، طرد الفرنسيين من البلاد بأسرها.

١٨٠٩
مترنيخ يصبح مستشاراً للنمسا

كان الامير كليمنز فنتسل لوتار مترنيخ (١٧٧٣ - ١٨٥٩) الشخصية الرئيسية في السياسة الاوروبية بعد تعيينه مستشارًا ووزيرًا للخارجية في النمسا السنة ١٨٠٩.

وبفضل جهوده، بصورة جزئية كبيرة، بقيت الامبراطورية النمساوية سليمة طوال الثماني والثلاثين السنة التالية، حتى كانت ثورة السنة ١٨٤٨. كانت روح

الثورة ذائعة في اوروبا منذ زمن الثورة الفرنسية السنة ١٧٨٩ ، وقد بذل مترنيخ اقصى ما في وسعه لقمعها اينما حدثت. وبصفته وزيرًا للخارجية رفع من المستوى الدولي لبلاده، وتزعّم بلدان اوروبا في تحالف لوضع حد لتزايد قوة نابوليون وامتداد نفوذه. وكان يضع باستمرار مصالح بلاده فوق كل شيء لأنه كان شديد الاخلاص لوطنه.

ولكن، من نواحٍ كثيرة، لم يكن مترنيخ الابن النموذجي للعصر الذي عاش فيه، ذلك بأنه كان يمثل عصرًا كاد يصبح من الماضي. فالكثيرون استاؤوا من أساليبه للحفاظ على ذلك العصر، الّا انه بعمله ذاك ضمن السلام في اوروبا طوال المدة التي ظل خلالها في الحكم.

١٨١١
«الامير فريدريك فون هومبورغ» لكلايست

كان هاينريش فون كلايست (١٧٧٧ - ١٨١١) روائيًا مسرحيًا، وشاعرًا ألمانيًا. وما تزال مسرحياته شعبية حتى ايامنا هذه، وبخاصة مسرحية «الامير فريدريك فون هومبورغ»، ومسرحها بروسيا، في ظل حكم الامير المنتخِب الكبير. وقد كتب بعض اروع القصص القصيرة، لعلّ اجملها «مايكل كولهاس»، وهي قصة تدور وقائعها في ايام المصلح الديني مارتن لوثر.

١٨١١
اعمال الشغب ضد المصانع

بدأت التظاهرات العمالية الصاخبة العنيفة المعروفة باسم «المشاغبات اللدية» في بلدة نوتنغهام الانكليزية، وحولها السنة ١٨١١. ولعلها سمّيت

كذلك على اسم أحد العمّال ند لادّ. ولم يتفق المؤرخون قط على كون تلك المشاغبات نتيجة حركة في سلسلة من الحركات غير المتعلّق بعضها ببعض.

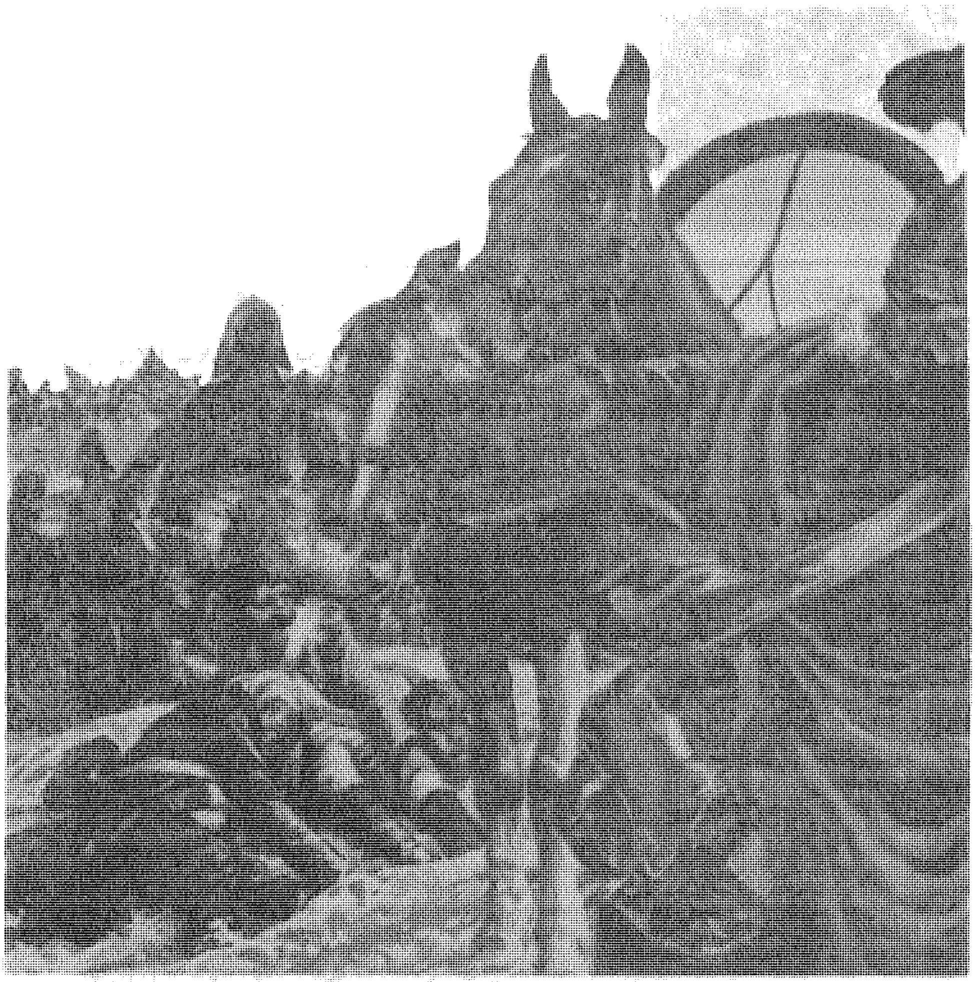
كان اعضاء الحركة عمالاً يدويين في المصانع، غايتهم تحطيم الآلات الجديدة المستخدمة في المصانع. ذلك بأنه نتيجة الثورة الصناعية راح الانسان يتبيّن ان آلالة يمكنها ان تعمل اسرع منه، وبطريقة اكثر فعالية. وشعر ان عمله مهدد تهديدًا خطرًا وخطيرًا.

وهكذا اقتحم افراد مقنّعون من تلك الحركة المصانع في منتصف الليل، واعملوا تحطيمًا بالآلات الجديدة. وما لبثت تلك الحركة ان امتدت، ولم تُقبل السنة ١٨١٢، حتى كانت الآلات تحطَّم في مصانع الاقاليم في يوركشر، ولنكشر، ودارببشر، ولايسترشر. وفي السنة ١٨١٣ قدّم عدد من «اللدييـن» - إذا صحّ التعبير - أمام المحكمة في يورك، وحُكم بالموت على الكثيرين منهم، ونفي الباقون الى الخارج.

١٨١٢
معركة بورودينو

تُذكر معركة بورودينو بصورة خاصة بسبب الخسائر الجسيمة في الارواح التي مني بها الفرنسيون والروس على حد سواء. وهي كذلك تُذكر لأن الهجوم الفاشل الذي قام به نابوليون على موسكو كان بداية الهزيمة بالنسبة الى امبراطور الفرنسيين.

غزا نابوليون اراضي روسيا المترامية الاطراف بجيش ضخم، وكاد يهزم الروس في بورودينو. ولكن لما بلغت قواته موسكو اخيرًا وجد ان السكان قد احرقوا المدينة وهجروها. وتحالف ضد جيشه الصقيع، والجوع، والمرض، فاضطر الى الانسحاب والتراجع بعد ان عانى جنوده اصعب معاناة بسبب شتاء

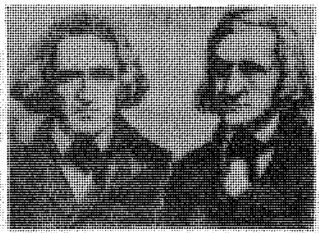


انسحاب نابوليون من موسكو.

روسيا القاسي في تلك السنة. ولم يبقَ في قيد الحياة سوى ٣٢ ألفًا من جيش كان قوامه ٦٠٠ الف. وخسر الروس ٤٢ الفًا من ١٢١ الف جندي. وفي هذه الاثناء اسرع نابوليون بالعودة الى باريس لتعبئة قوات جديدة.

وقد شجعت هذه الحملة العسكرية المذّلة دول اوروبا التي رأت اذ ذاك أملاً جديدًا في حشد جيوشها ضد نابوليون.

١٨١٣
حكايات الاخوين غريم



الاخوان غريم، يعقوب لودفيغ كارل (١٧٨٥ - ١٨٦٣) وفلهلم كارل (١٧٨٦ - ١٨٥٩) درسا معًا القانون في ماربورغ في ألمانيا، وكانا طالبين من طلاب الفولكلور، وقد نشرا السنة ١٨١٢ الطبعة الاولى من حكاياتهما للصغار والاحداث، وهي اساطير وحكايات عن الجن تُرجمت الى عدد غير قليل من اللغات، فكانت مصدر تسلية وفائدة وقراءة ممتعة للأحداث لأنها من ابرز ما صدر في مجال ادب الصغار القصصي.

١٨١٣
معركة الامم

بدأ نوع من القومية ينمو بين شعوب اوروبا بتشجيع من الهزيمة التي نزلت بنابوليون في روسيا. ففي كل من هولندا، وبلجيكا، وايطاليا، ازدادت رغبة السكان في التخلص من امبراطور الفرنسيين. فأعادت النمسا تنظيم جيشها وشجعت مواطنيها على « الدفاع عن الدولة ».

وفي تشرين الاول ١٨١٣ هزمت القوات المتحالفة معًا البروسية، والروسية، والنمساوية، تساندها قوات بريطانيا العظمى والسويد، نابوليون بالقرب من لايبزيغ، في ألمانيا، في معركة الامم، وفي ٢١ آذار استولت هذه القوات على باريس، وفي نيسان تنازل نابوليون عن العرش، ونُفي الى جزيرة إلبا. وفي هذه الاثناء أُعيدت اسرة البوربون المالكة الى العرش في فرنسا، فعُيّن ملكاً لويس الثامن عشر (١٧٥٥ - ١٨٢٤)، وهو شقيق الملك لويس السادس عشر الذي اعدمته الثورة، وفتح ذلك السبيل امام عودة نابوليون من منفاه.

١٨١٣
« كبرياء وتحيّز » لدجين اوستن

ولدت الروائية الانكليزية دجين اوستن (١٧٧٥ - ١٨١٧) في مقاطعة هسامبشر، وكانت ابنة رجل دين، وتميزت بهدوئها واحساسها المرهف، ووضعت ست روايات كانت اولاها « كبرياء وتحيّز » التي ظهرت السنة ١٨١٣. وتعتبر رواياتها كتبًا وثائقية عن حياة الطبقة الوسطى المرهفة المرتاحة في القرن التاسع عشر. وقد جعلتها مهارتها الكتابية وروحها الساخرة، وقدرتها على تصوير شخصيات مصقولة كاملة وذات ابعاد ثلاثة، واحدة من احبّ الروائيين الى قلوب القراء بالانكليزية.

١٨١٣
اليزابث فراي تزور سجن نيوغيت

كانت اليزابث فراي (١٧٨٠ - ١٨٤٥) من اتباع طائفة المهتزين، المعروفين كذلك بالصاحبيين (= الكويكرز). وفي السنة ١٨١٣ اخبرها احد اصدقائها عن الظروف الحقيرة والسيئة التي تسود سجن نيوغيت في لندن، وما يعانيه السجناء فيه. فهرعت من فورها الى ذلك السجن، حيث شاهدت ثلاثمائة امرأة، بعضهن حوكم، والبعض الاخر سُجن دون محاكمة، مكدّسات كقطعان الاغنام معًا، وأولادهن يعشن وسط القذارة المنتشرة هناك. ومنذ ذلك اليوم كرّست حياتها وجهودها لإصلاح حالة السجون.

١٨١٤
كين يمثل دور شايلوك

كان ادموند كين (١٧٨٧ - ١٨٣٣) امرأً عاديًا اكتسب شهرة عريضة على

المسرح كأعظم ممثل تراجيدي في عصره. ففي السنة ١٨١٤ ظهر في دور شايلوك البخيل، في مسرحية «تاجر البندقية» لشكسبير، التي قدمت على مسرح دروري لاين، في لندن. وكان الممثلون الباقون سيئي التمثيل، الا ان كين نفسه كان رائعًا، واحرز نجاحًا منقطع النظير جعله يسيطر على المسرح الانكليزي طوال سنوات.

١٨١٥
ماك آدم يبدأ ببناء الطرق

احدث جون لودون آدم (١٧٥٦ - ١٨٣٦) ثورة في بناء الطرق في بريطانيا، سرعان ما امتدت الى بلدان اخرى. فقد بدأ اختباراته السنة ١٧٩٨، واستنتج ان الطرقات ينبغي ان تُبنى من طبقات عدة متتالية من الحجارة المكسّرة لأن ثقل السير فوقها يجعلها تتداخل بعضها ببعض وتكوّن سطحًا املس. وفي السنة ١٨١٥، وبصفته مسّاحًا عامًا للطرقات في بريستول، شرع في استخدام طريقته تلك، ولم تلبث ان عمّمت في كل الارجاء.

١٨١٥
معركة واترلو

بعد ان استولت القوات المتحالفة على باريس في آذار ١٨١٤ وأرسل نابوليون الى المنفى في جزيرة إلبا، في في البحر الأبيض المتوسط،



آثر ولزلي، أول دوقات ولنغتون.

استطاع امبراطور الفرنسيين بعد تسعة اشهر الهرب، ونزل الى اليابسة في فرنسا، وراح يتقدم شطر العاصمة. وانضم اليه الجنود السابقون، فاضطر الملك لويس الثامن عشر الذي اعيد الى العرش حديثًا للهرب الى الخارج.

وجمع الحلفاء قواتهم، فكانت قوة نمساوية متأهبة للهجوم في الجنوب، وتقدّم جيش روسي ضخم من الشمال. وفي بلجيكا كان الماريشال بلوخر (١٧٤٢ - ١٨١٩) يقود جيشًا نمساويًا يفوق تعداده مئة الف رجل، بينما كان دوق ولنغتون يقود جيشًا مماثلاً في عدده يتألف من البريطانيين، والهولنديين، والالمان، وقد احتشد بالقرب من بروكسل في بلجيكا. وتحرك نابوليون بسرعة، وبمئة وعشرين الف رجل زحف الى بلجيكا لمهاجمة اعدائه قبل ان يتاح لهم ان يتحدوا.

وكان ولنغتون قد هزم معظم قادة نابوليون وهم من افضل ماريشالاته خلال حملته في البرتغال واسبانيا (١٨٠٨ - ١٨١٤). ولم يكن قد التقى نابوليون قبل حملة واترلو التي دامت اربعة ايام. وكانت المعركة من اشهر المعارك في التاريخ، على الرغم من ان اي قائد عسكري لم يتميز خلالها ببلائه الحسن. وقد احسن ولنغتون صنعًا اذ استطاع صدّ الهجوم الفرنسي الرئيسي طوال يوم ١٨ حزيران، مجبرًا الحرس الامبراطوري، وهو النخبة في جيش نابوليون، على الانسحاب.

وقبل الغروب، بدأت قوات الماريشال بلوخر النمساوية تصل، فقضي على الفرنسيين، وتنازل نابوليون عن العرش، وقد نفاه اعداؤه هذه المرة الى مكان أبعد، هو جزيرة القديسة هيلانه في جنوب المحيط الأطلسي. ولم يعد من هناك.

١٨١٥
مؤتمر فيينا

اجتمع مؤتمر فيينا لتسوية الشؤون الاوروبية بعد هزيمة نابوليون في السنة

١٨١٤. ومثّل فرنسا وزيرها الشهير تاليران (١٧٥٤ - ١٨٣٨)، غير ان الامير مترنيخ النمساوي، والفايكونت كاسلري البريطاني، هما اللذان سيطرا على المؤتمر.

كان هذان السياسيان من غلاة المحافظين، ويعتقدان ان الافكار الثورية التي أطلقت عبر اوروبا بأسرها بعد الثورة الفرنسية السنة ١٧٨٩ هي السبب في الاضطرابات في مختلف ارجاء القارة مذ ذاك، وينبغي القضاء عليها. وقد اجبر فرار نابوليون من جزيرة إلبا المؤتمر على الوصول الى تسوية، وقد تمّت قبل معركة واترلو بقليل.

رغب معظم المندوبين الممثلين في فيينا في اعادة توازن القوى، واعادة الحكام الى عروشهم التي كانوا يحتلونها قبل الثورة الفرنسية. فكانت التسوية، على ذلك، انتصارًا للدول الكبرى على الدول الصغرى، ولنظام الحكومة الملكية القديم على النظام الجمهوري. وقد حاولت التسوية، في اعادة عقارب الساعة الى الخلف في اوروبا ونجحت، ولكنها بذلك ضمنت ان تنفجر الثورة مجددًا، ومن جهة ثانية منعت التسوية حربًا عامة في اوروبا لقرن من الزمن.

١٨١٥

مصباح دايفي

السر همفري دايفي (١٧٧٨ - ١٨٢٩)، الكيميائي البريطاني، كان عالمًا خلاقًا ومخترعًا لامعًا، اقترح في جملة ما اقترح، من افكار، استخدام الغاز المضحك كمخدر - وقد استُخدم للمرة الاولى بعد وفاته بزمن غير قصير. وقد اخترع مصباح الامان لعمال المناجم السنة ١٨١٥، ورفض تسجيله ببراءة لكي يعمّ استعماله بسرعة من قبل الجميع. وعُرف هذا المصباح بمصباح دايفي، تمييزًا له عن مصابيح مماثلة اخترعها آخرون، وفي طليعتهم مهندس السكك الحديدية المعروف جورج ستيفنسون.

الفهرس